العناصر الاجتماعية والثقافية في شعر السجون العربي الحديث في العراق وفلسطين: دراسة تحليلية

أطروحة لشهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

الإعداد:

سليم.ب.ب

الإشراف:

الدكتور د. ك. يوسف

الأستاذ المشارك ومرشد البحوث

قسم اللغة العربية، كلية مدينة العلوم العربية

بوليكل، ملابرم

جامعة كاليكوت

كيرالا، الهند

٢٠٢٥

المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	**٤-١٣**
الباب الأول: تجربة السجن في الأدب العربي الحديث	**١٤-٥١**
الفصل الأول: مفهوم أدب السجون وعلاماته في تاريخ الأدب العربي	١٥
الفصل الثاني: الفنون وسماتها في السجون	٣١
الفصل الثالث: الشعر العربي في السجون والمعتقلات	٣٦
الفصل الرابع: المواضيع المعالجة في شعر السجون	٤٢
الباب الثاني: الشعر وتجربة السجن في فلسطين والعراق	**٥٢-٨٦**
الفصل الأول: صورة الشعر في سجن فلسطين	٥٣
الفصل الثاني: صورة الشعر في سجن العراق	٦١
الفصل الثالث: الظواهر اللغوية والأسلوبية في شعر السجون	٦٨
الباب الثالث: الشعراء البارزون بين سجناء العراق وفلسطين	**٨٧-١٢٨**
الفصل الأول: محمود درويش؛ شاعرالوطن والحب	٩٠
الفصل الثاني: سميح القاسم؛ شاعر المقاومة والصمود	٩٥
الفصل الثالث: توفيق زياد؛ شاعر الشعب والإنسانية	١٠٣
الفصل الرابع: محمد مهدي الجواهري؛ شاعر العنف الثوري	١١٠
الفصل الخامس: مظفر النواب؛ شاعر الثورة والتحريض	١١٨
الفصل السادس: أحمد الصافي النجفي؛ شاعر الغربة والتشريد	١٢٤

الباب الرابع: العناصر الاجتماعية والثقافية في شعر السجون العربي الحديث في العراق وفلسطين: دراسة تحليلية **١٢٩-٢١٣**

الفصل الأول: الخلفية السياسية وظهور شعر السجون في فلسطين ١٣٠

الفصل الثاني: المظاهر السياسية وظهور شعر السجون في العراق ١٣٨

الفصل الثالث: العناصر الاجتماعية في شعر السجون العربي الحديث في فلسطين والعراق: دراسة تحليلية ١٤٤

الفصل الرابع: العناصر الثقافية في شعر السجون العربي الحديث في فلسطين والعراق: دراسة تحليلية ١٨٦

خاتمة ٢١٤

المصادر والمراجع ٢١٧-٢٢٣

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فضل الإنسان بموهبته الرائعة، وعلمه من الشعر والحكم، وجعله متميزا بقدرة خياله الجذاب، والصلاة والسلام على رسوله الذي بعث بلسان فصيح، سيد البلاغة والبيان، وعلى آله وصحبه الذين مهدوا سبيل الهداية بطلاقة اللسان، وبعد.

هذه الأطروحة المعنونة ''العناصر الاجتماعية والثقافية في شعر السجون العربي الحديث في العراق وفلسطين: دراسة تحليلية''، قدمها الباحث إلى قسم اللغة العربية بجامعة كاليكوت لنيل شهادة الدكتوراه. هذه محاولة لتوضيح الوقائع الاجتماعية والثقافية والحقائق حولها التي جرت بعد الخمسينات من القرن العشرين في فلسطين والعراق، واطلع عليها الشعراء السجناء بنظرات موهبتهم الفذة فعبروها بواسطة قصائدهم الرائعة.

أدب السجون هو صورة صادقة للتجربة الاعتقالية خلف القضبان حيث تولدت الآثار الأدبية التى تتعلق بتجارب السجناء بأيدي رجال قدموا أرواحهم وأجسادهم قرباناً للوطن، حتى استطاعوا أن يقدموا إنتاجاً أدبياً وطنياً حيث قاوموا بها المحتلين. وهذا الأدب يمجد النضال ويرغب عن القيد والاحتلال، وتصور قصائد السجون حياة الأسير داخل السجن. وهو يتعرض للإهانة والتعذيب، تسحق كرامته وعرضه، حتى يعيش في حالة نفسية وشعورية بعيداً عن الأهل والأصدقاء. والشعر عندهم وسيلة للتعبيرعن الحرية المكبوتة ولنقل الآلام والآمال والصراعات الشخصية والاجتماعية. ويحرض الشعراء شعبهم على المقاومة والصمود أمام تحدياتهم مع قوة الإرادة والعزيمة. ويشجعون مجتمعهم على التقدم بإبراز القيم الإنسانية والنضال والوحدة والمثابرة.

هناك عناصر اجتماعية تعكس في شعر السجون الفلسطيني والعراقي التى واجهها الناس عامة والسجناء والمعتقلون خاصة. تشمل هذه العناصر الوقائع القاسية من الحرمان والصراعات الاجتماعية وأزمة الهوية ومشكلة الانتماء وقضية الوحدة والتضامن والحركات الاجتماعية والثورات المستمرة، وينشر شعرهم الوعي عن التراث الثقافي والأدبي للشعب العراقي والفلسطيني.

على كل حال، تهدف هذه الأطروحة إلى إدراك تجربة السجن من خلال الأدب، والكشف عن القوة التعبيرية للأدباء الذين مروا بهذه التجربة أو تأثروا بها، وتتميز إبداعاتهم بالصدق والوفاء وهي وثيقة أدبية وإنسانية، تعبر عن صمود الإنسان أمام الظروف القاسية، وتبرز قوة الإبداع الأدبي في مواجهة الظلم كما تدعو الأفراد المسؤولين في المجتمع إلى الوقوف ضد الظلم والاضطهاد.

تحليل العنوان

عنوان البحث 'العناصر الاجتماعية والثقافية في شعر السجون العربي الحديث في العراق وفلسطين: دراسة تحليلية'.

والكلمة '**العناصر**' جمع العنصر معناه عامل، وأصل، وأساس كما يقال 'عنصر رئيسي' معناه عامل أصلي. 'و**الاجتماعية**' اسم مؤنث منسوب إلى اجتماع، وهي تتعلق بجماعة أو مجتمع، تشير إلى العلاقات والتفاعلات بين الأفراد في المجتمع. و'**الثقافية**' اسم مفرد مؤنث هي 'الفهم' و'الحذق' وهي العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها وتعبر الثقافية عن الموروث الفكري والفني والاجتماعي لمجتمع معين، وتشمل العادات والتقاليد والقيم والمعتقدات والفنون واللغات والعلوم التي يتبناها الأفراد في ذلك المجتمع.

وكلمة '**الشعر**' وهي الكلام الموزون المقفى، تعني إنه القول الذي يتألف من أمور تخيلية، يقصد بها في هذا البحث الشعر العربي الفلسطيني والعراقي.

وكلمة '**السجون**' جمع سجن، السجن: الحبس، فالسجين هو بمعنى مسجون وجمعه سجناء وسجنى، وسجينة بمعنى مسجونة وجمعه سجنى وسجائن، والسجان هو من يتولى أمور المسجونين وهو القائم على السجن على ما ورد في لسان العرب عن معاني لفظ السجن. وإن السجن يقال عموما بأنه هو مكان يحبس فيه المتهمون أوالمجرمون. استخدمه العرب للتعبير عن الحد من حرية الإنسان وتقييدها، والكلمة 'العربي' منسوب إلى العرب أي الأمة العربية.

'**الحديث**' ولفظ الحديث هو نقيض القديم، والحديث جمعه حِداث وحُدثاء بمعني الجديد.

'**العراق**' رسميا جمهورية العراق، دولة عربية، تقع في غرب آسيا، عاصمتها بغداد.

'**فلسطين**' رسميا دولة فلسطين، دولة عربية تقع في غرب آسيا، عاصمتها غزة.

وكلمة '**دراسة**' يعني بها دراسة تحليلية، يقوم الباحث بدراسة أشعار السجون مفصلة ثم يحلل عناصرها الاجتماعية والثقافية ويستخرج منها الموضوعات مع بيان مواقفها ويأتي بنماذج من القصائد.

'**تحليلية**' يعني بها تحليل الموضوعات بصورة مفصلة.

الدراسات السابقة

اعتمد الباحث على دراسات شتى في التاريخ والأدب حول أدب السجون الذي كُتب في مراحل الزمن المحددة. واستمد منها بعضا من النقاط المرتبطة بالموضوع، ومن أهمها:

١. تجربة السجن في الشعر الأندلسي، هذه رسالة لرشا عبد الله الخطيب، قُدمت هذه عام ١٩٩٦ بقسم اللغة العربية، للجامعة الأردنية.
٢. الشعر من وراء القضبان- اتجاهاته وخصائصه في ظل الدولة العباسية، أطروحة دكتوراه شفيق عبد الرزاق محمد السعيد أبو سعدة، نوقشت بكلية اللغة العربية بجامعة القاهرة عام ١٩٩٧-١٩٩٨م.
٣. الحبسيات في الشعر العربي، بحث مُقدَّم من الطالبة سكينة قدور، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة منتوري- قسطنطينة، كلية الآداب واللغات، نوقشت عام ٢٠٠٦-٢٠٠٧م.
٤. شعر الأسر والسجن في الأندلس، جمع وتوثيق ودراسة، أطروحة دكتوراه لبسيم عبد العظيم القادر إبراهيم، نوقشت عام ١٩٩٥ بقسم اللغة العربية، بجامعة عين شمس وطبعت للمرة الثانية بمكتبة الخانجي عام ١٩٩٥ م بالقاهرة.
٥. شعر السجون في الجزائر، لعمير زيرق، أطروحة لنيل شهادة الماجستير من جامعة أبي بكربلقايد، قسم اللغة والأدب العربي، ٢٠١١-٢٠١٢م.
٦. الجوانب الإبداعية في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة في الفترة ما بين ١٩٨٥-٢٠١٥م. أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة الدول العربية للتربية والثقافة والعلوم معهد البحوث والدراسات العربية، قسم البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ٢٠١٦م.
٧. السجون وأثرها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي لـ'واضح الصمد'.
٨. البطل السجين السياسي في الرواية العربية المعاصرة، علي منصوري، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة الحاج لخضر – باتنة كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية وآدابها، ٢٠٠٧- ٢٠٠٨م.

مشكلة البحث

يريد الباحث خلال بحثه للأجوبة الجلية لبعض المسائل المهمة المتعلقة بالموضوع، منها:

مفهوم أدب السجون ومكانته في الأدب العربي الحديث؟

هل توجد أي أهمية ملحوظة لهذا النوع من الأدب؟

ماهي الفنون المهمة التي ظهرت في داخل السجن؟

ما ميزات شعر السجون بين سائر الأشعار؟

ماهي العوامل المؤثرة من الموضوعات والقضايا في شعر السجن؟

كيف كانت صورة شعر السجن في سجون فلسطين والعراق؟

ماهي الظواهر اللغوية والأسلوبية في شعر السجون؟

من هم الأعلام البارزون الذين أسهموا في شعر السجون؟

ماهي العناصر الاجتماعية والثقافية الواردة في شعر السجون في فلسطين والعراق؟

كيف عالج الشعراء السجناء الجوانب الاجتماعية والثقافية خلال شعر السجون في فلسطين والعراق؟

أسباب اختيار الموضوع

فلسطين هي دولة تعاني من آلامها على مرِّ العصور، وهي شوكة في ذهن أي إنسان لم تتجمَّد إنسانيته، شهد العالم الهجمات الوحشية التي تَشِنّها دولة إسرائيل الصَّهيونية على الشعب الفلسطيني، وإن صورة إسرائيل أمام العالم هي قصة العديد من الفظائع الدموية

التي هزت شعوب العالم، أما مقاومة المدنيين الفلسطينيين ضد قوات الاحتلال الإسرائيلية تثير الدهشة لأي باحث، ومن المشاركين في هذا النضال النساء والأطفال والشخصيات البارزة في المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية عامة وفي عالم الأدب خاصة. ومن أهم الدوافع التي دفعت الباحث لإختيار هذا الموضوع:

- شغف الباحث العميق لمعرفة أدب السجون ومساهمات الشعراء فيه.
- التعرف على الشعراء المعتقلين من العرب عامة والشعراء من فلسطين والعراق خاصة.
- فهم تعبير الشعراء السجناء عن تمسكهم بهويتهم الثقافية والاجتماعية رغم الظروف القاسية.
- إدراك كيفية استخدام الشعراء للعناصر الاجتماعية والثقافية في إبداعاتهم كأدوات للمقاومة في مواجهة القمع.
- تمييز تجارب الشعراء السجناء قبل دخولهم السجن وبعد خروجهم منه
- تحديد العلاقة بين السياسات والممارسات القمعية في السجون، وكيفية تأثيرها على الأدب والشعر.
- اكتشاف طريق توثيق الأحداث والتجارب اليومية في السجون.
- فهم تأثير السجون على الحياة الاجتماعية والنفسية.

منهج البحث

اعتمد الباحث في أداء معظم هذا البحث على المنهج التحليلي الذي يقوم الباحث بدراسة أشعار السجون مفصلة ثم يحلل عناصرها الاجتماعية والثقافية ويستخرج منها الموضوعات مع بيان مواقفها ويأتي بنماذج من القصائد. ويتم تحليل العوامل التي تسببت في نمو أدب السجون في عالم العرب عموما وفي فلسطين والعراق خاصة، اتبع المنهجَ الوصفي في ناحية تعريف الأدباء ومكانتهم المتميزة في العالم الأدبي. حيث

يرى الباحث إنها هي المنهج الموافق للتوصل إلى النتائج المنشودة المطلوبة بمثل هذه الدراسة. ومن الجدير بالذكر استطاع الباحث للحصول على المراجع الأولية والمصادر الثانوية أيضا، وحاول الباحث لنيل المؤلفات التي تتعلق بتجربة السجن من المكتبات الجامعية والكلية في داخل ولاية كيرالا وخارجها. وبالإضافة من المجلات والدوريات والجرائد ومواقع الانترنت والشبكات.

خطة البحث

تتضمن هذه الرسالة أربعة أبواب مع المقدِّمة والخاتمة، وفي المقدمة تحليل العنوان وشرح البواعث إلى إعداد هذه الرسالة وأسباب اختيار الموضوع كما تبين منهج البحث وتشير إلى خطة البحث وتختتم بالشكر والتقدير.

الباب الأول: المعنون 'تجربة السجن في الأدب العربي الحديث'. يحتوي هذا الباب على أربعة فصول، الفصل الأول يتناول البيان عن أدب السجون لغة واصطلاحا، وبالإضافة يناقش عن جذوره الأصلية التي مرت عبر التاريخ ومكانته وتخصصه في تاريخ الأدب العربي بعد النصف في القرن العشرين. والفصل الثاني يشير إلى الفنون وسماتها في السجون، يحلل الباحث عن الفنون المتنوعة التي عرضت داخل السجن وسائلا للتعبير عن الصمود والإصرار والانتماء والهوية والإبداع والابتكار والتحرر والتفاؤل. وأما الفصل الثالث يعرف بعض الشعراء المشهورين عموما الذين تجربوا مرارة السجن وخدماتهم الجليلة في عالم الأدب العربي. الفصل الرابع يتناول المواضيع المعالجة في شعر السجون مثل الحرية والظلم والانتفاضة، فضلا عن الوحدة والأمل والصمود. يعكس أيضا تجارب السجناء ومعاناتهم، بالإضافة إلى الحنين للحرية والتمرد على القيود.

الباب الثاني المعنون 'الشعر وتجربة السجن في فلسطين والعراق'، الفصل الأول دراسة عن صورة شعر السجن في فلسطين، وهي تعكس واقع الحياة في ظل الاحتلال والمعاناة التي يتعرض لها الفلسطينيون، يتناول الشعراء الفلسطينيون في قصائدهم قضايا الحرية والكرامة والوطنية، ويعبرون عن صمودهم وصراعهم ضد الظلم والاضطهاد. والفصل الثاني يناقش شعر السجون فى العراق، حيث يعبر الشعراء العراقيون في قصائدهم عن التعذيب والظلم الذي يتعرض لها الناس وتجسيد الحنين إلى الحق والعدالة. والفصل الثالث الأخير يعالج الظواهر اللغوية والأسلوبية في شعر السجون.

الباب الثالث المعنون 'الشعراء البارزون بين سجناء العراق وفلسطين' يقسم إلى ستة فصول، الفصل الأول محمود درويش الفلسطيني؛ شاعرالحب والوطن، يناقش الباحث فيه عن أشعاره في الحب والانتماء، ففي كل بيت من قصائده، يبرز الوطن كمصدر للإلهام، والحب كقوة دافعة، ما يجعلهما عنصرين متداخلين لا ينفصلان في كثير من الأعمال الشعرية العربية.

الفصل الثاني الشاعر سميح القاسم الفلسطيني؛ شاعرالمقاومة والصمود، واحد من أبرز الشعراء المعاصرين الذين استخدموا خدماتهم للتعبير عن التحديات والمعاناة التي يواجهها الشعب الفلسطيني. كان صوتًا حقيقيًا للشعب الفلسطيني في مواجهة الاحتلال، وأصبح رمزًا للصمود والمقاومة. والفصل الثالث توفيق زياد الفلسطيني؛ شاعر الشعب والإنسانية، هو واحد من أبرز الشعراء الذين عززوا الأدب العربي المعاصر. يعبر عن معاناة الشعب الفلسطيني مع قضايا الإنسان، وتتجسد قيم العدالة والمساواة والحرية، حيث كان صوته شاهداً على معاناة الإنسان في ظل القمع والاستبداد. والفصل الرابع محمد المهدي الجواهري العراقي؛ شاعر العنف الثوري، يعد من أشهر شعراء العرب الذين جمعوا بين الأصالة والحداثة في أعمالهم. كان الجواهري حاملا للتراث الثقافي العربي، حيث امتزجت قصائده بالحكمة والمفردات التراثية العميقة.

الفصل الخامس مظفر النواب العراقي؛ شاعر الثورة والتحريض، أصبح رمزًا للتمرد والتحريض في الشعر العربي بفضل قصائده التي تميزت بالجرأة والمباشرة في التعبير عن معاناة الشعوب والمطالبة بالحرية. كان النواب صوتًا حادًا ضد الظلم والقهر، حيث حول الشعر إلى أداة فاعلة للتحريض على الثورة والتغيير.

الفصل السادس الأخير أحمد الصافي النجفي العراقي؛ شاعر الغربة والتشريد، ومجمل قصائده تُظهر عن ألم الفقد والاغتراب في عالمه الخاص. عكست أعماله معاناته الشخصية مع الهجرة والابتعاد عن الوطن، حيث تجسد مشاعر الحنين والحزن، ليصبح بذلك صوتًا يعبر عن تجربة العراقيين في المنفى ويخلد معاناة المغتربين.

الباب الرابع: المعنون 'العناصر الاجتماعية والثقافية في شعر السجون العربي الحديث في العراق وفلسطين: دراسة تحليلية'، هذا هو الجوهر الرئيسي لهذه الدراسة، يتناول الباحث فيه العناصر الاجتماعية والثقافية التي عبر الشعراء السجناء من خلال قصائدهم بطرق متعددة. يحتوي هذا الباب على أربعة فصول، الفصل الأول يتحدث عن الخلفية السياسية التي حدثت في دولة فلسطين وسبب ظهور أدب السجون ونموه السريع يرتبطها بالظروف الاجتماعية والثقافية والسياسية والقضايا المختلفة التي شهدتها البلاد . الفصل الثاني يحاول لتوضيح أحوال سياسية التي شهد العراق لها، حيث مهدت الطريق إلى ظهور أدب السجون، الفصل الثالث يناقش عن مفهوم العناصر الاجتماعية وخصائصها تحليلا تفصيلا التي عالج الشعراء السجناء في العراق وفلسطين من خلال قصائدهم،.هي المكونات والجوانب التي تتعلق بالمجتمع والأفراد، تشمل هذه العناصر القيم والحقائق الإنسانية والممارسات الاجتماعية مثل الفقر والعدالة والمساواة وحقوق الإنسان والبطالة ومشكلات الهجرة واللاجئين والمقاومة والحرية والظلم والتمييز. الفصل الرابع الأخير يعتمد على مفهوم العناصر الثقافية. يحلل الباحث عدة عناصر التي يعاني منها الشعراء السجناء والشعب أثناء فترة تجربة السجن مثل العادات والتقاليد والمعتقدات والفنون واللغة والموسيقى والأدب وغيرها.

الشكر والتقدير

أحمد الله الذي ساعدني لإتمام هذه الأطروحة، وأشكر شكرا جزيلا أولا وآخرا لله عز وجل، وأعبر تقديري وامتناني للدكتور يوسف ت ك، أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية بكلية مدينة العلوم العربية سابقا تابعة لجامعة كاليكوت الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث وقومني بتوجيهاته المفيدة وإرشاداته المثمرة لتحقيق هذا الهدف المنشود، وأخص شكري وتقديري لصديقي الحميم الدكتور محسن م و الأستاذ المساعد في كلية سلم السلام العربية بأريكود، كما أبث زهور الشكر من صميم قلبي في حميمي الغالي الدكتور محمد شريف كوبلان الأستاذ المساعد في كلية أنوار الإسلام العربية للبنات بمونغام، وأعبر شكري وامتناني لكل من ساعدني في هذا المسعى من أعضاء الأسرة والأساتذة والأتراب، خاصة لشريكة حياتي أمينة التى ساعدتني بحبها الصادق، كانت كاسمها أمينة في مسيرة حياتي، جزاهم الله جميعا أحسن الجزاء في الدارين. وراجيا من الله عز وجل بكل خضوع أن يجعل هذا العمل دليلا وعونا ومفيدا لكل عشاق لغة الضاد وآدابها، وأدعو الله تبارك وتعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والله ولي التويق.

الباب الأول

تجربة السجن في الأدب العربي

الفصل الأول: مفهوم أدب السجون وعلاماته في تاريخ الأدب العربي

الفصل الثاني: الفنون وسماتها في السجون

الفصل الثالث: الشعر العربي في السجون والمعتقلات

الفصل الرابع: المواضيع المعالجة في شعر السجون

الفصل الأول

مفهوم أدب السجون و تاريخه

تعريف السجن

السجن لغة: عرفت لفظة 'السجن' عند العرب عدة معان بحسب استخدامها وتوظيفها في كلامهم إذ أنهم استعملوها للدّلالة على المكان، وعلى حال الشخص، فجاءت في 'لسان العرب' 'لابن منظور' في مادة: س ج ن بمعنى: 'الحبس'، والسَّجن بالفتح: المصدر. سجن يسجن سجنا أي: حبسه. والسجن: المحبَس. وفي بعض القراءة: "قال رب السجن أحب إليّ"، فمن كسر السّين فهو المحبس وهو اسم، ومن فتح السين فهو مصدر سجنه سَجنا. والسّجّان: صاحب السجن، ورجل سجين: محبوس، والجمع سجناء وسَجنى، وقال أبو عبيدة: وهو فعيل من السجن والحبس، وفي حديث أبي سعيد: ويؤتى بكتابه مختوما فيوضع في السِجّين. وهو بغير الألف واللاّم اسم علم للنَار، ومن قوله تعالى: "كلاّ إن كتاب الفجّار لفي سِجّين". والسّاجون: الحديد الأنيث، وضرب سجين أي شديد"[١].

وجاء في معجم 'مقاييس اللغة' 'لابن فارس': "سجن: السّين والجيم والنون أصل واحد وهو الحبس، يقال سجنته، سجنا والسّجن: المكان يسجن فيه الإنسان"[٢].

وذكر 'الفيروز أبادي': "سجنه بمعنى حبسه، والسّجن بالكسر: المجبس وصاحبه: سجّان، والسّجين هو المحبوس، ج: سجناء وسجنى"[٣].

وعرفه 'ابن سيدة': (س.ج.ن) سجنه يسجنه سجنا: حبسه، وفي بعض القراءة: "السِّجن أحبّ إليّ"، والسجن: المحبس، والسّجّان: صاحب السّجن، ورجل سجين: مسجون

[١] أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج١ مادة (ح.ب.س)، دت، ص:٢٠٣.
[٢] أبو الحسن أحمد بن فارس: حعجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ج١ ،ط١ ،١٩٧٩، ص:١٣٧.
[٣] مجد الدين الفيروز أبادي: معجم القاموس المحيط، تح: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٨، ص:٢٣٥.

والسِّجّين بكسر السّين: أي علانية، كما يقال فعل ذلك سِجّينا، والسّاجون: الحديد الأنيث"[٤].

يقول ابن منظور: "المعتقل مصدرها عقل، يعقل، عقلا، ومعقولا نقول عقل له شيئ، أي حبس عليه عقله. والعاقل الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها. واعتقل لسانه: إذا حبس ومنع الكلام، وسمي العقل عقلا، لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك أي يحبسه. واعتقل: حبس، ومنه المعتقل، المحبوس[٥]".

يفهم الباحث من هذه التعاريف المذكورة السابقة أن السّجن: الحبس ومنع الحرية ووقف الشخص لذنب ارتكبه، هو تقييد حرية الشخص لمدة محددة ومكان محدد.

اصطلاحا: ورد لفظ السّجن وبعض مشتقاته في القرآن الكريم خاصّة في سورة 'يوسف' في إطار قصصي ومن الآيات التي ذكر فيها:

"واستبَقا البابَ وقدت قميصَه من دبرٍ وألفيا سيّدها لدى البابِ، قالت ما جزاءُ من أراد بأهلك سوءا إلا أن يُسجنَ أو عذابٌ أليم"[٦].

"قال رب السِّجن أحبُّ إليّ مِمّا يدعونني إليه، وإلا تَصرفْ عنّي كيدهنّ أصْبُ إليهن وأكن من الجاهلين"[٧].

"يا صاحبَي السِّجن أأرباب متفرِّقون خيرٌ أمِ اللهُ الواحدُ القهّار"[٨].

دلت كلمة السجن في القرآن الكريم على المكان الذي يخضع فيه السّجين لعقوبة جراء عمل معين أو ارتكاب ذنب ما. وقد أورد 'الإمام الكساني'[٩] أن السّجن 'هو منع

[٤] علي بن اسماعيل بن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد السّتار أحمد فرّاح، ج ٧، معهد المخطوطات بجامعة الدّول العربية، ط١، ١٩٥٨، ص: ١٦٩.
[٥] لسان العرب، ابن منظور، ط٣، بيروت، دار صادر، مجلد ١١، ١٩٩٤، ص ٤٥٨-٤٥٩.
[٦] القرآن الكريم: سورة يوسف، الآية:٢٥.
[٧] القرآن الكريم: سورة يوسف، الآية: ٣٣.
[٨] القرآن الكريم: سورة يوسف، الآية:٣٩

المحبوس عن الخروج إلى أشغاله ومهمّاته وإلى الجمع والجماعات والأعياد، لأن الحبس يكون للتوصل إلى قضاء الدين، والغاية منه الضّجر فيسارع إلى قضاء دينه'[١٠].

جاء في مصادر الفقه ومصادر السّياسة الشرعية 'أنّ الحبس الشّرعي ليس هو السّجن في مكان ضيّق وإنما هو تعويق الشّخص ومنعه من التّصرف بنفسه سواءا كان في بيت أو مسجد'[١١].

واستنادا إلى هذا التعريف، يظهر هنا أن الحبس في الشريعة الإسلامية يتضمنه التعويق كشرط أساسي، حيث يحرم المسجون من مختلف الأنشطة اليومية الاجتماعية والدينية، مثل أداء الصلاة في المسجد أو أداء فريضة الحج، ومع ذلك إلى القيام بالمعلومات التجارية، الهدف من هذه العقوبة هو التصحيح سلوك المعاقب دون إلحاق الأذى الجسدي أو النفسي به. وفي ناحية النظام السياسي، يُعتبر السجن المكان الذي يتم فيه تنفيذ الأحكام ضد الأفراد المدانين بجريمة معينة بواسطة حبسهم، وبالإضافة يُستخدم السجن أيضًا لأغراض غير جنائية، مثل الدين أو الاتهام. يُمثل السجن مؤسسة اجتماعية قديمة تطوّرت عبر العصور لتلبية أغراض سياسية واجتماعية واقتصادية مختلفة.

فالسجن مصلحة اجتماعية موجودة منذ القديم ومتطورة من عصر لآخر، تقوم على تأديب المذنبين جرّاء تهمة أو ذنب. ويعرفه 'سالم المعوش'[١٢] بأنه: **"**مؤسسة عقابية تهدف إلى ردع المذنب عن عمله وإنزال العقوبة به وحجزه بغية تأديبه**"**[١٣].

---

[٩] هو الإمام علاء الدين الكساني أوزبكستاني مشهور من أهل حلب، أحد كبار فقهاء المذهب الحنفي الملقب بملك علماء الحديث، توفي ٥٨٧هـ.

[١٠] السجون في العصر العباسي:١٣٢ه-٣٣٤ه، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، إعداد: أيمن سليمان خالد التميمي، المشرف: محمد عبد القادر حريسات، كلية الدراسات العليا: جامعة الأردن، ١٩٩٧، ص:٠٥.

[١١] السجن والسجناء في الأندلس الإسلامية: ١٣٨ه -٤٧٩ه، رسالة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، إعداد: وردة العابد، المشرف: إبراهيم بحاز، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة ٢، ٢٠١٨/٢٠١٧، ص:٣٠.

[١٢] كاتب وروائي وناقد من لبنان، ميلاده سنة ١٩٤٨م

[١٣] سالم المعوش: شعر السجون في الادب العربي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣،ص:٣٤،٣٥.

وفي نظر 'العقاد'[١٤] هو "مكان لاعتقال الأسرى أو المحكوم عليهم بالموت ثم أصبح مكانا للتخلص من بعض المغضوب عليهم أو الواقفين في طريق ذوي السلطان"[١٥].

فالهدف بالسجن هي العقاب قصد التأديب، كما أنه حلّ سياسي وحيلة لإبعاد المتمردين والرّافضين لنظام الحكم وسياسة الحاكم.

مصطلحات بالسجن:

تختلف اصطلاحات 'السجن' و'الحبس' والزنزانة' و'الأسير' و'المعتقل' من حيث المعنى والاستخدام، وكل منها يحمل دلالة قانونية واجتماعية خاصة. فيما يلي الفرق بين هذه المصطلحات:

- **السجن:** هو مؤسسة قانونية أو مكان مخصص للإحتجاز طويل الأمد للأشخاص الذين ارتكبوا جرائم. يُحكم على الأفراد بالسجن بعد محاكمة قضائية، يُستخدم السجن للإحتجاز لفترات طويلة ويكون تابعًا عادة للسلطات القضائية والتنفيذية.
- **الحبس:** يشير إلى احتجاز شخص لفترة زمنية معينة نتيجة ارتكاب جريمة، ولكنه قد يكون لفترة أقل من السجن. يُستخدم الحبس غالبًا للإشارة إلى احتجاز مؤقت أو قيد حرية الشخص بسبب تهم معينة، وقد يشمل حبسًا في السجون أو في أماكن أخرى.
- **الزنزانة:** هي غرفة صغيرة داخل السجن أو مكان احتجاز، تستخدم عادة لحجز الأشخاص بشكل منفرد أو للحد من تحركاتهم، قد يُحتجز فيها الأشخاص لعقوبات تأديبية أو كجزء من إجراءات التحقيق.
- **الأسير:** هو شخص يُحتجز أو يُسجن نتيجة لأحداث عسكرية أو نزاع مسلح. يُستخدم هذا المصطلح بشكل رئيسي في السياقات العسكرية، حيث يُحتجز

[١٤] هو العباس محمود العقاد، أديب ومفكر وصحفي وشاعر مصري ولد في أسوان (١٨٨٩- ١٩٦٤)
[١٥] سالم المعوش: شعر السجون في الادب العربي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣،ص:٣٨.

الجنود أو المدنيون أثناء الحروب أو الصراعات المسلحة، سواء كانت حربًا مع دولة أخرى أو في صراع داخلي.

- **الاعتقال:** هو عملية احتجاز شخص من قبل السلطات الأمنية أو القضائية بناءً على شبهات أو تهم موجهة إليه. يمكن أن يكون الاعتقال قانونيًا أو تعسفيًا بناءً على الوضع السياسي أو الاجتماعي. يُستخدم هذا المصطلح بشكل شائع في السياقات السياسية حيث يتم احتجاز الأفراد دون محاكمة لفترة غير محددة، وغالبًا ما يكون المعتقل في مكان خاص بعيدًا عن القضاء.

مدخل إلى أدب السجون

اختلفت التسميات أدب السجون حول النتاج الأدبي، ذهب البعض لتسميته 'بأدب الإعتقالي' و'بأدب الحرية'، وبعض حرص على صبغة بمفاهيم إيديولوجية فأطلقوا عليه 'الأدب الأسير' وذهب آخرون إلى تسميته 'بأدب السجون'، وكل هذه الأسماء رائجة ولكن الجميع مجمعون على أنه يندرج تحت عنوان ''أدب السجون''.

إن أدب السجون هو أحد أشكال التعبير عن مشاعر وأفكار الإنسان بأساليب كتابية مختلفة، مثل النثر والشعر، مما يساعد الناس على التعبير عن مشاعرهم بطريقة لا يمكن أن يفعلوها بأسلوب آخر. تُكتب هذه الأعمال في أجواء من الألم والأمل وفي ظل الصبر والمعاناة والتفكير بين الجدران ومن خلف القضبان. وهذه الكتابة التي نشأت في هذا السياق تضفي جمالًا رونقا على أدبهم.

يقول زكريا بوغرارة[١٦] هذا الفن "هو تعبير عن النضال الإنساني، يظهر في ظلام الأقبية ووراء القضبان الحديدية، وينبع من هموم ومعاناة النفس والاضطهاد. يعبر عن مرارة التعذيب وآلام التنكيل وأحزان الأسرى، ويتوق إلى نور الحرية وأشعة الشمس. يستخدم السجين قلمه ليحكي قصصه وينقل تجاربه ويتبادل أفكاره في جحيم السجن

[١٦] زكريا بوغرارة: كاتب مغربي.

وظلم السلطات. يتأمل في الحياة الجديدة ويسجل ملامح الصمود والتحدي والشجاعة في مواجهة الظروف الصعبة في نصوص لا يمكن أن تكون أكثر صدقًا أو جمالاً"[١٧].

لكن العديد من الباحثين والكتّاب أخذوا في الاعتبار عنصر المكان وشروطه في هذا النوع من الأدب وهو ما أقرته الباحثة 'فاطمة مسلماني'[١٨] في مقالتها المعنونة 'أدب السجون' حيث عرّفته بأنه: "نوع من الأدب الذي استطاع أن يكتبه أولئك الذين عانوا السجن والتّعذيب خلال فترة سجنهم أو بعدها أو كتبه الذين رصدوا تجارب سجناء عرفوهم أو سمعوا عنهم"[١٩].

هناك تعريفات أخرى لأدب السجون التي تشير فاطمة مسلماني تقول أيضا "الأدب الذي ينشره السجناء في أقبية السجون، ويهتم بمواضيع السجن، ويتألف من جزئين: الجزء الأول يرتبط بالسجناء أنفسهم وما يكتبونه داخل الزنازين، ويوثقونه خلال فترة اعتقالهم وحتى بعد الإفراج عنهم. أما الجزء الثاني فيركز على ما عبّروا عنه الكتّاب خارج السجون، خاصة الذين تخيّلوا حياة السجن واستمعوا إلى تجارب السجناء، وعاشوا تجربة السجن بمشاعرهم. وقد قاموا بالتعبير عن هذه التجارب المؤلمة بأساليبهم الفنية الخاصة، وتصوّر حياة السجن والتعبير عنها بطريقة فنية"[٢٠].

يعتبر هذا الأدب وسيلة من وسائل الاعتراض على القمع السياسي في الدول العربية. إنه جبهة مقاومة ورفض للظلم والتعسف والاستبداد، حيث يسعى إلى تحقيق الحرية والأمل في مستقبل أفضل من خلال تحقيق الديمقراطية والسلام والعدالة بكافة أشكالها. ينطلق هذا النضال من الإيمان بكرامة الإنسان، ويستهدف تحقيق العدالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وذلك من خلال دور المواطن العربي كفاعل رئيسي في هذه العملية، حيث يُعتبر الإنسان بالدرجة الأولى إنسانًا.

---

[١٧] زكريا بوغرارة: الاكف الممزقة، تق: الشيخ ياسر السري، مؤسسة وإسلاماه للإعلام الطبعة الأولى الإلكترونية، ص:٠٢.
[١٨] أديبة شهيرة من مواليد من قرية تبنين من جنوب لبنان.
[١٩] فاطمة مسلماني: أدب السجون، موقع فيلادلفيا المعرفة، ٢٨ ديسمبر ٢٠١٨، ١٢/ ٠٢/ ٢٠٢١.
[٢٠] فاطمة مسلماني: أدب السجون، موقع فيلادلفيا المعرفة، ٢٨ ديسمبر ٢٠١٨، ١٢/ ٠٢/ ٢٠٢١.

بالإضافة إلى المكان، يتخذ الباحثون شرطًا آخر، وهو الجنس الأدبي، حيث يجب أن يكون النص الأدبي شعرًا أو روايةً أو قصةً. لقد نقل الكثير من السجناء معاناتهم وآلامهم وحياتهم في غمار السجون، ولكن تم اعتبارها شهادات حية وتوثيقًا لفترات زمنية معينة، بسبب عدم وجود سمات أدبية وخصائص تميز الأدب كتابةً.

أدب السجون يشمل مجموعة متنوعة من التعريفات والتصنيفات، ويمكن النظر إليه من زوايا متعددة، هذه الزوايا تُثري فهم الأدب وتُظهر تنوع تجاربه. في الزاوية السياسية والاجتماعية والثقافية، يُعد أدب السجون وسيلة للاحتجاج على الأنظمة القمعية، ويُسهم في تسليط الضوء على انتهاكات حقوق الإنسان حيث يعكس تجربة المعارضين السياسيين. ويُبرز أيضا الكفاح من أجل الحرية كما يُعتبر مرآة للمجتمع، حيث يُظهر كيف تؤثر الظروف الاجتماعية والاقتصادية على الأفراد ويبرز قضايا الظلم والتمييز. وفي الناحية النفسية، يُعبر أدب السجون عن الحالة النفسية للسجناء مشيرًا إلى مشاعر اليأس والقلق والأمل. يعكس الصراعات الداخلية وتأثير تجربة السجن على الهوية والشخصية. أما في الجانب الأدبي، يتناول الأدب الأساليب الأدبية المستخدمة مثل الشعر والرواية والمذكرات. يُظهر كيف يمكن للأدب أن يكون وسيلة للتعبير الفني عن الألم والمعاناة.

كل تعريف يتناول جانبًا مختلفًا من هذا الأدب، مما يجعله غنيًا ومتعدد الأبعاد.

صورة السجون في التاريخ الأدبي العربي:

تاريخ السجون يمتد عميقًا في الحضارة العربية، حيث يشكل جزءًا أساسيًا من الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية. وقد كان الأدباء من بين الذين عاشوا تجربة السجن، حيث ارتبط الأدب العربي على مر العصور بقصص الأسر والاعتقال. وكثير من المبدعين كتبوا عن تجاربهم في السجون حيث نُقلت على ألسنتهم روائع تعبيرية عالجت مرارة السجن وقسوته، وتناولت أيضًا الظلم والقهر والتعذيب الذي تعرضوا له. كما

عبّروا عن شوقهم وحنينهم لأحبائهم وإلى الحرية. فيما يلي، سنستعرض بعض المقتطفات الأدبية التي تُعتبر بدايات أدب السجون في الحضارة العربية عبر العصور المختلفة، بدءًا من العصر الجاهلي ووصولًا إلى العصر الحديث.

في العصر الجاهلي:

كانت البيئة العربية مميزة في هذه الفترة، لأنها كانت مقسمة إلى قبائل. كان لكل قبيلة قائد يدير شؤونها ويحكمها ويحدد قوانينها. إذا خالف شخص تلك القوانين، كانت تعتبر مخالفة للنظام، وكان يُعاقب بشدة. كما كان هذا العصر معروفًا بالاعتداءات، حيث كانت السرقة والنهب والحروب جزءًا من الحياة اليومية. كانت الأسر والسجن في ذلك الوقت تعكس القوة والأنظمة المسيطرة، وكان السجن نتيجة للتفاعل مع الأنظمة السائدة ونظام البقاء للأقوى.

كان الشعراء في العصر الجاهلي جزءًا مهمًا من المجتمع. يُعتبرون صوت قبيلتهم وممثلها بين القبائل الأخرى،. ومن بين الشعراء الذين تحدثوا عن معاناة السجن وشوقهم للحرية، كان الشاعر عدي بن زياد العبادي[٢١] من أول من كتبوا عن هذه التجارب في قصائد. كتب عدي عدة قصائد تعبر عن شكواه ومعاناته، ومنها القصيدة 'ألا من مبلغ النعمان عني[٢٢]' التي أرسلها إلى عمه النعمان، حيث برّأ نفسه من تهم الآخرين وأكد ولاءه لملكه. يقول فيها:

"ألا من مبلغ النعمان عني وقد تهدي النصيحة بالمغيب
أحظي كان سلسلة وقيدا وغلا والبيان لدى الطيب
أتاك بأنني قد طال حبسي ولم تسأم بمسجون حريب
وبيتي مقفر إلا نساء أرامل قد هلكن من النّحيب

[٢١] كان شاعرا نصرانيا من أهل الحيرة، كان من دهاة الجاهلية، أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى.
[٢٢] قصيدة رومانسية من تأليف الشاعر عدي بن زيد.

يبادرن الدّموع على عدي كشنّ خانه خرز الربيب
فإن أظلم فقد عاقبتموني وأن أظلم فذلك من نصيبي
فإني قد وكلت اليوم أمري إلى ربّ قريب مستجيب"[٢٣]

نلاحظ أن مسحة الحزن ومرارة الألم طغت على شعره وتمكن منه الاستسلام في الأخير بأن فوّض أمره لله عزوجل. في قصيدة أخرى، بعد أن طالت لياليه وتجاوزته الهموم، وهو ينتظر فجرًا يجلب النور، فإن ليل السجن يبدو طويلًا للغاية، حيث يغمره الحزن والملل والسهر في انتظار الفرج الذي يبدو محبطًا. فالقتال الداخلي والعزلة النفسية في سجن مظلم يسلب النوم من العيون، يعبر عنه الشاعر عدي بن زياد في قصيدة 'طال ذا الليل علينا واعتكر' قائلا:

"طال ذا الليل علينا واعتكر وكأني ناذر الصبح سمر
إذا أتاني نبأ من منعم لم أخنه والذي أعطى الشّبر
من نجيّ الهمّ عندي ثاويا ولقد ما ظنّ بالليل القصر
لم أغمض طوله حتى انقضى أتمنى لو أرى الصبح شجر"[٢٤]

وهذا الشاعر الكبير'عنترت بن شدّاد العبسي' قبض عليه عند 'المناذرة'[٢٥] وأودع السجن السجن فقال:

"ترى علمت عبيلة ما ألاقي من الاهوال في أرض العراق
طغاني بالرّبا والمكر عمي وجار علي في طلب الصّداق"[٢٦]

[٢٣] واضح الصمد: السجون وآثارها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١،١٩٩٥،ص:١٠٩-١١٠.
[٢٤] واضح الصمد: السجون وآثارها في الآداب العربية، ص:١١٠.
[٢٥] هي مملكة عربية، عاصمتها الحيرة، وواحدة من المماليك العربية الثلاث التي ظهرت في بلاد الرافدين قبل الإسلام،
[٢٦] واضح الصمد: السجو وآثارها في الآداب العربية، ص ١٦.

في عصر صدر الإسلام:

تغيرت الأوضاع والأحداث في هذا العصر مع ظهور الرسول صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن الكريم، الذي منع قتل النفس بدون سبب. هذا أدى إلى أن تصبح السجون أو الأسر عقبات أمام الأمور الدينية والعبادية. بالطبع، شهد هذا المفهوم تطورًا كبيرًا نحو الإنسانية والرحمة مستمدًا من تعاليم الدين الإسلامي.

هناك يستحق الإشارة اعتقال الشاعر المشهور 'الحطيئة'[٢٧] على يد الخليفة 'عمر بن الخطاب' رضي الله عنه، كعقوبة له على هجائه للناس، حيث كان يتميز بسوء الأخلاق والسفاهة، وكان يتقن فنون الثناء والانتقاد. وفي محاولة لاستعطاف الخليفة والاعتذار، ألقى الحطيئة بعض الكلمات التي امتلأت بالتواضع والاعتذار في سجنه:

"ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
أهلى فداؤك كم بيني وبينهم من عرض داوية يعمي بها الخير
أليقت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفرعليك سلام الله يا عمر
أنت الأمين من بعد صاحبه ألقت إليك مقاليد النّهى بشر"[٢٨]

وسجن الخليفة 'عثمان بن عفان'- رضي الله عنه- الشاعر 'ضابئ بن الحارث البرجمي' حيث قال وهو في سجنه:

"من يك أمسى بالمدينة رحله فإني وقيار بها لغريب
وما عجلات الطّير تدني من الفتى رشادا ولا عن ريئهن يخيب"[٢٩]

[٢٧] هو أبو مليكة جورل بن أوس المعروف باسم الحطيئة، شاعر عربي مخضرم من أهل نجد .
[٢٨] واضح الصمد: السجون وآثارها في الآداب العربية،ص:٣٢
[٢٩] واضح الصمد: السجون وآثارها في الآداب العربية، ص:٣٤.

في العصر الأموي:

في زمن الخلفاء الراشدين، وبعد وفاة 'علي بن أبي طالب' رضي الله عنه، انتهى هذا العصر وانتقلت الخلافة إلى الأمويين. أدى ذلك إلى تقسيم المسلمين إلى مجموعات مؤيدة ومعارضة للحكم الأموي. تُعتبر هذه الفترة من العصر الأموي الأكثر عنفًا ودموية في التاريخ العربي بسبب النزاعات حول السلطة. فأصبح الاعتقال والقتل والتعذيب والتنكيل أمورًا شائعة تُمارَسُها السلطة الحاكمة ضد خصومها السياسيين.

ومن الشعراء الذين تعرّضوا للسجن الشاعر'يزيد بن مفرغ الحميري'[٣٠] ومن شعره:

"دار سلمى بالخبث ذي الأطلال كيف نوم الأسير ذي الاغلال
أين منـي السلام من بعد نـأي فارجعي لـي تحيّتي وسلامـي
أين لا أين جنّتـي وسلاحـي ومطايا سيّرتها لارتحالـي"[٣١]

من خلال هذه القطعة نرى كيف أنه كان يعاني من القيود لأنه لا يستطيع الحراك ولا حتى النوم براحة وهدوء. ويحاول الشاعر أن يقول من خلال أبياته أيضا:

"أيها الملك المرهب بالقتل بلغت النّكال كلّ النّكال
فاخش نارا تشوي الوجوه يوما يقذف الناس بالدواهي الثقال
قد تعدّيت في القصاص وأدر كت ذخولا لمعشر أقتال
وكسّرت السين الصحيحة مني لا تذلني فمنكر إذلالي
وأطلتم مع العقوبة سجنا فكم السجن؟ ومتى إرسالي
يغسل الماء ما صنعت وقولي راسل منك في العظام البوالي"[٣٢]

[٣٠] شاعر أموي، لقب مفرغا لأنه راهن على سقاء من لبن فشربه حتى فرغه. توفي ٦٩هـ
[٣١] واضح الصمد، السجون وآثارها في الآداب العربية، ص:٣٤.
[٣٢] واضح الصمد: السجون وآثارها في الآداب العربية، ص: ٤٥.

يقول الشاعر في هذه الأبيات إنه يخفف عن نفسه من مصيبة السجن بالتذكير بعذاب الآخرة، ومواساة نفسه بنوع من التحدي بأن ما نظمه في هجاء خصومه باقٍ، بينما عذابه سيفنى يومًا ما لا محالة.

في العصر العباسي:

وفي العصر العباسي، كانت صورة السجن تتسم بالعديد من الجوانب المعقدة. عُرف هذا العصر بالازدهار الثقافي والفكري، لكنه أيضًا شهد استخدام السجون كوسيلة للسيطرة السياسية والقمع. شهدت هذه الفترة تطورًا كبيرًا في الحياة، بما في ذلك الجانب السياسي بشكل عام والمؤسسات العقابية بشكل خاص. مع انفتاح الحضارة العباسية على ثقافات أخرى وجذب الناس من أماكن مختلفة وتبادل الثقافات بين العرب وغيرهم مثل الهنود والفرس والترك، أصبح من الضروري وضع المزيد من القوانين والضوابط لتنظيم الحياة في ذلك الوقت.

فكانت الدولة العباسية تطلب الولاء والانتماء، وكل من خالف هذا الأمر أو تمرد على سياسة العباسيين كان له السجن كعقاب. سُجلت حالات كثيرة في الحركة الشعرية لدخول الأدباء السجن بسبب خروجهم عن القوانين والآداب العامة. ومن بين هؤلاء الشعراء مثل 'علي بن الجهم'[٣٣] الذي أقر به الخليفة ولكن حُكم عليه بالسجن ونفي إلى 'خراسان'[٣٤]. هناك، قبل بقدره وكتب قائلا:

"توكّلنا علـى ربّ السمـاء وسلمنا لأسبـاب القضـاء

ووطنا علـى غير اللّيالـي نفوسا سامحت بعد الإباء"[٣٥]

وفي سجنه، عبّر عن نفسه بشعر يتحدى، حيث وصف نفسه بسيف لا يزال حادًا وقويًا بلا عيب. ولم تمنعه تجربة السجن ومعاناته من عزيمته، أما جعلته أكثر إصرارًا. ولم يجد في ذلك إلا فخرًا وتفاخرًا لمن لم يرتكب ذنبًا، حيث قال:

[٣٣] أديب وشاعر من أهل بغداد في العصر العباسي، كان معاصرا لأبي تمام.
[٣٤] إقليم قديم يشمل إيران وأفغانستان وبعض مناطق آسيا الوسطى.
[٣٥] حسن سليم نعيسة: وراء القضبان،ص:١٠٧.

"قالوا حبست قلت ليس بضائري حبسي وأيّ مهنّد لا يغمد"[٣٦]

لم يكن هناك شاعر عربي مشهور في مجال النفي والسجن مثل 'أبي فراس الحمداني' ورومانسياته، التي عبّرت عن معاناة الأسر والشوق وألم الغربة والتهجير. أثناء عودته، تم أسره على يد الروم أثناء الصيد مع حاشيته، وتأخر 'سيف الدولة' في إنقاذه، فبدأ يرسل له قصائد تطلب الشفقة ويطلب من والدته الصبر. ومن بين ما قاله:

"مصابي جليل والعزاء جميل وظنّي بأن الله سوف يديل
جراح وأسر واشتياق وغربة أحمل إني بعدها لحمول
جراح تحاماها الأساة مخافة وسقمان باد منهما ودخيل
وأسر أقاسيه وليل نجومه أدى كل شيئ غيرهن يزول
تطول بي السّاعات وهي قصيرة وفي كل دهر لا يسرك طول"[٣٧]

وينتقد معاتبًا بشدة سيف الدولة الذي لم يستجب لنداء الأمة، موضحًا الفارق بين حياة الخليفة الراحلة وحياة السجن الذي هو محبوس فيه، فيقول:

"بأي عذر رددت والهة عليك دون الورى معوّلها
جاءتك تمتاح ردّ واحدها ينتظر الناس كيف تقفلها
تلك المودّات كيف تهملها تلك المواعيد كيف تغفلها
يا واسع الدّار كيف توسّعها ونحن في صخرة نزلزلها
يا ناعم الثوب كيف تبدله ثيابنا الصّوف ما نبدّلها؟
يا راكب الخيل لو بصرت بنا نحمّل أقيادنا وننقّلها"[٣٨]

[٣٦] حسن سليم نعيسة: شعراء وراء القضبان،ص:١٢٩.
[٣٧] أبو فراس الحمداني: الديوان، جم: سامي الدهان، مكتبة الدكتور مروان العطية، ج٢، بيروت، د،ط،١٩٤٤،ص:٣٢٥.
[٣٨] أبو فراس الحمداني، : الديوان، جم: سامي الدهان، مكتبة الدكتور مروان العطية، ج٢، بيروت، د،ط،١٩٤٤،ص٣٣٢.

وعندما ينفصل الشاعر ويتأمل وحدته وسجنه، يكتب أجمل الأشعار، ويستحضر المشاعر ويحرّك القلوب. ومن بين أجمل المقاطع التي قالها في السجن، تلك التي سمع فيها صوت حمامة في إحدى الليالي، يقول:

"أقول وقد ناحت بورقي حمامة أيا جارتا هل بات حالك حالي
معاذ الهوي ما ذقت طارقة النّوى ولا خطرت منك الهموم ببالي
أيا جارتا ما أنصف الدّهر بيننا تعالي أقاسمك الهموم تعالي
أيضحك مأسور وتبكي طليقة ويسكت محزون ويندب سالي
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلة ولكن دمعي في الحوادث غال"[٣٩]

في المجمل، كانت صورة السجن في العصر العباسي تمثل تداخلًا بين الألم والكرامة، تعددت أسباب السجن، بما في ذلك المعارضات السياسية والجرائم الاجتماعية، وكانت السجون تعكس التوترات بين الحكام والمحكومين. كما تميزت أشعار العديد من الشعراء، مثل الشاعر أبو فراس الحمداني وأبو الطيب المتنبي، بتصوير معاناتهم وتجاربهم في السجن، حيث عبّروا عن الحزن والشوق، ولكن أيضًا عن الكبرياء والتحدي.

في العصر الأندلسي:

انتشرت السجون بين الأندلسيين كما في أماكن أخرى، حيث أُسر فيها بعض الأمراء والشعراء والجنود الذين عاشوا حياة صعبة وضيقة. من بين هؤلاء، كان هناك من أثبتوا أنهم الأفضل داخل هذه الأسوار الذين نجحوا في التعبير عن آلامهم ومشاعرهم بالكتابة. استطاعوا تجاوز الجدران والقضبان وتخفيف العبء الثقيل عن كاهلهم، وتركوا خلفهم آثارًا مهمة تلهم الباحثين والدراسين. من بين هؤلاء الشعراء 'ابن زيدون' الذي سُجن بسبب رسالة هزلية أرسلها إلى الوزير 'أبو عامر بن عبدون'. بينما

[٣٩] أبو فراس الحمداني، الديوان، ص: ٣١٣.

كان يعاني في السجن، عبّر عن آلامه وهو مؤمن بأن حالته ستتحسن، يقول في قصيدته 'ما على ظني باس':

"إن قسا الدهـر فللـمـا ء من الصخـر انبجـاس
ولئـن أمـسيـت مـحـبـو سا فـاللـغيـث احتبـاس
فـتأمل كيـف يغشـــــى مقلــة المجــد النعــاس
واغتنم صفـو الليالـــي إنمـا العيـش اخـتــلاس
وعسى أن يمسح الدهر فقد طـال الـشمـــاس"[٤٠]

وهذا الأمير الشهير 'المعتمد بن عباد'[٤١] الذي قال الكثير في شعر السجون في قالب وجداني مرهف، نقل لنا من خلاله همومه بسبب ما يعانيه تحت وطأة السجن، مستعطفًا تارة أخرى حيث يقول مشبّهًا القيد بالثعبان، راجيًا الرحمة منه، يقول الشاعر المعتمد بن عباد:

"وقد كان كالثعبان رمحك في الوغى فغدا عليك القيد كالثّعبـان
مـتـمـــــدّد بـحـذاك كـــل تـمـدّد متعطّفا لا رحمة للعانـــي

ويقول في الرّدّ على من أشاد إليه بالخضوع والاستسلام:

قالـوا الخضـوع سياسـة فليبد منـك لهـم خضـوع
وألذّ من طعم الخضـوع على فمـي السّمّ الـنّـقيـع"[٤٢]

خلال هذه الصفحات، استعرضنا محطات تاريخية بسيطة ومختصرة حول تطور صورة السجون في التاريخ العربي، مسلّطين الضوء على أبرز الشعراء الذين خاضوا تجربة السجن، مبينين مشاعرهم بين الحنين والحزن والمعاناة والتحمل.

[٤٠] حسن سليم نعيسة: شعراء وراء القضبان، ص:١٥٩
[٤١] شاعر وعميد ملوك الطوائف في الأندلس، حياته (١٠٤١-١٠٩٥م)
[٤٢] سالم المعوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، ص:١٥٩.

في العصر الحديث:

وفي العصر الحديث، تطورت صورة السجون بشكل ملحوظ، حيث أصبحت تُعتبر جزءًا من النظام القانوني والعدالة الجنائية. ومع ذلك، تختلف حياة السجن اختلافا كبيرا عن الحياة القديمة في طبيعتها وأسلوبها ، فقد تزايد الوعي بحقوق الإنسان أدى إلى التركيز على تحسين ظروف السجون، بما في ذلك حق المعتقلين في العيش بكرامة والحصول على الرعاية الصحية. وبدأت برامج إصلاحية تهدف إلى إعادة تأهيل السجناء بدلاً من مجرد معاقبتهم. يشمل ذلك توفير التعليم والتدريب المهني. وتُعطى أهمية أكبر للعدالة التصحيحية، التي تركز على إصلاح الجناة ومساعدتهم في العودة إلى المجتمع كأفراد صالحين.

شهدت هذه الفترة قضايا السجون تطورًا كبيرًا يتمثل التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية في العالم العربي والغربي على حد سواء. ترسخت أدبيات السجون كمصدر للتعبير والمقاومة والدفاع ضد الظلم والقمع والاضطهاد. نرى في هذا العصر عدة صور التي تجسد تجربة السجن وأثرها على الأدباء والشعراء والكتاب.

يمكن أن تكون هذه الصور تمثيلات للكتّاب وهم يكتبون في زنازينهم، أو قصائد مكتوبة على جدران السجون، أو لوحات تعبر عن حياة السجن وتجارب الألم والأمل. كما يمكن أن تكون صورًا للاجتماعات بين السجناء وزياراتهم، ومظاهر الصمود والإصرار في مواجهة الظروف الصعبة. تعكس هذه الصور تاريخًا حيًا وملموسًا لتجربة السجن في العصر الحديث، وتوثق الروح الثورية والإرادة القوية للكتّاب والشعراء والمثقفين الذين رفضوا الصمت والانحناء أمام القمع والظلم.

الفصل الثاني

الفنون وسماتها في السجون

في كل فن تمكن أساسيات الحرية، حيث يجد الفنان فيها القوة للإبداع. إذا لم يتمتع الفنان بالحرية، فلا شك إنه لن يستطيع تحقيق الإبداع الحقيقي. الفن الحقيقي يجب أن يكون قادرا على كسر كل القيود والحواجز حيث يتجاوز الحدود المفروضة عليه. وعلى الفنان أن يكون حرًا في ذاته، وأن يبتكر أعمالاً تنادي بالحرية وتناضل من أجلها، حتى وإن كان محصورًا بالقيود والحواجز، فإن روحه ستظل حرة ومتمردة.

يعتبر الباحث أن طموح الأسير للحرية واهتمامه بالثقافة عامة وفي الأدب خاصة، تساعده على استكشاف آفاق واسعة، ويرفع هذا الاهتمام روحه نحو فضاءات شاسعة. يرى الفن طريقا لتجاوز الصعوبات التي يواجهها السجناء كما يُمثل وسيلة للتعبير عن مشاعرهم ومعاناتهم. وللفن يد كريمة لشفاء ما في قلوب الإنسان من الأحزان والهموم وإزالة الأفكار السلبية وتغريس الإيجابيات في مجالات حياة الإنسان كلها. ومع كل نشاط فني، يجسد السجناء آمالهم في الحرية المنتظرة، ويعبرون عن رغبتهم في الاندماج مجددًا في المجتمع. يظهر الأدباء أفكارهم ووجهات نظرهم من خلال أشكال أدبية فنية مثل الرواية والقصة والشعر والمقالات والمسرحيات وما إلى ذلك.

الشعر

يعتبر شعر السجون أو الحبسيات جزءًا من أجزاء الشعر الغنائي، حيث يوضح الشاعر فيه عن مشاعره الشخصية، مثل الحب والشيخوخة وحب الوطن وسوء الحظ والصداقة والآمال والذكريات والعواطف الشخصية. يتميز شعر المعتقلين بأنه يندرج ضمن مسرحية المعركة الشعرية، حيث يواجه الشاعر بشكل مقاوم مواقف القمع والفساد، ويتصدى للسلطة الحاكمة وأجهزتها المختلفة. تتنوع المواضيع في شعر السجون ضمن

الأدب العربي، ومن بين أشهر الشعراء في هذا النوع مثل أبو نواس[٤٣] وأبو فراس الحمداني[٤٤] وأبو العتاهية[٤٥] والمعتمد بن عباد ومعروف الرصافي[٤٦] والطيب العلوي[٤٧] ومحمود درويش[٤٨] وأحمد محمود الشامي[٤٩] وأحمد سحنون[٥٠] وسميح القاسم[٥١] ومحمد المهدي الجواهري[٥٢] وأحمد الصافي النجفي[٥٣] وغيرهم.

الرواية والسجن

الرواية هي فن سرد الأحداث والقصص حيث تجسد العديد من الشخصيات، وتتنوع في انفعالاتها وخصائصها الفريدة، وتعتبر من أرقى وأجمل فنون الأدب النثري بمميزات حداثتها في الشكل والمضمون كما تبرز في التأمل في مختلف المواضيع والقضايا سواء كانت أخلاقية أو اجتماعية أو فلسفية. يرى الناقد والأستاذ د. عبد الخالق العف[٥٤] يقول"أن الرواية هي أكثر الأنواع الأدبية تعبيرًا عن حالة الاعتقال مقارنة بالأنواع الأدبية الأخرى التي نشأت خارج السجون. وقد برز عدد من كتاب الرواية من بين السجناء، ومن بينهم الروائي والأديب وليد الهودلي[٥٥]، الذي كتب العديد من الروايات، من بينها رواية 'ستائر العتمة'[٥٦] التي اتسمت بمناقشة تجارب الاعتقال والتحقيق وظروف السجن"[٥٧].

[٤٣] هو أحد أهم الشعراء العباسي الأول، ولد في الأهواز في إيران، توفي في عام ٨١٤م.
[٤٤] هو شاعر وقائد عسكري عربي من العهد العباسي.
[٤٥] هو الشاعر في العصر العباسي، عرف بشعر الزهد، ولد في عام ٧٤٧م وتوفي ٨٢٨م.
[٤٦] هو شاعر الثورة والأدب في العراق في عصر الحديث.
[٤٧] هو كاتب صحفي مصري مولود في عام ١٩٧٣.
[٤٨] شاعر فلسطيني وعرف في أدب المقاومة والسجون في العصر الحديث.
[٤٩] هو شاعر وناقد ومؤرخ يمني، فترة حياته ما بين (١٩٢٤-٢٠٠٥م).
[٥٠] أديب وشاعر جزائري، حياته بين (١٩٠٧-م٢٠٠٣).
[٥١] هو أحد أبرز الشعراء الفلسطينيين والعرب المعاصرين، فترة حياته ما بين (١٩٣٩-٢٠١٤م).
[٥٢] شاعر عربي عراقي، يعد من بين أفضل الشعراء العرب، وكانت حياته بين (١٨٩٩- ١٩٩٧م).
[٥٣] هو شاعر عراقي في العصر الحديث، عرف بكتابة أدب السجون والمعتقلات.
[٥٤] هو الأستاذ الدكتور الشهيد عبد الخالق محمد العفّ الفلسطيني، ولد في غزة عام ١٩٦١.
[٥٥] وليد إبراهيم عبد الله الهودلي، هو كاتب وأديب فلسطيني.
[٥٦] هي رواية عربية من تأليف الأسير وليد الهودلي في عسقلان عام ٢٠٠١.
[٥٧] عبد الخالق العف: دراسات في الشعر الفلسطيني المقاوم، (د.ط)، رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين، ص ١٨٩.

يطلق مصطلح 'أدب السجون' على الأعمال الأدبية التي تروي قصة شخص تعرض للحبس في مكان لم يختاره بإرادته، يمكن أن تتخذ هذه الأعمال شكل الرواية أو الكتاب أو المذكرات، الكتابات والإبداعات مستمدة من التجارب الشخصية الغنية تارة من تجارب الآخرين الذين شربوا مرارة الحبس القضبان بصورة واقعية حية، ونفس الوقت بعض الكتاب يركزون أذهانهم وأفكارهم في عوالم خيالية منسوجة بالأحلام والآمال. وكان للرواية أثر بالغ في تسليط الضوء على ميادين الحياة كلها. ومن أهم المؤلفات التي تتناولت أدب السجون في صورة ممتعة مثل 'رواية القوقعة'[٥٨] ورواية 'يسمعون حسيسها'[٥٩] ورواية 'شرق المتوسط'[٦٠].

المسرحية

وفي نهاية السبعينيات اهتم الأدباء بالمسرحية السجنية كما اعتنى بأشكال الفنون الأخرى. خلال هذه الفترة بدأت محاولات لتأليف المسرحيات القصيرة بشكل الأمسيات الترويحية الأسبوعية. وكانت هذه المسرحيات تأتي استجابة للتسلية والترويح التي تخفف التوتر وإزالة الرتابة والخمود، ومع ذلك إلى كونها محاولة فنية لإعادة النشاطاط والحيوية للأسرى لاستقبال يوما منتعشا.

يقول الكاتبة رأفت حمدونة "وكانت هناك عرف مثل زنازين سجن بئر السبع، حيث كانت يُقام فيها مسرحيات، منها مسرحية 'زنبقة الدم' التي تناولت حكاية فتاة تعرضت للاعتداء الجنسي من قبل دخلاء على ثورة القطاع. كما قامت الأسيرات في سجن 'نفيه تريتسا' بتقديم مسرحيات، من بينها مسرحية 'فدائي جريح'. وكان المعتقلون يشاركون في كتابة النصوص وتنظيم المسرحيات، ويتم توفير مواد الديكور من أدوات الغرفة.

[٥٨] رواية مشهورة من تأليف مصطفى خليفة، هو روائي سوري.
[٥٩] "يسمعون حسيسها": هي الروية لأيمن العتوم، الكاتب الأردني، هي من واحدة من أهم المؤلفات عن جدران السجن.
[٦٠] روية للأديب المشهزر عبد الرحمن منيف السعودي، هي من أهم المؤلفات عن أدب السجون .

وبالرغم من أن السجون لم تقبل هذا النشاط واعتبرته تحديًا لسلطتها، فإن المسرحيات والحفلات كانت تُقام في الليل.

الخاطرة

أبدع الأسرى في كتابة الخواطر الأدبية، حيث صاغوا الكلمات ببلاغة وامتازت بكثرة المحسنات البديعية من صور واستعارات وتشبيهات. تصنف الخواطر أدبيًا في مكان يمتد بين القصة القصيرة والشعر الحر، وتتنوع في ثلاثة أنماط رئيسية: الخاطرة الرومانسية، والخاطرة الوجدانية، والخاطرة الإنسانية. كتب الأسرى في هذه الأنماط، وأكثرها تركيزًا على الخاطرة الإنسانية التي تسلط الضوء على قيم الصداقة والأخلاق الفاضلة والتضحية والوطنية. هناك اهتم عدد كبير من الأسرى بهذا النوع من الأدب، وكتبوا مجموعات من الخواطر في أوقات الظلام، سواء بين أنفسهم أو لبعضهم البعض، وهم كانوا يتبادلونها خلال المراسلات والمسابقات وصفحات المجلات العربية.

الرسالة

نجح الأسرى الفلسطينيون في السبعينيات بعد جهود نضالية مكثفة في استعادة حقوقهم في مراسلة أسرهم عبر الصليب الأحمر الدولي، ومن ثم عبر البريد الرسمي. في البداية، كانت الرسائل تحتاج إلى تقليصها إلى أقل من عشرة سطور، ولكن مع مرور الوقت وتطور القدرات الأدبية للأسرى، تحولت الرسائل إلى نصوص أدبية تعبر عن مشاعرهم وأفكارهم.

وكان الأسرى يلجؤون إلى الأساليب الأدبية مثل الاستعارة والألغاز والتمويه هدفا لتجنب الرقابة، ولكن بعضهم بدأوا بناء الأسلوب الأدبي بشكل كامل بعد اكتشاف مواهبهم الأدبية خلف القضبان. وتطورت الرسائل بشكل لافت، حيث تحولت من وسيلة

بسيطة للتواصل مع الأهل إلى نصوص أدبية راقية، بما في ذلك قصائد شعرية وخواطر وقصص قصيرة. والأسرى يمزجون بين الجانب الشخصي والعام في رسائلهم، وتطورت قدرات الكتابة لدى العديد من الأسرى بوجه ملحوظ، حيث يعبرون عن أفكارهم ومشاعرهم بشكل أدبي عميق.

الفنون والموسيقى

عالج الأسرى الفنون والموسيقى في إبداعاتهم الفنية السجنية حيث تم تلحين النصوص العربية والقصائد الشعرية على شكل زجل وأناشيد وأغانٍ وطنية. ومن الملاحظة، أن للتراث الشعبي له مكانة مرموقة بين أسرى الثورة، فكانت الدبكة والزجل منتشرة في جميع السجون. ولم يكن هناك سجن خالٍ من المناضلين الذين كانوا يتمتعون بالقدرة على تأليف الزجل العاطفي والسياسي. كما كان المعتقلون ينظمون حفلات غنائية مرة في الأسبوع على الأقل، كلها تكون مليئة بالمرح والإثارة للجميع.

أضفت الأمسيات الفنية البسيطة الدفء إلى جو السجن البارد دائمًا، حيث كانت الأغاني والشعر تلمس القلوب المعذبة إلى عوالم أخرى بلا حواجز وقيود. وفي هذه الأمسيات، كانت الضحكات تعلو كما لو كانت تغسل حتى أقصى درجات الحزن المتراكم في الواقع. كما كانوا يؤدون الأناشيد الوطنية بأصوات التي تحمل روح الثورة، وكثيرًا ما كان الزوار والسجناء المرضى في مستشفى سجن الرملة يسمعون أصوات النساء الثائرات المسجونات، وهي تعبّر بحماس عن حب الوطن والانتماء للقضية. ووجد المعتقلون لأنفسهم مجالات جديدة، ففي الموسيقى، كانت آلات الشبابة والموجز والأرغول تسيطر كونها الأدوات الموسيقية الوحيدة التي كان بإمكان المعتقلين صنعها من أنابيب التمديدات الكهربائية المستخرجة من الجدران"[٦١].

[٦١] مقالة: 'أدب السجون الخصائص والمميزات'، الأسير المحرر الدكتور رأفت حمدونة. https://eljadidelyawmi.dz08/28/2019

الفصل الثالث

الشعر العربي في السجون والمعتقلات

يُعتبر الشعر وسيلة فعالة للتعبير عن العواطف والأحاسيس بفضل إيقاعه الخاص وجماليته الصوتية، مما يؤثر على تلقي القارئ له، يعتمد الشعر على المجازات والاستعارات، مما يعبر عن الأفكار والمشاعر بطرق عميقة وثرية. كما يعكس المشاعر الداخلية بصدق أكبر، ويشجع القارئ على التفاعل لفهم معانيه. هذه الميزات تجعل الشعر فنًا مميزًا ومؤثرًا. وفي هذا السياق، عندما نعود إلى أدب السجون، لا شك أن تجارب السجون حين تُعرض من خلال الشعر فهي تكتسب بُعدًا وعمقًا لا مثيلا ولا نظيرا لها.

كان الشعر في السجون والمعتقلات يعبر عن الحادثة المؤلمة بصورة فعّالة، وفي هذه البيئة يمثل الشعر العربي تعبيرًا عن النضال والمقاومة، حيث ينبثق من غمرات الظلم والقهر ليصوّر حالات الحرمان والاضطهاد. يقول محمد مفيد قمحية "يظهر الشعراء السجناء في السجون آلامهم وتحدياتهم من خلال قصائدهم، يروون فيها قصص الهموم والألم والآمال والشجاعة في مواجهة الظلم والظروف الصعبة. بالطبع، ولدت فيها مواضيع شعرية مختلفة مرتبطة بالوطنية مثل الحب والحرية والعدالة والتراث الثقافي والإنساني"[٦٢]. يعتمد الشعراء السجناء على قوة الكلمة وجاذبيتها لنقل رسالتهم وتأثيرها على الشعب والقرّاء والمستمعين، وتظل قصائدهم تجسيدًا للروح الحرة التي لا تنحني مهما تم استباحة حريتهم.

وهذا الشعر المعتقل يختص بالصدق والعمق في المعنى، لأنه ينشأ من القلوب المخيبة وأرواح مكسورة. يعكس الشعراء السجناء آلامهم وآمالهم مع مشاعر الحرمان والإيمان

[٦٢] محمد مفيد قمحية، الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ص ١١٤.

بالعدالة والحرية حيث يتشكل كلامهم بشغف وعاطفة. يقول عبد الستار القاسم في كتابه التجربة الاعتقالية في المعتقلات الصهيونية "وتترجم أبياتهم العميقة إلى أعماق النفس بتصويرهم الحنين إلى الوطن والحرية والأحلام التي تتلاشى في ظل القمع والظلم. ويعكس أيضا مشاعر العزلة والإحباط، ولكن في الوقت نفسه تتجلى روح الصمود والأمل فيها"[٦٣]. وفي هذا الصدد، يجد الشاعر نفسه محاصرًا بين الجدران الصامتة ومشاعر بالانسحاق والتلاشي بسبب الصمت المطبق في الفجوة الصغيرة والباب الحديدي.

إذ يبدأ الشعراء في التكيف مع هذا المكان الضيق تنطلق الشعراء حناجرهم وقلوبهم وأقلامهم بأجمل وأرق الأشعار. يشهد التاريخ أن هذه الظاهرة كانت موجودة منذ العصور القديمة، حيث يقول الأديب رئيف خوري[٦٤] أن عدي بن زيد حبسه الملك النعمان ثم قتله بطريقة مروعة، ولكنه ترك قصيدته كمدونة لمأساته قبل وفاته، حيث قال:

"ألا من مُبلغ النعمان عنّي ... وقد تُهوى النصيحةُ بالمغيب
أُحظّي كان مشكلةً وقيدًا ... وغُلاًّ والبيانُ لدى الخطيب
أتاك بأنّني قد طال حبسي ... فلم تسأل بمسجون حريب
وبيتي مقفز الأرجاء فيه ... أرامل قد هلكن من النحيب
فإن أظلم فقد عاقبتموني ... وإن أظلم فذلك من نصيبي"[٦٥]

في حقبة العصور الوسطى، يتألق الشاعر الفارس أبو فراس الحمداني بإبداعاته داخل السجون، وتبقي قصيدته متجددة حتى اليوم. يتناول أبو فراس في قصائده مواضيع متنوعة تتراوح بين الألم والشوق والحب والشجاعة. يقول:

"أراك عَصيَّ الدمع شيمتك الصبرُ ... أما للهوى نهيٌّ عليك ولا أمر
بل أنا مشتاق وعنديَ لوعة ... ولكنّ مثلي لايذاع له سرّ
إذا الليل أضواني بسطت يد الهوى ... وأذللت دمعا من خلائقه الكبرُ
تكاد تضيئ النار بين جَوانحي ... إذا هي أذكتها الصبابة والفكر"[٦٦]

[٦٣] عبد الستار قاسم: التجربة الاعتقالية في المعتقلات الصهيونية، دار الأمة للنشر، بيروت، ١٩٨٦، ص ٨٧.
[٦٤] هو أديب ومفكر وصحافي وشاعر وقاص وناقد لبناني.
[٦٥] عدي بن زيد: ديوان "العصر الجاهلي"،

وفي العصر الحديث، لا يوجد اختلاف في هذه الأمور المذكورة، فالسجن هو مقر للألم والمعاناة، فهي تظل واحدة ومتشابهة. وفي هذا السياق يتناول الباحث ثلاثة شعراء الذين تأثروا بتجربة السجن إذ يسيطر على قصائدهم الحنين والحزن والشعور بالغربة. الشاعر الحزين بدر شاكر السياب عاش في وسط الأحزان واليتم، وواجه السجن والملاحقة والمحاكمة، وسرعان ما أصابه التشرد والفقر والمرض. ولما رأى أنه سيسجن ويتعطل معيشته هرب من العراق إلى الكويت وكتب العديد من القصائد مثل 'المومس العمياء'[٦٧] و'غريب على الخليج'[٦٨] و'أنشودة المطر'[٦٩] و'أسلحة الأطفال'[٧٠] وغيرها. تميزت قصائد السياب بالألم والحزن والحنين للأهل والوطن. ومن أبيات قصيدة 'غريب على الأجنبية':

"تحت الشموس الأجنبية
متخافق الأطمار، أبسط بالسؤال يدا نديّة
صفراء من ذل وحمى، ذل شحاذ غريب
بيــن الـعيـون الأجنبيــة
بين احتقار، وانتهار، وازورار أو خطيّة
والموت أهون من خطيّة
من ذاك الإشفاق تعصره العيون الأجنبية
قطـرات مـاء معـدنيــة
فلتطفي، يا أنت، يا قطرات، يا دم، يا...نقود
يا ريح، يا إبرًا تخيط لي الشراع، متى أعود
إلي العراق؟ متى أعود؟"[٧١]

ومن بين الشعراء المتأثرين بتجربة السجن يأتي الشاعر عبد الله البردوني[٧٢] الذي عوقب بشدة في السجن حيث لم يعتبر إعاقاته البصرية أو مرضه استبعادا من القيود. يصرخ من عمق الزنزانة معبرًا عن معاناته وهمومه ومأساته:

---

[٦٦] الديوان: العصر العباسي، أبو فرلس الحمداني، قصيدة "أراك عصي الدمع شيمتك الصبر".
[٦٧] قصيدة الشاعر بدر الشاكب السياب، هي تمثل قضايا الحب والغرام بطريقة شاعرية متميزة.
[٦٨] قصيدة للسياب تعبر عن غربة الشاعر وشوقه لبلده.
[٦٩] قصيدة للسياب عام ١٩٥٤، تميز بين هم الشاعر الشخصي وهمه الوطني.
[٧٠] قصيدة للسياب، يعالج مشكلة الحروب في العالم ويدافع عن السلام وحق الأطفال.
[٧١] ديوان بدر شاكب السياب العراقي، " الأعمال الشعرية الكاملة"، ص ٦٤.

"هدني السجن وأدمى القيد ساقي فتعاييت بجرحي ووثاقي
وأضعت الخطو في شوك الدجى والعمي والقيد والجرح رفاقي
في سبيل الفجر ما لا قيت في رحلة التيه وما سوف ألاقي
سوف يفنى كل قيد وقوى كل سفاح وعطر الجرح باقي"[٧٣]

محمد مهدي الجواهري، تعرض أيضا للسجن واضطر لمغادرة وطنه بحثًا عن الأمان خارج حدوده. قضى نصف حياته في منفى بعيد عن وطنه، وكان لهذه التجربة تأثيرٌ راسخ على شخصيته حيث كان مشبعا بحب الوطن، سواء كان مقيمًا في أرضه أم مشردًا بعيدًا عنه:

"سقى تربها من ريق المزن هطال ديارا بعثن الشوق والشوق قتال
وما سرني في البعد حال تحسّنت بلادي أشهى وإن ساءت الحال
فمن شاقه برد النعيم بفارس فإني إلى حرّ العراقين ميّال
أحب حصاها وهو جمر مؤجج وأهوى ثراها وهو شوك وأغال"[٧٤]

يقدم الشاعر عباس محمود العقاد رؤية عن تجربة شعر السجون حيث أصدر هذا الكتاب بعد صدور حكم بسجنه بتهمة 'العيب في الذات الملكية'، زار العقاد بعد خروجه من السجن ضريح سعد زغلول وألقى قصيدة حماسية أمام الحشد المحيط به قائلا:

"وكنت جنين السجن تسعة أشهر فهأنذا في ساحة الخلد أولد
ففي كل يوم يولد المرء ذو الحجى وفي كل يوم ذو الجهالة يلحد
وما أفقدت لي ظلمة السجن عزمة في كل ليل حين يغشاك مرقد
وما عيبتني ظلمة السجن عن سني من الرأي يتلو فرقدا منه فرقد"[٧٥]

وفي هذا الخصوص، الشاعر المشهور فهد العسكر الكويتي[٧٦] أرسل الرسالة الشعرية إلى صديقه الشاعر عبد المحسن محمد الرشيد وكان مسجونا يسأله عن حاله، فأرسل إليه:

---

[٧٢] عبد الله صالح البردوني اليمني، شاعر وناقد أدبي.
[٧٣] ديوان عبد الله البردوني، الجزء الأول، ص ٣٦٣.
[٧٤] ديوان الجواهري، المجلد الأول، نشر بيسان، ص ٢٠٧-٢٠٩.
[٧٥] ديوان عباس محمود العقاد. قصيدة عن 'السجن'
[٧٦] فهد العسكر شاعر كويتي ويعد من الشعراء الرواد في الكويت، (١٩١٧- ١٩٥١)

"أيها السائل عن حالي، وما حال السجين
حال من أمسى كما أصبح، ذا روح حزين
تعبر الدنيا عليه وهو في ظل السكون

فرد العسكر عليه قائلا:

حالي كحالك أيها الشحرور قست الحياة فكلنا مأسور
فالعسكر المفجوع ضاق بحبسه وابن الرشيد بسجنه موتور
الأسد تؤسر والنعاج طليقة والصقر يهوي، والغراب يطير"[٧٧]

وهناك سطور شعرية التي كتبها الشاعر الفلسطيني محمود درويش عن السجن قائلا:

"متر مربع في السجن
هو الباب، ما غلفه جنة القلب، أشياؤنا
كل شيئ لنا تتماهي، باب يهذب أيلول
باب يعيد العقول إلى أول القمح
لا باب للباب لكنني أستطيع الدخول إلى خارجي
عاشخا ما أراه وما لا أراه
أفي الأرض هذا الدلال وهذا الجمال
زنزانتي لا تضيء سوى داخلي
وسلام علي، سلام على حائط الصوت
ألفت عشر قصائد في مدح حريتي ههنا أو هناك
أحب فتات السماء التي تتسل من كوة السجن مترا من الضوء تسبح فيه الخيول وأشياء أمي الصغيرة...
رائحة البن في ثوبها حين تفتح باب النهار لسرب الدجاج"[٧٨].

[٧٧] رسائل متبادلة بين سجينين، https/forums.yallagroup.net
[٧٨] قصيدة 'أربعة عناوين شخصية'، https//www.aldiwan.net

فالشعر السجني هو طريقة قوية للتعبير عن تجربة السجن، حيث ينقل الشعراء مشاعرهم الداخلية من الألم والحرمان بأسلوب عاطفي وبشكل وجداني، كما أنهم يظهرون معاناتهم التى شعروها من داخل السجن، ويمثلون تجربتهم الإنسانية بصورة كاملة، ويعبرون رغبتهم في الحرية والكرامة، ويشجعون القراء والشعب على المقاومة ضد الظلم والاستبداد. وبهذا الطريق يلعب الشعراء بأشعارهم المثيرة لتغريس الروح الإنسانية لدى المجتمع المعاصر.

الفصل الرابع

القضايا المعالجة في شعر السجون

أدب السجون هو نوع أدبي غني بالقضايا التي تعكس في تجارب السجناء وظروفهم، وعالج الشعراء كثيرا من الموضوعات التى تتعلق بتجارب السجناء الجسدية والنفسية والروحية. عند اعتقال الأديب تتعدد القضايا حسب الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية. ومن أهم القضايا الرئيسية التي تكونت في السجون:

المعاناة في داخل السجن

ومن الواضح، السجن يُعتبر رمزًا للمعاناة والحرمان، حيث يُجبر الأشخاص على مواجهة ظروف قاسية تؤثر على حياتهم بتعمق، وفقدان الحرية الشخصية مما يجعل الفرد يعيش في بيئة مغلقة بعيدًا عن أسرته وأحبائه. هذا الحرمان يخلق في السجين العزلة والاكتئاب، يعاني جميع السجناء من أنواع مختلفة من التعذيب والاضطهاد، لكن الأدباء يشعرون أكبر صعوبة بسبب فقدان حرية التعبير عن أفكارهم.

السجن مكان البلايا ومقر الهموم ومهاد الغموم، حيث واجه الأدباء مشاكلا صعبة، أدت هذه المشاكل إلى نتائج أدبية مؤثرة فنية. هؤلاء الأدباء سواء كانوا سجناء سياسيين أو مضطهدين بسبب أفكارهم قدّموا صورًا واضحة عن الحياة في السجن، ووصفوا هذه التجربة بأنها صعبة وثقيلة. أظهروا الفروق الكبيرة بين حياة الحري والحياة السجين.

حينما يعتقل الفرد يشعر بالقلق والخوف بسبب التغيير المفاجئ في حياته وبفقدان حريته مؤقتًا، لذا عليه الانسجام مع هذا الوضع الجديد ويحاول أن يحفظ على صحته النفسية وعواطفه الصحيحة. ويتولد من هذه التجارب تأثير أدبي، فيعبر الأدباء إبداعات نيرة من تجربتهم الفريدة بطريقة مميزة. كما يقول الكاتب عن تجاربهم من المعاناة في هذا

المنول، يقول الأديب واضح الصمد[٧٩] "ازداد صوت الضجر والانهيار بين الشعراء السجناء بسبب الظروف الصعبة التي عاشوا فيها. كانت تلك الصرخات تعكس معاناتهم النفسية، مما دفع بعضهم إلى المخاطرة بحياتهم. بعد نفاد صبرهم وقدرتهم على تحمل هذا الواقع، قرروا قتل السجان والهروب من السجن"[٨٠].

إذا لم يكن الهروب خيارًا لجميع السجناء فإنهم يضطرون لمواجهة تحديات السجن بحكمة وصبر، بعضهم يمكنه التعامل مع هذه التحديات بشجاعة بينما يستسلم آخرون للظروف الصعبة. هناك من يستطيع الصمود حتى في أصعب الأوقات، ومنهم من يبقى قويًا وناجحًا رغم الضغوط والمشاكل. وكثير من الشعراء قد تحدوا تلك الصعاب وأثبتوا عظمتهم في مواجهة الظروف الصعبة داخل السجون. وهناك يذكر عدي بن زيد الذي تمنى أن الانتحار أفضل من معاناة الذل، يظهر كيف يمكن أن تؤثر الظروف القاسية على الإنسان وتدفعه للتفكير في الخروج منها بأي ثمن. يقول وهو في سجن النعمان:

"ليت أني أخذت حتفي بكفي ولــم ألـق ميتــة الأقتـال"[٨١]

ويقبض ابن زياد[٨٢] على يزيد بن المفرغ عن عزمه، فيقذف ابن زياد بأقذع أنواع الهجاء، من ذلك قوله:

"سامني بعدكم دعي زياد خظة الغادر اللئيم الزهيد"[٨٣]

[٧٩] واضح الصمد من مواليد بخعون عام ١٩٣٥، كاتب لبناني.
[٨٠] واضح الصمد، السجون وأثرها في الآداب العربية، ص، ٢٠٤.
[٨١] الأصبهاني، الأغاني ج٢ ، ص، ١٠٥.
[٨٢] قائد عسكري أموي.
[٨٣] الأصبهاني، الأغاني ص ٢٣٧.

الظلم والقهر

وقد شهد العالم أن كل الثورات والانتفاضات جميعها تنبع من انتشار الفساد في الحكومة وتجاوزات المسؤولين وانتهاك حقوق الإنسان ، وهذه تحرض المظلومين على التمرد والثورة ضد كل مظهر من مظاهر الظلم والقمع، وهم يفقدون أشياء قيمة بالنسبة لهم. يتخذ الظلم أشكالًا مختلفة، فهناك الظلم الاجتماعي والسياسي والفكري، وكلما زادت درجة الظلم زادت قوة الثورة والتمرد، إذ تكون فكرة الحرية والعدالة والمساواة مزروعة في قلوب المظلومين، وهم مستعدون للقيام بأي شيء للتخلص من الظلم وتحقيق الحرية والاستقرار. ومن المهم أن نذكر أن الشعراء استخدموا أقلامهم للحديث ضد القوات، وأخبروا الناس بالسبب الحقيقي وراء هذه الهجمات المستمرة التي تقوم بها قوات الاحتلال.

كما قال سالم المعوش"أما المتضرر من الظلم ليس مقتصراً على الشعراء والأدباء المسجونين فحسب، بل تعرض العديد من القوم في النساء والأطفال الضعفاء، لكن الأدباء هم الذين واجهوا لعنف أكثر بشجاعة في السجن من عامة الناس"[٨٤].

العنف والفساد

قضية العنف والفساد مشاكل عامة في الدول العربية عامة وفي فلسطين والعراق خاصة، حيث تعاني هذه الدول من فساد وعنف متزايد.وتحتاج إلى مواجهة هذه الأزمات تضامن الشعب وتعاونه كجبهة واحدة، يفتقر المواطن إلى العدالة في ظروف الفساد والعنف ويستعد للتضحية لأجل وطنه الحنون، و يواجه المواطن كل العنف والفساد بصمود والنضال لأنه مستعد لاستلام أي نوع من التعذيب والاظطهاد من المحتلين الفاسدين في أي لحظة من حياته..

[٨٤] سالم المعوش: شعر السجون في الأدب العربي الحديث، ص ٥٤.

وفي الصدد يقول الكاتب المشهور عبد الخالق الشاهر"الفكرة السائدة بين الشعب الواعي هي الدفاع بكل وسيلة لإنهاء الاضطهاد وإبعاد ظلمة السجن. رأوا أن المنازل المهدمة ستصبح مقبرة للشهداء، واعتقدوا أن كل الثروات التي ينهبها المحتلون لن تحولهم عن الأمور الإلهية، بل ستعيدهم إلى الطريق الصحيح حسب إيمانهم. بمثل هذه الصمود ربما أسقطت المقاومة المشروع الإسرائيلي وكسرت هيبته خاصة بعد حرب ١٩٤٨، وكان عليهم أن يتقبلوا الهزيمة بشجاعة ويقولوا 'نلجأ إلى المفاوضات' لأنهم تعرضو لمواقف التي لم يتعرض من قبل"[٨٥]. هدم الهدف هو رفع راية النصر وتحقيق العدالة. لذلك، يجب عليه اختيار طرق النضال المناسبة وفقًا لظروفه وتوجهاته الشخصية.

الأديب الصامد يركز انتباهه على كتاباته وأفكاره كوسيلة لترويح شعبه الذي يشعر بالإرهاق والخوف. يمدهم بالأمل والعزيمة ويشجعهم على الصمود. يوضح أن السجن زاده قوة وصمودًا في كل مواقفه. فالصمود هو التحدي الأكبر الذي يخوضه الشخص في معركته الداخلية والخارجية ليبقى قويًا ومتمسكًا بمعتقداته ومبادئه داخل السجون.

يقول أيمن العتوم في قصيدته 'مشاعر في هوى الأردن' التي أظهر فيها صموده وإصراره على العنف والفساد موقف الحق:

"ألهبوا النار في صدري فصيرني
أفر من برد نيران لنيران
لأنني عشت لا أرضى بطاغيه
ولا أذل لسمسار وخوّان
ولست أقبل صمتا سوف ينقذني
من بطش منتقم،أو ظلم سجان

[٨٥] عبد الخالق الشاهر خبير عسكري عراقي، مقالة سياسية في النشرة البريدية الأسبوعية، الجزيرة.نت.

لقد خلقت لأعليها مدويـة

براءتـي مـن طواغيت وطغيـان"[٨٦]

التعذيب والتهديد

يشير واضح الصمد "أبدى شعراء السجون همومهم وألامهم في أوقات الظلام القاسية، خاصةً خلال ساعات الليل التي تجلب الهدوء الداخلي وتفتح أبواب العواطف. فالسجين يعيش تحت ثنايا عذابين، الأول منهما هو عذاب الجسد، والثاني هو عذاب القلب والروح، وهكذا يمضي السجين ليلته في هذا الصراع النفسي المرير"[٨٧].

وقد عبر أبو الطلمحان عن هذا الواقع، حين أسر فقال:

"أرقت وأبتني الهموم الطوارق ولم يذق ما لاقيت قبلي عاشق

كما عبر الفرزدق عن أحاسيسه داخل السجون وكيف يقضي ليله يقول:

أبيت أقاسي الليل والقوم منهم معي ساهر لـي لا ينام ونـوم"[٨٨]

وعلى ضوء هذه السطور، نرى أن الشعراء السجناء يتألمون في أجسادهم وأنفسهم على مدار الساعة، خصوصا في ظلمة الليل التي لا يوجد فيها أصدقاء وأحباء ليشارك معهم هموم الحياة وأحزانها، عند عدم وجود المصاحبة تسرب الاكتئاب في داخلهم واحد تلو واحد بدون رأفة ولا رحمة فاندفع الصراع داخليًا مع أنفسهم وأجسادهم، وامتد هذا الصراع طويلاً من خلال هذه المعاناة مع رغبتهم في انجلاء الصبح قريبا.

[٨٦] أيمن العتوم: ديوان نبوءات الجائعين، ص: ٣٧.
[٨٧] واضح الصمد، السجون وآثارها في الآداب العربي، ص ٢٠٩.
[٨٨] ديوان الفرزدق، دار صادر بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ ،٢٠٠٦م، ص ٢٤٩.

الحياة مع اليأس والعزلة

اليأس هو شعور السجين بالانسداد وفقدان الحرية، حيث يشعر أنه محاصر بلا مخرج، مما يؤثر سلبًا على صحته النفسية. الظروف القاسية والعزلة قد تعمق هذا الإحساس، مما يجعل من الصعب الحفاظ على الأمل.

الشاعر السجين يتأرجح بين موجات عاطفية. يعيش مع الأحزان والهموم، ثم ينغمس فجأة في الظلمة واليأس. هذا يجعله ينتقل بين مشاعر متنافرة. يظهر هذا التضارب بوضوح في قصيدة لهدبة بن خرشم[٨٩]. يستعرض فيها تجاربه المتباينة بشكل مؤثر.

"عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكسون وراءه فرج قريب
فيأمن خائف وفك فان يأني أهله النائي الغريب"[٩٠]

يتفتح في نفوسهم شعاع صغير من الأمل وسط الخوف. وهذا الشعاع منحه قليلًا من الارتياح رغم البؤس النفسي الذي يعيشه، خصوصا عندما كان يواجه الهدر والتهديد بالقتل. لكن مع مرور الوقت بدأ ذلك الشعاع يتلاشى تدريجيًا حتى انطفأ تمامًا.

العبودية والاستغلال

وإهمال الإنسانية وقمع الحريات وإسكات الأصوات من القضايا الاجتماعية التى يواجهها المواطنون في أنحاء العالم، وهذه القضايا رسمت في أبيات شعراء السجون. ولا أحد ينكر أن الإنسان لا يمكنه للعيشة الراضية إلا بالحرية التامة ، والحرية هي التحرر من كل قيد وحبس، وتخليص الفرد من كل مراقبة، فهو يشبه الطائر الحر الذي لا يستطيع العيش في قفص مغلق. الحرية هي أساس كرامة الإنسان وحق للجميع، تُعتبر الحرية قيمة مهمة تسعى المجتمعات لتحقيقها. وهي تعكس في حق الفرد للتعبير

[٨٩] شاعر عربي في العصر الأموي من أهل بادية الحجاز، مشهور بكثرة أمثاله في شعره، (توفي ٥٠هـ /٦٧٠ م)
[٩٠] ابن قتيبة، الشعر والشعراء ، دار الثقافة، بيروت، ط ٤، ١٩٨٠، ص ٥٨٣.

عن ذاته واختيار مسار حياته، وتؤثر في تطور المجتمعات وتقدمها. كما تمثل الحرية موضوعًا محوريًا في الأدب، حيث أتت قيمة سامية في موضوع النضال والتأمل.

وجدير بالذكر، أن الشاعر المشهور أبو القاسم الشابي[٩١] الذي ترك بصمة كبيرة في الشعر العربي، وتفرد بأسلوب خاص به ميزه عن غيره من الأدباء. وفيما يلي تحتاج إلى الإشارة إلى قصيدته التي تحدث فيها عن الحرية.

يقول أبو القاسم الشابي في قصيدته:

"إذا الشعب يوما أراد الحياة

فلا بد أن يستجيب القدر

ولا بد لليل أن ينجلي

ولا بد للقيد أن ينكسر"[٩٢]

وهذه القصيدة أصبحت من أشهر الأناشيد الثورية التي تدعو إلى الحرية والتحرر من الاستبداد. القصيدة تعبر عن إرادة الشعب في التحرر، وتؤكد أن الشعوب التي تتوق إلى الحرية لا يمكن قهرها أو إخمادها.

الحلول للقضايا

الحلول التى اعتمد عليها الشعراء السجناء في قضاياهم لجميع جوانب حياتهم ملحوظة في نتاجاتهم الأدبية، منها الصبر والصمود والأمل والحنين إلى الوطن وما إلى ذلك من وسائل التحمل.

[٩١] شاعر عربي تونسي في العصر الحديث، الملقب بشاعر الخضراء (١٩٠٩ -١٩٣٤)
[٩٢] قصيدة أبو القاسم الشابي ' إرادة المعنى'

التحمل والصمود

يظهر في شعر هؤلاء السجناء تباين في استجابتهم للصبر، حيث تعكس في أعمالهم الأدبية قدرتهم على التحمل والصمود أمام التحديات، مع وجود من يتمسك بالقوة والتمرد، ومن ينحاز للضعف والانكسار، كما يتجلى في تجربة يزيد بن المفرغ[٩٣] الذي تحمل الكثير من التعذيب والإذلال بعد اعتقاله من قوات ابن زياد[٩٤]. فيقول الشاعر يزيد بن المفرغ:

"فصبرنا على مواطن ضيق وخطوب تصبر البيض سودا"[٩٥]

الحنين إلى الوطن

هو شعور عاطفي يشعر به الناس تجاه مكان نشأتهم، سواء من حيث الثقافة والعادات أو الذكريات المرتبطة به. يُعتبر هذا الشعور جزءًا من هوية الإنسان التي تربطه بماضيه وجذوره. يحمل الوطن ذكريات الطفولة والأسرة والأصدقاء والطبيعة، وحتى أسلوب الحياة، مما يجعل الشخص يشعر بالارتباط. هذه الذكريات تشكل جزءًا من هوية الفرد. وقد يزداد الحنين عندما يُحرم الشخص من وطنه بسبب الهجرة أو الظروف الصعبة. يمكن أن يصبح هذا الشعور أقوى مع الوقت، خاصة عند مواجهة تحديات الغربة.

يقول الأديب يحيى الحبوري عن هذا الشعور العاطفي "الحنين إلى الأوطان هو طبيعة من طبيعة النفس البشرية، وهو خاص بالبدو، حيث يتناغم مع حساسية العربي في بيئته الصحراوية الواسعة. ولم يقتصر هذا الحنين على البشر، بل شمل الحيوانات أيضًا،

[٩٣] شاعر من فحول الشعراء الأموي (توفي سنة ٦٩ هـ /٦٨٨ م)
[٩٤] والي العراق وقائد عسكري بزمن الخليفة يزيد بن معاوية.
[٩٥] عبد القدوس أبي صالح، ديوان يزيد بن المفرغ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٧٥، ص ١٠٠.

فالإبل تحن إلى أولادها ومرابضها. لذا، يُعتبر الحنين إلى الأوطان غريزة في نفس العربي منذ بداياته، وقد ارتبط بكرامة الإنسان واعتزازه."[٩٦]

الشعور بالغربة والحنين إلى الوطن وأهلها يظهر بوضوح في شعر العصر الجاهلي. يمكننا أن نجد آثار هذه المشاعر بسهولة في المعلقات والقصائد الجاهلية كلها، وهي تبدو هذه العواطف كأنها تلوح في الأفق. الشاعر المعروف امرؤ القيس يُعتبر مثالًا بارزًا، فقد عُرف بأنه أول من بكى على وطنه وأظهر حنينه لأرضه وشوقه لأهله ورفاقه. تلك الأطلال القديمة تمثل مصدرًا غنيًا لدراسة هذا الموضوع، إذ تنبع من جذور عميقة في التاريخ والثقافة، وتعكس قيمًا مهمة حول الهوية والانتماء. يقول الشاعر امرئ القيس:

"أجارتنا إنا غريبان ها هنا وكل غريب للغريب نسيب

فإن تصيلنا فالقرابة بيننا وإن تصرمنا فالغريب غريب"[٩٧].

من يبحر في هذين البيتين ينوبه ما ينوب الشاعر من مشاعره مختلطة من الحزن والحنين والغربة ومرارة الفراق. يخاطب جارته التي هي جارة ميتة على غير عادة الشعراء، بعدما رأى قبر امرأة غريبة. يعود الشاعر لنداء جارته ليعزز الرابط بينهما بوصف آخر هو 'الغربة'، ويخاطب أيضًا جارته في اللحد، قائلًا: إنك إن وصلتنا ورددت جوابنا، فذلك لأننا تجمعنا قرابة ممتدة إلى ما بعد الحياة. فإن تصرّمتِ وتقطعتِ وصالنا، فسنظل نعاني من الغربة.

ويضيف واضح الصمد "يجلس السجين في زاوية من السجن، يتأمل الكُبول والأغلال التي تثقل كاهله. يقضي ليلة بلا نوم، يشاهد مشاعر مختلفة تتدافع في داخله. يندفع خياله وراء جدران السجن السميكة وأبوابه المغلقة، متوجهًا إلى أماكن طفولته، إلى الأهل والأحبة، إلى ذلك المكان المليء بالذكريات، الذي يثير مشاعر داخلية. فلا يرى

[٩٦] يحيى الحبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي الحنين إلى الأوطان، ص ٩.
[٩٧] ديوان امرئ القيس، قصيد 'أجارتنا الخطوب تنوب'.

الشاعر السجين مكانًا يضاهي وطنه، فيعبر عفويًا عما يشعر به من حنين إلى الأرض والأصدقاء والأحبة"[٩٨].

وهذا الشاعر الأحوص[٩٩] الذي قضى هموم التشرد والسجن بعيدا عن الأهل والوطن، يعرض لنا شيئا من الحنين والشوق فيقول الشاعر:

"أقل بعمان وهل طربى بـــه إلى أهل سلع، إن تشوقت نافع؟

أصاح ألم تحزنك ريح مريضة وبرق تلال بالعقيقين رافــع؟" [١٠٠]

يستنتج الباحث من السطور، أنه ليس هناك شك في الأبيات التي تأتي من قلوب الشعراء السجناء لها أثر بالغ في الشعب، حيث يقضون أوقاتهم في استرجاع الذكريات الجميلة والحنين إلى بيوتهم. تلك المناظر القديمة والذكريات تنشط في أعماق قلب الشاعر خلال فترات الغربة والتشرد، مما يدل على الارتباط العميق بالوطن والجذور التي وُلِدَ فيها، ووجدوها حلا للمعاناة التى تعرضوا لها.

[٩٨] واضح الصمد، السجون وآثارها في الآداب العربية، ص ٢١٥.
[٩٩] هو من شعراء الغزل والهجاء البارزين في العصر الأموي.
[١٠٠] محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، مطبعة القاهرة، ج ٢، ص ٦٥٩.

الباب الثاني

صورة الشعر في سجن فلسطين والعراق

الفصل الأول: صورة الشعر في سجن فلسطين

الفصل الثاني: صورة الشعر في سجن العراق

الفصل الثالث: الظواهر اللغوية والأسلوبية في شعر السجون

الفصل الرابع: الميزات العامة في شعر السجون في فلسطين والعراق

الفصل الأول

صورة الشعر في سجن فلسطين

تعتبر فلسطين قلب الوطن العربي وقبلة أنظاره، وملتقى الحضارات ومهد الديانات السماوية الثلاث وأرض الأنبياء والرسل كما احتلت مكانة عظيمة في التاريخ الإسلامي، وهي من أهم بقاع الأرض من النواحي الاستراتيجية والدينية.

وقد كانت فلسطين عبر التاريخ محط أطماع الدول الاستعمارية بسبب موقعها الاستراتيجي الهام في الشرق الأوسط، وفي هذا السياق يتم تنظيم فعاليات احتجاجية مثل المظاهرات والإضرابات السلمية للتعبير عن رفضهم للاحتلال ويركز على التعليم كوسيلة لمواجهة الاحتلال، يسعون إلى بناء مجتمع مثقف وقوي يمكنه التأثير على الوضع السياسي. قد تؤدي المشاركة في فعاليات ثقافية أو اجتماعية إلى الاعتقال، خاصة إذا كانت تُعتبر مُعارضة للسياسات الإسرائيلية. ويُسجل العديد من الاعتقالات على أنها 'تعسفية'[١٠١]، وقد يُعتقل الأشخاص بسبب ما يُعتبر تحريضًا ضد الاحتلال، سواء عبر الكتابة أو الكلام.

اتخذ الفلسطينيون السجن مهدًا للإبداع، لعب الأدباء الفلسطينيون في السجون دورًا مهمًا في توثيق تجاربهم من خلال كتاباتهم. يُعتبر شعر السجون جزءًا أساسيًا من التراث الأدبي والثقافي للشعب الفلسطيني، حيث تحول من مكان للمعاناة إلى فضاء يعبّرون فيه عن آلامهم وآمالهم. من خلال الأدب والفن، استخدموا تجاربهم في السجن كوسيلة لخلق وعي جماعي حول قضيتهم في زنازينهم، وُلدت قصائد تعكس الصمود، واستُكتبَت روايات تروي حكايات المقاومة، مما ساهم في تشكيل هوية وطنية قوية. كما أصبح

[١٠١] 'الاعتقال التعسفي' هو اعتقال يتم دون اتباع الإجراءات القانونية السليمة أو بناءً على أسباب غير مشروعة.

السجن رمزًا للصمود، يعبر عن مقاومة الاحتلال وإرادة الحياة، حيث تُبنى أحلامهم وتُزرع الأمل رغم القيود.

ومن بين الشعراء الفلسطينيين الذين كتبوا قصائد سجنية بارزة كالشاعر الفذ محمود درويش وسميح القاسم وطاهر الناشف[١٠٢] وغيرهم، حيث أنتجوا قصائد تعكس تجربتهم الشخصية كسجناء، وتعبر عن رؤيتهم الثاقبة وفهمهم العميق للحياة والواقع الفلسطيني تحت الاحتلال. تُعتبر قصائد السجون في فلسطين جزءًا مؤثرًا من الأدب العربي، الذي يروي قصة صمود الفلسطينيين في مواجهة التحديات السياسية والاجتماعية التي يواجهونها كل يوم.

شكلت الظروف السياسية والاجتماعية التي مرت بها القضية الفلسطينية منعطفًا حادًا وخطيرًا في تاريخ الشعب الفلسطيني، وقد انعكس الواقع الذي يعيشه الفلسطينيون في الأدب، سواء كان شعرًا أو نثرًا. سار الأدب الفلسطيني جنبًا إلى جنب مع مسار حياة الشعب الفلسطيني، فلم يقتصر العمل الوطني والنضالي على الكفاح المسلح، بل استخدمت كل الوسائل، ومنها الكلمة الملتهبة المؤثرة.

شعر السجن في فلسطين يتميز بعدة خصائص تجعله مختلفًا عن الشعر العادي. تبرز هذه الخصائص تجربة السجناء وواقعهم القاسي. هناك موضوعات بارزة في شعر السجن، منها السياسة والوطنية. يتناول هذا الشعر قضايا النضال الوطني والاحتلال، ويعبر عن الهوية الفلسطينية والانتماء إلى الأرض والمجتمع. كما يعالج القضايا السياسية المرتبطة بالحركة الوطنية والمقاومة ضد الاحتلال.

ويتجلى في الشعر أيضًا الصراع والمقاومة ضد القوات الإسرائيلية. يعكس الشعراء تجاربهم الشخصية والجماعية في مواجهة الاحتلال والظروف القاسية داخل القضبان. يستخدمون رموزًا وصورًا شعرية تعبر عن المقاومة، مثل الأرض والوطن والحرية،

[١٠٢] شاعر فلسطيني معروف، ولد في عام ١٩٣٠ في قرية 'الشيخ'، واحد من الأصوات البارزة في الشعر الفلسطيني المعاصر.

بالإضافة إلى رموز مثل الشمس والمطرقة والمنجل لنقل رسالة الصمود والقوة في وجه الظروف الصعبة. وتختص الأشعار باللغة الشعرية القوية والمعبرة، حيث يستخدم الشعراء الاستعارة والتشبيه والصور الشعرية لتوصيل رسالتهم بشكل فني وجمالي. كما يمتاز الشعر بالإبداع في استخدام اللغة والصور لنقل الأحاسيس والأفكار والمشاعر بطريقة فنية. قد يتضمن الشعر السجني أيضًا استخدام لغة مجازية ومصطلحات معينة تعبر عن تجربة السجن والمقاومة.

ومن الظواهر التي تصورها قصائد السجون الفلسطينية التضامن والوحدة الوطنية. يعبر الشعراء عن روح التضامن بين السجناء وبين الشعب الفلسطيني. يستخدم الشعراء لغة القلب والمشاعر للتعبير عن التضامن الإنساني مع الأهل والمجتمع الفلسطيني. كما يعكسون المشاعر العميقة الراسخة للوطن والأسرة والحبيبات، مما يبرز وحدتهم مع المجتمع.

بالإضافة إلى ذلك، يدعو الشعراء إلى الوحدة والتعاضد، مؤكدين أهمية التماسك في وجه التحديات. يركزون على أهمية التضامن لتحقيق الأهداف الوطنية. يعزز هذا التعاضد القضايا الفلسطينية الأساسية، مثل حق العودة وتحقيق السيادة الوطنية، مما يجعل الشعر لغة للنضال والتأكيد على الوحدة الوطنية.

في العصور القديمة، كانت أوضاع تجربة السجون في فلسطين، مثلها مثل تجربة السجون في العديد من الحضارات القديمة، مرتبطة بالأنظمة القانونية والسياسات الاجتماعية السائدة في ذلك الوقت. لم تكن السجون في العصر القديم مؤسسات متخصصة في الإصلاح أو العقاب، بل كانت غالبًا مرتبطة بالاحتجاز الانتقامي أو الانتظار للمحاكمة أو التنفيذ في فلسطين القديمة، وكذلك في معظم مناطق الشرق الأوسط، كانت هناك بعض الممارسات التي تشير إلى وجود ما يمكن أن نعتبره اليوم أشبه بالسجون. على سبيل المثال، كانت هناك أبراج أو مبانٍ استخدمت لاحتجاز

السجناء، خاصة في حالات السجون السياسية أو الإدارية. وبالإضافة إلى ذلك، لم تكن هناك أنظمة متطورة للسجون كما هو الحال في العصور الحديثة.

إذا انتقلنا إلى العصر الحديث، نجد العديد من الشعراء الذين عانوا مرارة السجن، مثل محمود درويش وتوفيق زياد[١٠٣] عبد الناصر صالح[١٠٤] ومعين بسيسو[١٠٥]، والمتوكل طه[١٠٦] وغيرهم.

فقد تعرض الشاعر محمود درويش للسجن أكثر من مرة، حيث سُجن في عام ١٩٦١، وعام ١٩٦٥، وعام ١٩٦٧. كتب الكثير من قصائده بين جدران السجن، وعبر عن تلك التجربة بقوله:

"رموا أهلي إلى المنفى
وجاؤوا يشترون النار من صوتي
لأخرج من ظلام السجن
ما أفعل؟
تحد السحن والسجان
فإن حلاوة الإيمان
تذيب مرارة الحنظل"[١٠٧]

يرفض الشاعر هناك التسوية ويقاوم الخروج من السجن والاستسلام للواقع، ولذلك يتحدى السجن والسجان لأنه مؤمن بقضيته التي تم اعتقاله من أجلها.

[١٠٣] هو شاعر وكاتب وسياسي فلسطيني من مدينة الناصرة، حياته بين (١٩٢٩-١٩٩٤)
[١٠٤] عبد الناصر محمد علي صالح شاعر وأديب وسياسي فلسطيني، ولد في سنة ١٩٥٧م.
[١٠٥] معين توفيق بسيسو ، شاعر فلسطيني من أهم شعراء المقاومة، ولد في مدينة غزة،(١٩٢٨- ١٩٨٤)
[١٠٦] هو المتوكل سعيد عمر طه شاعر وكاتب وروائي فلسطيني من مدينة قلقيلية، مواليده عام ١٩٥٨م.
[١٠٧] محمود درويش، الديوان، ط ١٤، ج١، بيروت، دار العودة، ١٩٩٤، ص ١٥١.

والشاعر الكبير توفيق زياد هو الذي ضاقت به سلطات الاحتلال إلى أقصى الحدود، وألقوه في ظلمة السجون مرارًا وتكرارًا. في عام ١٩٥٤، تم اعتقاله ونقله إلى معتقل طبريا الشهير بقسوته وقساوة سجانيه. هناك حاولوا كسر إرادته بالضرب والإهانات والتعذيب، لكنه كان يرد على كل اعتداء بقوة نفسه، واعتقل أيضًا في عام ١٩٦٧. وقد تم التوصيل إلينا صوته من وراء القضبان بكلمات جذابة وحادة، يعلن عزمه على الثبات على مواقفه، ويندد بصوت واثق:

"ألقوا القيود على القيود
فالقيد أوهى من زنودي
لي من هوى شعبي
ومن حب الكفاح ومن صمودي
عزم تسعر في دمي
نارا على الخطب الشديد
يا طغمة أسقيتها طعم المذلة من قصيدي"[١٠٨]

يفتخر الشاعر بالقصيدة، وهو يسعى إظهار تأثيرها ووضوح فكرتها حيث يسقي العدو المذلة والمهانة المريرة مع ظهور تحدياته ضد المحتلين وقوات الإسرائيل رغم أنه يعاني من ألم وعذاب من قبلهم، بقوله:

"لا تحسبي زرد الحديد
ينال مــن همم الأســود"[١٠٩]

[١٠٨] توفيق زياد، الديوان، بيروت، دار العودة، دت، ص ٦-٧.
[١٠٩] توفيق زياد، المصدر السابق، ص ١٠٤.

أما الشاعر سميح القاسم الفلسطيني، فقد عمل في التعليم والتوجيه، وفُصل منه لأسباب سياسية عام ١٩٦٥. كما تم اعتقاله عدة مرات على يد السلطات العسكرية بسبب نشاطاته السياسية. يصف لنا الشاعر حاله في المعتقل بقوله:

"ليس لدي ورق ولا قلم
ولكنني من شدة الحر ومن مرارة الألم
يا أصدقائي لم أنم
فقلت: ماذا لو تسامرت مع الأشعار
وزارني من كوة الزنزانة السوداء
لا تستخفوا...زارني وطواط
وراح في نشاط
يقبل الجدران في زنزانتي السوداء"[١١٠]

وكذلك، من الشعراء الفلسطينيين البارزين الشاعر معين توفيق بسيسو من مدينة غزة، الذي أُودع السجن مرتين في مصر. وكانت المرة الأولى قبل ثورة العدوان[١١١] على مصر عام ١٩٥٦، والمرة الثانية بعده، حيث أُودع في سجن الواحات المصرية لمدة أربع سنوات بسبب كونه شيوعيًا يحمل الأفكار والطروحات الماركسية. إن تجربة سجن الواحات المصرية كانت ملهمة للشاعر حيث منحت نفسه الأمل وزرعت فيها الصبر. ويتضح هذا من خلال نتاجه الشعري. ورغم انشغاله بهمومه التي تعبر عن أحزان الإنسان العربي بشكل عام والفلسطيني بشكل خاص، إلا أن شعور الرفض والتمرد يرافقانه دائمًا.

[١١٠] سميح القاسم، الديوان، حيفا: منشورات عربسك، ١٩٧٩، ص ٩٥-٩٦.
[١١١] هي ثورة العدوان ، وهي كانت أكبر انتفاضة ضد الانتداب البريطاني وحكومة شرق الأردن المثبتة حديثا برئاسة مظهر رسلان.

يقول الشاعر في قصيدته 'حطام القيود':

"أنـا المقيـد لكنـــي سأنطلـــق وأترك السجن خلفي وهو يحترق
وأخلع الكفن الدامي وقد رشحت خيوطـه بدمائـــي وهـــي تنبثـــق
وأهدم الصنـم المجنـون صارخة حريتـي فـــي يديه وهـــي تختنق
هـي الحياة تناديـني وملء دمـــي أحس أمواجهـا الحمـراء تندفـق"[١١٢]

الشاعر يصف حالته كمقيد ومضطهد ومسجون، ويدعو أيضًا إلى الثورة والجهد الذي يمثل تغييرًا كبيرًا ضد النظام السائد.

وفي قصيدته 'ثلاثة جدران لحجرة التعذيب' يتحدث بسيسو عن السجن والسجان والسجين مركزًا على العلاقة بينهم. يدعو السجناء إلى الاستمرار في النضال والمقاومة وعدم الاستسلام مؤكدًا على أهمية المقاومة والثورة كحل مناسب لهذه المعاناة المؤلمة. يقول الشاعر:

"قد أغلقوا زنزانة جديدة
قد قتلوا سجين
قد فتحوا زنزانة جديدة
قد أحضروا سجين
برقية عبر الجدار من يد محطمة
تقول: قاوم
والمطر الذي يسقط
يضرب سقف حجرة التعذيب كل قطرة
تصيح: قاوم"[١١٣]

[١١٢] معين بسيسو، الأعمال الشعرية الكاملة، ط ٣، بيروت، دار العودة، ١٩٨٧، ص ٦٨.

من المقطع السابق، نرى أن الشاعر قدّم صورة صادقة التي توضح الحياة وراء القضبان، حيث تظهر فيها البطولة والتضحية للوطن.

باختصار، كأفراد في البلاد، قاوم أهل فلسطين والأدباء المحاربون على الهجمات المستمرة والظلم الذي تمارسه قوات الاحتلال في مجالي الاجتماعي والسياسي. وبطبيعة الحال، تم احتجاز النساء والأطفال مع المقاومين في السجون المختلفة في فلسطين وإسرائيل، لكنهم لم يروا السجون كمكان للاعتقال، بل اتخذوها مقرًا للمواجهة والمقاومة من خلال أفكارهم النضالية وحركاتهم القوية.

[١١٣] معين بسيسو، الاعمال الشعرية الكاملة، بيروت، دار العودة، ١٩٨٧، ص ٧٠.

الفصل الثاني

صورة الشعر في سجن العراق

العراق بلد ذو تاريخ عريق وثقافة غنية، ويقع في منطقة الشرق الأوسط. تاريخ العراق غني ومعقد، إذ يُعتبر واحدًا من أقدم مراكز الحضارة في العالم، مثل السومريين[١١٤] والبابليين[١١٥] والآشوريين،[١١٦] الذين أسسوا العديد من المدن الكبرى وتركوا إرثًا ثقافيًا عظيمًا. بعد الفتوحات الإسلامية، أصبح العراق جزءًا من الدولة الإسلامية. وفي القرن الثامن، أسس العباسيون بغداد، التي أصبحت مركزًا علميًا وثقافيًا.

تتمتع فنون العراق بتاريخ طويل وغني يعكس التنوع الثقافي والتراث الغني للبلاد. الفنون العراقية تعكس عمق التاريخ والثقافة، وتظل عنصرًا مهمًا في التعبير عن الهوية الوطنية. تمزج الفنون التشكيلية العراقية بين الأساليب التقليدية والحديثة، مع استخدام الرموز الثقافية والتاريخية. العراق هو موطن لعدد من الشعراء المشهورين، مثل المتنبي وبدر شاكر السياب ونازك الملائكة، وقد تأثرت أشعارهم بالأحداث التاريخية والاجتماعية.

ومعتقل من الأدباء في العراق يكتسب أهمية كبيرة في سياق التاريخ الحديث للبلاد، خاصة خلال فترات الاحتلال والصراعات الداخلية. تعرض العديد من المعتقلين للتعذيب وسوء المعاملة مما أدى إلى تنديد منظمات حقوق الإنسان الدولية والمحلية. برزت دعوات للإصلاح وتحسين ظروف المعتقلات، حيث طالب المواطنون بإنهاء الانتهاكات وتحقيق العدالة. يركز الكتاب العراقيون في هذا النوع من الأدب على

[١١٤] 'السومريون' هم إحدى أقدم الحضارات التي نشأت في جنوب بلاد الرافدين، في منطقة تعرف اليوم بالعراق. ويُعتبر السومريون من بين أول من طور الكتابة والنظم الإدارية، وقد لعبوا دورًا كبيرًا في تطور الحضارة البشرية القديمة، تاريخ السومريين إلى حوالي 3000 قبل الميلاد.

[١١٥] 'البابليون' هم إحدى أبرز الحضارات التي نشأت في منطقة ما بين النهرين (بلاد الرافدين)، وكانوا خلفاء السومريين في هذه المنطقة بعد انحسار حضارة السومريين. بدأت الحضارة البابلية بشكل رسمي في حوالي 1900قبل الميلاد.

[١١٦] 'الآشوريون' هم أحد الشعوب القديمة الذين نشأوا في منطقة شمال بلاد الرافدين (العراق الحالي) وتحديدًا في منطقة تُعرف بـ آشور التي كانت تقع بالقرب من مدينة الموصل في العراق. تأسست الحضارة الآشورية في الألفية الثالثة قبل الميلاد.

التجارب الشخصية، والمعاناة النفسية والجسدية، والظروف القاسية في المعتقلات مع الحفاظ على الهوية والكرامة في ظل القمع والانتهاكات كما صورها الأدباء الفلسطينيون.

والطغاة استخدموا أساليب متنوعة لتجميل سجونهم الرهيبة، حيث أطلقوا عليها أسماء توحي بأنها ليست سجونًا بل أماكن أخرى. وكان ذلك من جهة خوفًا من فضحها أمام المنظمات العالمية لحقوق الإنسان والإعلام، وكشف الاضطهاد والمآسي التي تحدث داخل خنادقها وزنازينها المظلمة، والتي تكشف حقيقة أنظمتهم الجائرة والمستبدة، عندما ينتقل الإنسان من حالة الحرية التي اعتاد عليها إلى سجن مغلق أو زنزانة ينتابه شعور بالخوف والفزع والذعر. يتكيف تدريجيًا مع هذه الظروف القاسية، ويتعرف على لغة ومفردات جديدة بين جدران كئيبة وقضبان حديدية وأبواب مؤمنة، ويتعرض لسجان غالبًا ما يكون فظًا وقاسيًا، مما يجعله يواجه واقعًا لم يعتد عليه من قبل.

العراقيون، بكل أطيافهم ومشاربهم ومذاهبهم وقومياتهم، خاضوا تجربة قاسية تمتد من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، سواء كانوا سنة أو شيعة، عربًا أو كردًا. نستفيد من التاريخ، ولكل عراقي قصة في تاريخه، حيث امتلأت السجون بالمفكرين والأحرار بظلم وجور. وفي الحقيقة، كان هذا الاعتقال دون أن يكون لديهم ذنب سوى أنهم حاولوا أن يكونوا أحرارًا في بلادهم. تبنوا أفكارًا وطنية تخدم وطنهم.

وجدير بالذكر، ومن الشعراء السجناء الذين شربوا مرارة السجن الشاعر العراقي أحمد صافي النجفي[١١٧]، تعرض لمجموعة من التجارب القاسية والسجن خلال حياته بسبب نشاطه الثوري والوطني. طاردته القوات البريطانية للقبض عليه بسبب دعمه الواسع للثورة ضد الاحتلال. ففر إلى البصرة، لكنه سقط في أيدي الأتراك حيث وُجهت له تهمة التجسس، ونجح في شراء حريته من خلال رشوة الجنود. و في عام ١٩٤١، ألقي

[١١٧] أحمد الصافي النجفي هو أحد أبرز الشعراء والكتاب العراقيين في القرن العشرين. وُلِد عام ١٩٠٢ في النجف،صبح يُعتبر صوتًا مهمًا يعبر عن هموم المجتمع العراقي، توفي عام ١٩٧٧.

القبض على الشاعر في لبنان على يد القوات الإنجليزية حيث قضى في السجن مدة تصل إلى ثلاثة وأربعين يومًا قبل أن يتم إطلاق سراحه. نظم أحمد الصافي النجفي من خلال فترة اعتقاله مجموعة شعرية التي نشرت في ديوان 'حصاد السجن'[١١٨] قدمها تضامنًا مع كل من كان أو يمكن أن يكون سجينًا من أياد القوات. يقول الشاعر أحمد الصافي:

"لئن أسجن فما الأقفاص إلا لليث الغاب أو للعندليب
ألا يا بلبلا سجونك ظلما فنحت لفرقت الغصن الرطيب
ويا ليث الشرى سجونك مثلي لدن خافوا وثوبك أو وثوبي"[١١٩]

وقد وصف الشاعر عرفة السجن أيضا إذ يقول:

"سجوني في عرفة إذ تعرت فكأني سجنت وسط القفار
جاعلا من ترابها لي فراشا وغطاء يلفني من غبار
ثم زادوا على الغبار غطاء من نسيج مضعضع منهار
فإذا نمت يكتسي منه وجهي بغريب الأصواف والأوبار
فتراني في الصبح أمضغ شعرا وترابا برغم حلقي سار
فكأني أكلت نصف فراشي وكأني شربت نصف دثاري
وكأني والصيف كل وجهي نوع وحش ما مر بالأفكار"[١٢٠]

ويصف الشاعر عبد الوهاب البياتي تجربته في التنقل من منفى إلى منفى طوال حياته. عانى الشاعر من البطالة والسجن والتشرد والنفي، سافر البياتي من بغداد إلى دمشق ثم بيروت، ومن القاهرة إلى موسكو ومدريد[١٢١] وأخيرًا إلى عمان.

[١١٨] ديوان شعري لأحمد الصافي النجفي، يُعتبر هذا العمل من أبرز مساهماته الأدبية، حيث يسلط الضوء على القضايا الإنسانية والاجتماعية في سياق السجون والانتهاكات.
[١١٩] خليل برهومي، أحمد الصافي النجفي شاعر الغربة والألم، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣، ص ٢٨.
[١٢٠] خليل برهومي، المصدر السابق، ص ٣٥- ٣٦.

خلال هذه السنوات، تشكلت في ذهنه صورة أثر الاعتداء والاغتيال في رؤيته للشاعر كشخص مشرد ومحاصر ومقتول في أرض خراب، ويعبر ميشال خليل جحا عن ذلك بقوله: "يموت الشاعر منفيا أو منتحرا، أو مجنونا أو عبدا أو خادما في هذه البقع السوداء، وفي تلك الأقفاص الذهبية، حيث الشعب المأخوذ العاري من حد الماء إلى حد الماء يموت ببطء، تحت سياط الإرهاب ومعزولا ومنبوذا ومحروقا قرب الأقفاص"[١٢٢] ويقول عبد الوهاب البياتي:

"لغتي تخرج من معطف أبطال البشر الفانين
تسكنها صيحات سكاري ومجانين
ولدوا من أوجاخ العصر الذري وطوفان حروب التحرير
جنوا في أقبيه التعذيب
ماتوا في حرب الطبقات الشعبية مجهولين
حلت فيهم روح الشهداء القديسين
في بهو مرايا القرن العشرين"[١٢٣]

وبدر شاكب السياب، من الشعراء العراقيين المشهورين، الذي اعتقل وفصل من عمله، وعانى الاضطهاد والتشرد بسبب انتمائه إلى الحزب الشيوعي. وتمكن الشاعر من الهرب إلى الكويت وقضى قسما من حياته في المنفى، يتوخي الثورة ويأمل بالخلاص، فيقول في قصيدته 'غريب في الخليج'[١٢٤] مأخوذة من ديوانه 'أنشودة المطر'[١٢٥] :

"واحسرتاه، متى أنام
فأحس أن على الوسادة

[١٢١] هي عاصمة إسبانيا وأكبر مدنها.
[١٢٢] ميشال خليل جحا، الشعر العربي الحديث من أحمد شوقي إلى محمود درويش، ط ١، بيروت، دار الثقافة، ١٩٩٩، ص ٣٧٦-٣٧٧.
[١٢٣] عبد الوهاب البياتي، مملكة السنبلة، ط ١، بيروت، دار العودة، ١٩٩٧، ص ٣٢٠- ٣٢٣
[١٢٤] قصيدة السياب التي كتبها في الكويت بعد فشل الانتفاضة، تعبر عن مشاعر الغربة والفقد والحنين إلى الوطن.
[١٢٥] 'أنشودة المطر' من أهم ديواوينه التي أحدثت نقلة في الشعر الحر، قام بكتابته عام ١٩٦٢م.

من ليلك الصيفي طلا فيه عطرك يا عراق؟
بين القرى المتهيبات خطاي والمدن الغريبة
غنيت تربتك الحبيبة
وحملتها فأنا المسيح يجر في المنفى صليبه
فسمعت وقع خطي الجياع تسير، تدمى من عثار
فتذر في عيني، منك ومن مناسمها، غبار
فلتنطفي، يا أنت، يا قطرات، يا دم، يا..نقود
يا ريح، يا ابرا تخيط لي الشراع- متى أعود
إلى العراق؟ متى أعود"[١٢٦]

الشاعر مظفر النواب العراقي[١٢٧] اضطر لمغادرة العراق في عام ١٩٦٣ بعد أن تعرض للاضطهاد من قبل السلطات العراقية بسبب انتمائه السابق للحزب الشيوعي. بدأت رحلته بين المنافي في ذلك العام، هاربًا من وطنه ومشردًا في عدة بلدان. حاول النواب للفرار إلى روسيا عبر إيران، لكنه تم القبض عليه من قبل المخابرات الإيرانية وتعرض لتعذيب جسدي ونفسي أثناء التحقيق. ثم تم انتقل إلى السلطات العراقية التي حكمت عليه بالإعدام، لكن تم تخفيف الحكم بفضل وساطات عائلته إلى 'السجن المؤبد'[١٢٨]. قضى سنوات في سجن 'نقرة السلمان'[١٢٩] في الصحراء قرب الحدود السعودية، ثم في سجن الحلة'[١٣٠] مع رفاقه المعتقلين السياسيين، حيث نجحوا في الهروب عبر حفر خندق. غادر النواب العراق متجهًا إلى بيروت ليبدأ رحلته الطويلة

[١٢٦] بدر شاكب السياب، الديوان، المجلد الأول، بيروت ، دار العودة، ١٩٩٧، ص ٣٢٠- ٣٢٣.
[١٢٧] مظفر النواب هو شاعر عراقي بارز، وُلد عام ١٩٣٤ في بغداد. يُعتبر من أهم الأصوات الشعرية في العالم العربي، حيث تتميز قصائده بقوة التعبير وعمق المشاعر.
[١٢٨] سجن المؤبد هو نوع من العقوبات السجنية التي تُفرض على الأفراد المدانين بجرائم خطيرة. يعني هذا الحكم أن السجين سيقضي فترة طويلة، قد تصل إلى مدى الحياة.
[١٢٩] هو أحد أقدم السجون في العراق يقع في محافظة المثنى في ناحية السلمان في منطقة.
[١٣٠] 'سجن الحلة' هو أحد السجون في العراق ويعرف أيضا سجن النساء، يقع جنوب بغداد في مدينة الحلة.

بين المنافي. سافر بين العواصم العربية والأوروبية، لكن بعض البلدان رفضت أن تستقبله وأشعاره بسبب انتمائه السياسي.

شكلت قصائد الشاعر مظفر النواب حالة ثورية في الأدب العربي الحديث. كانت تغير الثورة والتمرد والدعوة الأوضاع السيئة في العالم العربي هي المحور الرئيسي لقصائده. يمكن القارئ أن يشعر بالنفس الثوري المتمرد في قصائده بسهولة. يقول الشاعر:

"اتهم واقتحم

وبغير المنايا البنادق لا تلتزم

قل أنا البندقية... لست يزيدا ولا المعتصم

ويقول الشاعر في قصيدته "رسالة حربية عاشقة" مخاطبا الطيارين العرب:

خل جبين الطائرة الفذة نحو الأرض

تماما نحو الأرض

خذ سرعتك القصوى

دمر أي مكان في العصمة الإسرائيلية واستشهد

فالله سيلقاك قبيل وصول الأرض

أو أنت وصلت احتضنتك فلسطين

وقد صور الشاعر عالم السجن، وأشار إلى تعذيب السجين السياسي ومساومته، يقول:

أنزل في ظلمة قبو لا تأمن فيه العقرب صاحبها

أنعش بالمسك وقيل

نريد بك الخير فما لك لا تأمن

خذ ما شئت من الميناء"[١٣١].

[١٣١] محمد سليم، مظفر النواب، الشعر والمنفى، ط ١، الأردن، دار البيت العتيق الإسلامية، ٢٠٠٣، ص ١٠- ١٣.

إن أهم أسباب المشاكل الاجتماعية والثقافية في العراق هو الاحتلال السياسي. وعلى الرغم من أن هذه المشاكل ليست خطيرة كما هي الحال في فلسطين، إلا أن المشاكل التي يعاني منها كلا البلدين. فامتلأت السجون في العراق بالمقاومين والأدباء بسبب أصواتهم النضالية. تعرض المعتقلون للتعذيب وسوء المعاملة مما أدى إلى فضح هذه الممارسات على صعيدي المحلي والدولي. استخدم الشعراء والأدباء تجربة السجن كوسيلة للتعبير عن الألم والمعاناة، وأصبحت قصائدهم مرآة للمشاعر الإنسانية معبرة عن الأمل والحرية رغم الظروف القاسية. ومن أشهرهم الشاعر مظفر النواب، وبدر شاكر السياب، ومحمد مهدي الجواهري، وعلي الجندي، وخالد الشطري، وعريان السيد خلف، وغيرهم. كان لهم إسهامات كبيرة في أدب السجون، وكانوا جميعًا وجوهًا قوية للمعارضة السياسية داخل العراق.

الفصل الثالث

الظواهر اللغوية والأسلوبية في شعر السجون

تأثرت كتابة الشعر داخل السجون بشكل كبير بسبب الخبرات الثقافية والمعرفية التي مر بها الشعراء خلال سنوات اعتقالهم الطويلة. لقد تركت قصائد الأسرى أثرًا واضحًا على الأدب الفلسطيني والعراقي، حيث تميزت بكلماتها الفريدة ومعانيها المتعددة. استخدم شعراؤها هذه الكلمات بشكل مميز للتعبير عن التراث الثقافي والتجربة الإنسانية في ظل القيود والظروف الصعبة.

خلال هذه الفترة، تمكن الشعراء من تحسين مهاراتهم الفنية وتوثيق خطواتهم نحو التألق والإبداع. ومن الجدير بالذكر أن التغيرات التي حدثت في ظروف الاعتقال بعد بعض الانتفاضات، مثل السماح بحيازة الكتب للأسرى وانتشار النقد الأدبي وصدور المجلات وجمع الأعمال الأدبية من السجون. كل ذلك ساعد في خلق بيئة إبداعية. هذه البيئة سمحت للشاعر السجين حرية للكتابة باستخدام أدواته الفنية مع الاعتماد على تجربته الشخصية ومشاعره العميقة وحبه الصادق لوطنه.

لا ينكر أحد أهمية اللغة في كشف المشاعر كما قال الكاتب نبيل أبو علي: "تُعتبر اللغة 'وعاءً' يحتضن الأفكار والمشاعر والتجارب، حيث تظهر أهمية الكتابة الجيدة كجزء من التفكير السليم"[١٣٢]. هذا يبرز قدرات الشاعر في تشكيل واستخدام الكلمات. نجح الشاعر الموهوب في إعطاء الكلمة حضورًا خاصًا حيث استخدم جوانب مختلفة من اللغة مثل التكرار والتغير والتضاد. من خلال استخدام مفردات الانتفاضة في قصائده، أظهر قدرته على متابعة الأحداث والتفاعل معها مما أضفى على أعماله أبعادًا جديدة وجعلها فريدة وجذابة.

[١٣٢] نيل أبو على، عناصر الإبداع الفني في شعر عثمان أبو غربية، ص ٦٥.

أهم الظواهر اللغوية:

التكرار:

يُطلق على هذه الظاهرة في الشعر أيضًا اسم 'التكرير' وتعني بها إعادة استخدام الشيء لغرض معين، وغالبًا ما يكون ذلك في استخدام الألفاظ. يمكن أن يتم التكرير بإعادة تكرار المعنى دون تكرار اللفظ نفسه، وهذا يحدث بشكل محدود. ويُعتبر في الشعر الحديث مثل هذا التطبيق من أبرز الظواهر التركيبية المميزة حيث اعتمد عليه الشعراء إلى حد كبير يفوق استخدامه من قبل أسلافهم، وهذا سواء في أنماطه المتنوعة أو في دلالته الغنية.

ومن أمثلة التكرار في شعر السجون في هذه المرحلة تكرار الشاعر كلمة 'مولاي' في قصيدة 'مولاي ربي' :

"مـولاي ربـي، يـا إلهـي مـولاي ربي قـم بجاهـي
مـولاي فرجـي كل كربـي فأنا غريق فـي الدواهـي
مـولاي يسـر كل عسـري أنت المليـك وأنت ناهـي
مـولاي احفـظ سيـر قلبـي لله لا عبـد الـملاهـي
مولاي انصر ضعف حالي أنت القوي وحالي واهي"[١٣٣]

ظهر استخدام أسلوب 'التكرار' كدليل على عمق إيمان الشاعر وتمسكه بالقيم الإسلامية. من خلال مناجاته لله وتقربه منه بالدعاء والصلاة، يطلب الشاعر من الله أن يمنحه الصبر والراحة. كرر الشاعر في المقطع الأول كلمة 'مولاي' خمس مرات، وكرر كلمة 'رباه' في المقطع الثاني ثلاث مرات مما يعكس اتصاله العميق بالله وثقته في قدرته ورحمته.

[١٣٣] رائد صلاح: زغاريد السجون، ص ٣٩.

وفي المقطع الثالث، استهل الشاعر بالتسبيح بقوله:

سبحان ربـي يا بصيـر سبحان ربـي يا قديـر

وفي المقطع الخامس يكرر الشاعر كلمة 'يا رب' سبع مرات خلال خمس أبيات. يُظهر هذا التكرار شعور الشاعر العميق بالضعف وعدم القدرة. ويشعر بأنه مسلوب الإرادة وسجين لآلامه وأحزانه لأهله وأبنائه.

في قصيدة 'الانتفاضة' للشاعر الشهيد عبد العزيز الرنتيسي[١٣٤]، نجد أن تكبير الله 'الله اكبر' تكرر سبع مرات في الأبيات الأولى لتأكيد شدة الحدث واشتعال الانتفاضة في كل مكان. يسعى الشاعر من خلال هذا التكرار إلى منح هذه المقاومة طابعًا إسلاميًا وروحًا جهادية ليحافظ على شعلتها مشتعلة دائمًا.

"الله أكبـر كلمـا رفـع اللـواء الله أكبـر كـلمـا عـظـم الـعطـاء
الله أكـبـر والثقالي في الدجـى أرقـن نـوم الليـل مـن فرط البكـاء
الله أكـبـر والـيتيـم حـنينـه قطع النياط صداه مـن قلب الصفـاء
الله أكـبـر والحجـارة قـزمـت كـل الذيـن تـنـكـبـوا درب السمـاء
الله أكـبـر والسواعـد بـددت حجب الظلام فلاح في الأفق الضياء
الله أكـبـر وانتفـاض حمـاسنـا بالعـزم والـصبـر الجميـل وبـالفـداء"[١٣٥]

التضاد:

التضاد، أو الطباق هو الجمع بين المتضادين. كانت ظاهرة التضاد في الشعر داخل المعتقلات علامة مهمة، واستخدم الشعراء هذه الوسيلة لتوضيح المعاني وتعميق دلالتها عبر جمع الشيء مع نقيضه. جعل هذا الأسلوب القصيدة غنية في تراكيبها وصورها

[١٣٤] عبد العزيز الرنتيسي كان شاعرًا فلسطينيًا وناشطًا سياسيًا. وُلد في ٢٣ من أكتوبر١٩٤٧ في غزة وتوفي ٢٠٠٤م. وشارك في العمل الوطني والمقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي.
[١٣٥] عبد العزيز الرنتيسي، حديث النفس، ص ٢٥.

الإبداعية مما أضاف بُعدًا فنيًا وعمقًا يعزز التأثير الشعري ويثري تجربة القراءة. من أمثلة ذلك قول الشاعر 'عبد الناصر صالح'[١٣٦]:

"حجر سينقل أمة

للنور

بعد ولوجها عصر الظلام"[١٣٧]

يستخدم الشاعر عبد الناصر صالح التضاد بين كلمتي 'النور' و'الظلام' ليظهر أن الحجر هو الطريق الحقيقي للخلاص من الظلمة، وهو الضوء الذي سيزيل الظلام في هذا العصر الصعب الذي تعيشه الأمة. يقول الشاعر 'فايز أبو شمالة'[١٣٨]:

"هو الاحتلال اللئيم وغائر

ويجأر بالقتل في سيف عابر

وفي غمد يوم على خصر عابر

ويزعق بالموت ليلا نهارا

خفيا جهارا"[١٣٩]

يوضح التضاد بين كلمتي 'نهاراً' و'ليلاً'، وبين 'خفياً' و'جهاراً' بشاعة الاحتلال ووحشيته في القتل وجرائمه واضحة، ومجازره تمتد لتشمل كل جزء من هذه الأرض الطاهرة دون سابق إنذار. يرتكب الاحتلال هذه الجرائم بشكل سري وعلاني، حيث لا توجد حدود لعنفه وطغيانه.

[١٣٦] شاعر وأديب وسياسي فلسطيني، ولد في سنة (١٩٥٧-)
[١٣٧] عبد الناصر صالح: المجد ينحني أمامكم ، ص ، ٨٧.
[١٣٨] كاتب وسياسي فلسطيني يقيم في قطاع غزة، عشر سنوات في السجون الإسرائيلية.
[١٣٩] مجلة إيداع نفحة، ص ٨٣.

ومن أمثلة التضاد قول الشاعر 'المتوكل طه'[١٤٠]:

"لا بد الصرخة حتى نكسر الصمت

ولا بد من الموت لنحيا"[١٤١].

التضاد بين 'الصرخة' و'الصمت'، وبين 'الحياة' و'الموت'، ساهم في إبراز موقف الشاعر من الواقع الذي يعيشه، حيث يدرك بوضوح أن الحرية والكرامة لا يمكن تحقيقهما بدون تضحيات.

وإذا تدبرنا إلى قصيدة 'عائد' للشاعر إبراهيم المقادمة، نستفيد قدرته الإبداعية على استخدام التضاد بطريقة تسهم في تجميل رحلة العودة إلى الوطن، مما يعكس حساسيته الفنية وتفاعله العميق مع مشاعر الفراق والعودة. وذلك في قوله:

"عائد من ثنايا غربتي السوداء عائد

عائد مثل فج النور في قلب المجاهد

عائد مثلما حقي لباطلهم يطارد

عائد روحي على كفي وللعلياء صاعد"[١٤٢]

يأتي التضاد والتكرار بأثر رائع في القصيدة، فالعودة حق لا رجعة فيه، وهذا ما يؤكده تكرار كلمة 'عائد'. ومع ذلك، التضاد بين السوداء والنور، وبين الحق والباطل، يبرز إصرار الشاعر وثقته الكبيرة في أنه سيعود. فالحق لا بد أن يعود إلى أصحابه والباطل مهما طال الزمن سينكسر وينهزم. هذا التوازن بين التضاد والتكرار في القصيدة يعزز من عمق معانيها، ويجسد إيمان الشاعر بقضيته وإصراره على التمسك بالحق والعودة إلى ما ينتمي إليه.

[١٤٠] متوكل طه هو شاعر فلسطيني وناشط معروف في مجال الأدب والشعر. مواليده ١٩٥٨.
[١٤١] المتوكل طه، فضاء الأغنيات، ص، ٤٤.
[١٤٢] إبراهيم المقادمة: ديوان لا بسرقوا الشمس، ص ٣٤.

الترادف:

في فترة السجون، انتشرت ظاهرة الترادف في الشعر كوسيلة استخدمها الشاعر الأسير لتحسين قصائده من خلال تكرار الكلمات، يؤكد الشاعر المعنى الذي يريد إيصاله. مثال على ذلك هو قول الشاعر فايز أبو شمالة في رثاء 'عطية الزعانين'[١٤٣]، السجين الذي استشهد أثناء التحقيق في سجن نفحة، وهو نموذج بارز لهذه الظاهرة في تلك الفترة.

"يشهد من يعرف، من لا يعرف، من يسمع
كيف عذاب القبر يهون
وكيف عطية في التحقيق يصير نخيلا؟
يستعصي فيه الجذع على الكسر
على التركيع
صعود المنتصرين ثمار
نقسم ألا ينتفع الجلاد أقل قليلا
مهما يستل العنف، القمعأ الشنق، الضرب، الخنق
وشوقا تصعد منذنة للشرف ويهبط بالعار ذليلا"[١٤٤]

يجمع الشاعر بين كلمات مثل القمع والعنف والشنق والضرب والخنق ليظهر أن جميع أساليب العدو في التعذيب لن تكسر البطل المقاوم أو تجعله يرضخ لمطالب السجان. كان عطية رمزًا للثبات والصمود خلال التحقيق، وغادر الحياة دون أن ينكسر أو يستسلم كما لو كان نخلاً لا يمكن كسره أو إرضاخه.

[١٤٣] عطية الزعانين هو شخصية فلسطينية معروفة، كان سجينًا سياسيًا تعرض للاعتقال خلال الاحتلال الإسرائيلي. وُلد في قرية "الزعانين" في فلسطين، وتعرض للتعذيب خلال فترة احتجازه. استشهد أثناء التحقيق في سجن نفحة، مما جعل منه رمزًا للصمود والمقاومة.

[١٤٤] فايز أبو شمالة، سيضمنا أفق السناء، ص ٤٩.

وفي مدحه 'لمعهد حراء'[١٤٥] الذي يقوم بتعليم الناشئة القرآن وآدابه، يقول الشاعر الشيخ رائد صلاح:

"أنت فينا نور شمس وضياء أيقضت فينا الهداية يا حراء
أنت فينـا عـز نفس وإبـاء أنت فينـا قلعـة، أنت الإخاء
أنت فينـا بلسـم، أنت الـدواء وعماد الديـن يعلـوه اللـواء"[١٤٦]

فالترادف يظهر في قوله 'نور' و'ضياء' و'عز نفس' و'إباء' 'بلسم' و'دواء' كلها ألفاظ توحي بمكانة هذا المعهد الجليلة وعطائه القيم.

الالتفات:

الاعتراض، المعروف أيضًا بالاستدراك، هو أسلوب يستخدمه الشاعر عندما يبدأ بمعنى معين، ثم يقدم معنى آخر يعدل الأول، قبل أن يعود مرة أخرى إلى المعنى الأول دون التأثير على محتواه. يستخدم الشاعر هذا الأسلوب في قصائده للحفاظ على تفاعل القارئ وقدرته على التأثر، حيث يجعل التبديل بين المعاني يحفز الانتباه ويمنع الملل، ويعزز الاتصال الجيد مع المتلقي. أنواع الاعتراض تتعلق بالسياق الذي يُستخدم فيه الكلام وتشمل الخطاب والتحدث والغيبة كأمور أساسية. ومن الالتفات من التكلم للخطاب قول الشاعر 'محمود الغرباوي'[١٤٧]:

"إنني أمقت الخوذة والموت الذليل
أمقت الآتي من الأقطار يلتذ بقتلى
أمقت القيد السرايا والرحيل
أمقت الظلم وسلب الشمس

[١٤٥] هو مؤسسة تعليمية تُعنى بتدريس تحفيظ القرآن ودروسه ببكة.
[١٤٦] رائد صلاح: زغاريد السجون، ص ٩٩.
[١٤٧] محمود الغرباوي هو شاعر فلسطيني معروف، وُلد في عام ١٩٥٧. يُعتبر من الأصوات الشعرية البارزة في الأدب الفلسطيني، حيث يعبر في قصائده عن قضايا الوطن والهوية والحرية.

من روح الحقيقة

أمقت الفقر والوهن الضرير

.....

لا تلمني

أيها القاطن في أي دفيئة

من دفيئات البلاد النائية

أنت لم تعرف ما طعم المذلة

لم تجع

لم تحاصرك أحداق وأمعاء صغارك

ليلة أو بضع ليلة"[١٤٨].

النص يستخدم الالتفات لتعزيز معاناة الفلسطيني، حيث يصور الحزن والهموم، والجوع، والموت كعوامل تجعله يشعر بالغضب والثورة ضد كل أشكال الضعف والتخاذل الدولي تجاه قضيتهم.

ومن الالتفات من التكلم إلى الغيبة قول الشاعر 'نبيل الجولاني'[١٤٩]:

"أعلن الآن صوتي

فدمي يعبر دمي كالرصاص

والنبض في يقاتل

والفلاح يقاتل

يغرس الغراس

[١٤٨] محمود الغرباوي: الفجر والقضبان، ص ٢٢.

[١٤٩] نبيل الجولاني هو شاعر فلسطيني معروف، وُلد في عام ١٩٦٠. يُعتبر من الأسماء البارزة في الشعر الفلسطيني المعاصر. كاتب وسيناريست مسرحي وكاتب قصة قصيرة.

يقطف الأعراس

والطلاب تقاتل

تملأ كراسا بعد كراس

والأطفال تقاتل

تنصب متراسا وراء متراس"[١٥٠]

استخدم الشاعر الالتفات لتقوية موضوع المقاومة والنضال في قصيدته. بدأ المقطع بالتعبير عن دعمه للمجاهدين من شعبه، وأعلن أنه يقف إلى جانبهم. ثم انتقل للحديث عن الفئات المشاركة في القتال مثل الفلاحين والطلاب والأطفال مما يوضح انتماءهم للمقاومة وإصرارهم على الصمود. بهذه الطريقة، نجح الشاعر في إظهار فخره واعتزازه بالمقاومة والثبات في مواجهة التحديات.أما الالتفات من الغيبة للخطاب فمنه قول الشاعر'هشام أبو ضاحي'[١٥١]:

"عذراء هذه الانتفاضة

عذراء تصرخ يا وزير

لم تقتل الطلقات حبك للسفر

فحزمت أمتعته النهار

وحملت جرحك نازفا

ومضيت تدعو تنتفض

للأرض للأطيار فينا والشجر"[١٥٢]

في رثائه للشهيد القائد 'خليل الوزير' استخدم الشاعر الالتفات ليعبر عن تأثير الانتفاضة وفقدانها لشعلتها المميزة. ثم يوجه حديثه إلى الشهيد ليبين أن حياته الثورية ورسالته لم

[١٥٠] نبيل الجولاني، قصائد عن حب يتجدد، ص ، ٦٢.
[١٥١] هشام أبو ضاحي هو شاعر فلسطيني معروف، وُلد في عام ١٩٧٣. يُعتبر من الأصوات الشعرية البارزة في الساحة الأدبية الفلسطينية.
[١٥٢] مجلة ابداع مفحة، ص ، ٥٤.

تمت، بل ستستمر بعد رحيله. من خلال الالتفات، يُظهر الشاعر قدرته على جذب انتباه المستمع، حيث يتحكم في الكلمات والتراكيب في القصيدة بمهارة. هذا التحكم يجعل القصيدة تبدو كلوحة فنية غنية بمختلف الأساليب البلاغية، مما يعزز جمال النص ويزيد تأثيره على القارئ أو السامع.

أهم الظواهر الأسلوبية

الأسلوب في اللغة هو طريق يستخدمه الشاعر أو الكاتب للتعبير عن أفكاره ومشاعره. يعرف ابن منظور بقوله "كل طريق ممتد فهو أسلوب والأسلوب الطريق والوجه والمذهب"[١٥٣].

الأسلوب في الأدب يعني الشكل أو القالب الذي تُكتب فيه التراكيب اللغوية والنصوص الأدبية. في السياق الإسلامي، كما يقول الدكتور عدنان النحوي[١٥٤]، يشير الأسلوب إلى الطريقة التي يوجه بها النص الأدبي نفسه نحو أهدافه المهمة التي تتماشى مع قواعد الإسلام. يرتبط الأسلوب هنا بالعلاقة بين الكاتب، والنص الأدبي، والمتلقي، لتحقيق أهداف معينة يسعى الأدب الإسلامي لتحقيقها في تأثيره وتوجيهه للمجتمع بما يتوافق مع تعاليم الإسلام وقيمه.

فنستفيد أن الأسلوب هو بصمة الكاتب التي تميزه عن الآخرين، وهو يعكس رؤية المبدع للواقع والحياة في هذا العالم. كما يعكس شخصيته وما يشعر به من صراعات. لكل كاتب أسلوبه الخاص في التعبير عن مشاعره وأحاسيسه، وفي هذا الخصوص يتناول الباحث أهم الظواهر الأسلوبية لدى شعراء السجون في هذه المرحلة.

[١٥٣]. ابن منظور: لسان العرب، مادة (سلب)

[١٥٤] هو أديب مشهور وناقد فلسطيني، داعية إسلامي له مؤلفات في العمل الإسلامي ونظريات في التغيير والإصلاح.

١- النداء:

يُعتبر النداء صوتًا يشبه الدعاء والرغبة، يستخدمه الشخص لمناداة الآخرين ويطلب منهم الرد باستخدام حروف النداء. اتخذ الشعراء هذا الأسلوب خاصة السجناء، وتنوعوا في استخدام أدواته مستغلين معانيه البلاغية لتحفيز الناس على التقدم في مسار النضال والمقاومة. يقول الشاعر سميح فرج[١٥٥]:

"يا قبضة الشعب المزمجر زمجري
هذي طريق الشعب فلتعش الطريق
هذا قرار الشعب فليعش القرار"[١٥٦]

غالبا يستعمل الشاعر النداء تنديدا بجرائم الاحتلال ولإظهار مدى وحشيته، كما في قول الشاعر رائد صلاح:

"يا سارق فرحة أولادي في يوم العيد
يا حاصد بسمة مولود حر وسعيد
أمطرنا برصاصك حقدا يا شر حقود
وتوغل، جرع خيمتنا نارا وصديد
ستعيش جبانا، صعلوكا، وغدا، رعديد"[١٥٧]

في ظل الصمت العربي المؤلم والتخاذل الذي ألم بأمة القرآن، يصدح نداء الشاعر عبد العزيز الرنتيسي قائلا خلال قصيدته 'يا طائر الدوح':

"يا طائـر الدوح بلغ أمــة العرب أنــي كفـرت بهـذا الصمت واللعـب
يا للهوان فعرض العرب منتهك والشعب بات أسير الزيف والكذب"[١٥٨]

[١٥٥] سميح يوسف محمد خليل فرج، هو شاعر فلسطيني معروف، وُلد في عام ١٩٥٥.
[١٥٦] ابداعات الحجر، ج ٢، ص ٢٤.
[١٥٧] رائد صلاح، زغاريد السجون، ص ١٢٦- ١٢٧.

والأمثلة في هذا الأسلوب تفوق العدد والحصر، إذ خاطب شعراؤنا الأحياء والشهداء ورموز الوطن والأرض، والطيور والقدس والأقصى، فأثرى قصائدهم بمختلف الصور والألحان.

٢- أسلوب النفي:

هذا الأسلوب يظهر بشكل واضح في قصائد الشعراء السجناء في هذه المرحلة، حيث نجحوا في التعبير عن رفضهم للواقع المؤلم ودعوتهم لتغييره، رافضين الخضوع للاحتلال ومطالبين بالثورة ضده. كما أكدوا على ثبات المناضلين داخل السجون وخارجها على مبادئهم، وحرصهم المستمر على الاستمرار في المقاومة والنضال. يقول الشاعر كمال عبد النبي[١٥٩]:

"مهما الرجال تعثرت

لا..تطأطئ الأفاعي كيفمما يبغي

ذليل أن يصافح من عداه"[١٦٠]

والشاعر هشام أبو ضاحي يعبر عن قدرة العدو على كسر شوكة الأسير وإذلال إرادته وحياته داخل القضبان مدى الحياة. في قصيدته 'قلبي معك'، التي قدمها تضامناً مع الشاعر والمناضل سليم الزريعي، الذي أمضى عشرين عامًا وراء القضبان، يعبر عن ذلك بشكل مؤثر ومتجدد.

"لم يقتلوك

لم يقتلوا فيك النشيد

لا زالت تصدح بلبلا

بالدم والنيران والشعب المجيد"[١٦١]

---

[١٥٨] عبد العزيز الرنتيسي، حديث النفس، ص ١١.
[١٥٩] كمال عبد النبي هو شاعر فلسطيني معروف، وُلد في عام ١٩٧٠.
[١٦٠] فايز أبو شمالة، رياحين بين مفاصل الحجر، ص ٢٠٦.

يكرر الشاعر في هذه القصيدة النفي ليؤكد أنه لم ينسَ أمه وذكرياته معها والطفولة التي عاشها بجانبها. من خلال ذلك، يبرز مدى تقديره وإخلاصه لها حيث حفظ العهد ولم ينسَ كيف كانت تعد له الفطور كل صباح وتحكي له القصص وتعلمه الثبات والصبر في مواجهة الصعوبات. هذا ما نجده في قول الشاعر 'رائد صلاح' مخاطبا أمه:

"يا أنقى قلب أعرفه يا أذكى مسك في العطر
لا أنسى صحوك صانعة لفطوري دوما في الفجر
لا أنسى عودك حاملة للبيت سجلا من صبر
لا أنسى صوتك راوية قصصا قد نقشت في فكري
لا أنسى سعيك تأديبي كي أصبر في درب الخير
لا أنسى دمعك أحيانا قد سال بساعات الضر
لا أنسى العيد وفرحته إذ كنت له أسمى بشر
لا أنسى حرصك أن أحيا بسرور لو كنت بعسر"[١٦٢]

إلى غير ذلك من القصائد التي استخدم فيها الشعراء هذا الأسلوب بهدف استثمار دلالته المتعددة.

٣- أسلوب الاستفهام:

وهو السعي للحصول على معرفة جديدة بشيء لم يكن معروفًا من قبل، حيث تعتبر الكلمات المستخدمة في ذلك مثل 'همزة وها وكيف ومتى، وأين'. استخدم الشعراء داخل السجون أدوات بلاغية مثل 'هل' و'كيف' و'كم' بشكل مكثف في قصائدهم خلال هذه الفترة. وأظهروا من خلال ذلك أهدافًا بلاغية متعددة، بما في ذلك التعجب الذي أبرزه استخدام الأسئلة في قصيدة 'التحدي' للشاعر عبد العزيز الرنتيسي. يقول الشاعر فيها:

[١٦١] فايز أبو شمالة، رياحين بين مفاصل الحجر، ص ١٨٣.
[١٦٢] رائد صلاح، زغاريد السجون، ص ٥٢-٥٣.

"فلمن فلسطين الرباط؟ ومن له ال مسرى؟ وحتى النصر أين؟ وأين ثائر؟

أين الشعـارات التـي قد خـدرت منا الألـوف وزيفـت فيـض المشاعـر؟"[١٦٣]

يتعجب الشاعر الرنتيسي في هذه القصيدة من القيادات التي استسلمت للكيان الصهيوني، بينما كانت أمه عاجزة ومكبلة الأيدي لا تفعل شيئًا. استخدم الشاعر هذا الاستفهام ليخدم الفكرة الأساسية للنص، وهي التحريض على المواجهة وتحدي الصهاينة وجرائمهم، والدفاع عن الأقصى الشريف.

ويوظف الشاعر 'محمود الغرباوي' الاستفهام ليبين مقدار معاناة الأسرى وآلامهم وصمودهم وحبهم للحياة في ذات الوقت، يقول:

"ما الذي يبعث في الليل الشعاع

ما الذي يحشد في الوجدان ضوضاء الحياة

ما الذي يقمع في ابداع ويبعثه حريق

ما الذي يكسب للأطفال أنياب الصراع

ما الذي يوصد أبواب الظريق

إنها القضبان والليل ووهم قد يكون"[١٦٤]

٤- أسلوب الأمر:

الأمر هو عكس النهي، حيث يعبر عن طلب الفعل بشكل ملزم. يمكن أن يكون أيضًا إلزامًا بالتصرف. وفي شعر عبد العزيز الرنتيسي يتناول خطابه الزعامات العربية والعالمية التي استسلمت لغرور العدو الصهيوني. هناك يكرر الشاعر الرنتيسي الفعل 'عودوا' سبع مرات للتأكيد ينوي على إصرار الشعب الفلسطيني على مواجهة المحتل وعدم الاستسلام مع الحث هؤلاء الزعماء على الوقوف معًا ضد الظلم، يقول:

[١٦٣] عبد العزيز الرنتيسي، ديوان حديث النفس، ص ٧٠.
[١٦٤] محمود الغرباوي، الفجر والقضبان، ص ٥٠.

"أحيوا ضمائركم أما بقيت ضمائر فتجارة الأوطان من كبرى الكبائر
عودوا إلى أطفال غزة تسمعوا عن مولد الإصباح من رحم الدياجر
عودوا إلى القسام يسلخ من ظلام الليل بالأكفان مجدا للأواخر
عودوا إلى المشلول ياسين العلا بحماسه درات على البغى الدوائر
عودوا إلى الخنساء تكظم غيظها لتثور بركانا يزلزل كل خائر
عودوا إلى الرشاش تخضنه اللحى بخنادق الإخوان تزهو صور باهر
عودوا إلى آثارنا آبارنا لمروجنا الخضراء تنتظر الحرائر
عودوا إلى مرج الزهور لتعلموا أن المبادئ لا تذل إلى مكابر"[١٦٥]

ومن ذلك أيضا تكرار الشهيد 'إبراهيم المقادمة[١٦٦]' فعل الأمر 'خذيني' ليدل على تعرضه للذل وتمنية الشهادة، يقول في قصيدته:

"خذيني إليك
فكل الدوائر ضاقت علي
وكل المنافي وكل المخافر"[١٦٧]

يستخدم الشاعر عبد العزيز الرنتيسي أسلوب الأمر بشكل فعّال ليحث أبناء الشعب العراقي على مقاومة العدوان. يظهر ذلك كدليل على دعم الأسرى داخل السجون للشعوب الإسلامية في حروبها ومآسيها. يقول من خلا قصيدته:

"دمر جيوش الكفر دمر يا عراق واخلع نيوب الغدر هيا والنفاق
دمرهم فجرهم مزقهم علمهم أنا الفوارس في السباق

[١٦٥] عبد العزيز الرنتيسي، حديث النفس، ص ٦٩-٧٠.
[١٦٦] إبراهيم أحمد المقادمة، طبيب ومفكر وكاتب وشاعر، ولد غزة عام ١٩٥٢.
[١٦٧] إبراهيم المقادمة، لا تسرقوا الشمس ، ص ٢١.

ارفع لـواء الدين فـي كل البــلاد واصدع بها يا قوم حي على الجهاد

فلتشمخـي بغداد كالشــم الرواس ولتعلمـي أن الجهـاد هــو الأســاس"[١٦٨]

بالطبع، استخدم الشعراء أسلوب الأمر بشكل مباشر لتأكيد الفكرة العامة لنصوصهم ولنقل المعنى بوضوح للقارئ.

٥- أسلوب النهي:

أسلوب النهي هو طلب إيقاف الفعل بطريقة قوية وملزمة، وله شكل واحد فقط، وهو المضارع المرتبط بلا الناهية. نفهم ذلك من قول الشاعر 'معاذ الحنفي[١٦٩]' عن العيد، الذي جاء في يوم ذكرى مذبحة مخيم النصيرات خلال الانتفاضة، يقول:

"لا تقترب

من حيث جئت عد شريدا

فجزيرة الأحلام تمنح قمرتي شوقا فريدا أملا فريدا

عد لا تضيع

لا موعدنا الربيع"[١٧٠]

وقال الشاعر الشهير فايز أبو شمالة في قصيدته 'أوسع من تجاعيد السلاسل'، حيث يحض المقاومين الأبطال على عدم التراجع والتخاذل، وأشار أيضا إلى أن الشهادة في حالة دق أجراس الحرب هي أعظم ما يمكن تحقيقه وأبهى. يقول الشاعر:

"لا تنتظر أيها البطل

إذا دقت نواقيس الرحيل

حرية الشهداء تصعد كالضياء الحرفي جوف الصليل"[١٧١]

[١٦٨] عبد العزيز الرنتيسي، حديث النفس، ص ٧٦ .
[١٦٩] هو شاعر فلسطيني معروف، يُعتبر من الأصوات الشعرية المميزة في الأدب الفلسطيني المعاصر.
[١٧٠] معاذ الحنفي، أوراق محررة، ص١٩.

ويستخدم الشاعر 'خضر محجز'[١٧٢] أسلوب النهي في قصيدته 'قاتل' ليحفز على التقدم وينبه أهمية عدم التراجع، ومشيرًا إلى أن بلادنا فلسطين تتطلع إلى الكثير من أبنائها، يظهر ذلك من خلال قوله 'لا تردد لا تلتفت':

"هيا تقدم لا تردد يثنينك أو نذير

فلقد علمت بأن عدنا أزلفت نعم المصير

لا تلتفت خلفا فإن بلادنا تبغي الكثير

فإذا عطشت فمن دماء المعتدين لك النمير"[١٧٣]

لجأ الشعراء السجناء إلى أسلوب النهي في خطابهم الشعري ليسلطوا الضوء على دورهم في تنبيه ضمائر الأمة العربية والعالم بأسره وتحفيز استمرار النضال، وداعين إلى الوقوف بشكل جاد لنصرة قضية فلسطين.

٦- أسلوب الحذف والإضمار:

الحذف هو من الظواهر البلاغية الأساسية التي يستخدمها الكاتب في تشكيل نص الشعر. تنتقل اللغة من خلال استخدامه من مستواها العادي إلى مستوى بلاغي أعلى وأكثر تأثيرًا. يستمد الحذف أهميته من خلق تواصل بين المرسل والمتلقي. يرسل المرسل جزءًا ويخفي جزءًا آخر، مما يجعل المتلقي بحاجة لتكملة المعاني والصور. استفاد الشعراء الأسرى كثيرًا من أسلوب الحذف والإخفاء في تكثيف المعاني وإظهار الأفكار والمشاعر التي يعيشونها. بفضل هذا الأسلوب، يستطيع المتلقي الاندماج بشكل أكبر في تجربة الشاعر الأسير، مما يجعله يعيش تلك اللحظات الشعرية المميزة.

---

[١٧١] فايز أبو شمالة، سيضمنا أفق السناء، ص ١٣٥.
[١٧٢] شاعر وروائي وناقد وباحث أكادمي فلسطيني.
[١٧٣] خضر محجز، الانفجار، ص ٥٩.

ومن أمثلة قول الشاعر المتوكل طه :

"هدموا...!

وما هدموا سوى بيت

ستعلي سقفه أيدي الطفولة والحجارة

سجنوا...!

قد أصبحت كل السجون

منارة تلو المنارة

قتلوا....!

وماذا إن غسلنا أرضنا بدمائنا

فليقتلوا....!

أغراسنا ارتفعت وقد نلنا البشارة"[١٧٤]

بهذه الكلمات، يظهر الشاعر إيمان هذا الشعب بالثبات والصمود، رغم أن الظلم قد امتد بالهدم والقتل والسجن والتدمير. إلا أن هذا الشعب لا يزال قويًا مثل الجبال، مرفوع الرأس بعزته وإيمانه العميق بأنه سينال الشهادة وسيفوز بالنصر في الدنيا والآخرة.

وكذلك، في قول الشاعر 'معاذ الحنفي'[١٧٥]عن ليالي السجن والحالة النفسية التي يتعرض لها السجين، يستعمل الحذف والإضمار بثقافة عالية. يبرز من خلالهما الضغوط النفسية والحالة الشعورية التي يعيشها الأسير داخل زنزانته، يقول الشاعر معاذ الحنفي:

"الصيف يهذي والشتاء

والقلب والروح الجميلة والدماء

ماذا يدور بداخلي...؟

[١٧٤] المتوكل طه، فضاء الأغنيات، ص ٢٢-٢٣.

[١٧٥] هو معاذ محمد عبد الهادي الحنفي ، شاعر فلسطيني، ولد في العام ١٩٦٨م.

الصمت...

والتوحيد....

والخواء..." [١٧٦]

وهكذا استخدم الشعراء الفلسطينيون والعراقيون داخل الأسر أساليب متنوعة للتعبير عن مواقفهم وتجاربهم في القضايا المختلفة. استفادوا بهذه الاستعمالات من الأسلوب واللغة انتباه الشعب إلى ما يريدون من الأمور المهمة التى تتعلق بمواطنهم المحبوبة، ويجملون قصائدهم بها مع تكثيف المعاني فيها، حتى جعلوها أعمالا فنية تتميز بالبهاء والجمال.

[١٧٦] معاذ الحنفي ، أوراق محررة، ص ٥١.

الباب الثالث

الشعراء السجناء البارزون في العراق وفلسطين

الفصل الأول: محمود درويش؛ شاعرالوطن والحب

الفصل الثاني: سميح القاسم؛ شاعر المقاومة والصمود

الفصل الثالث: توفيق زياد؛ شاعر الشعب والإنسانية

الفصل الرابع: محمد مهدي الجواهري؛ شاعر العنف الثوري

الفصل الخامس: مظفر النواب؛ شاعر الثورة والتحريض

الفصل السادس: أحمد الصافي النجفي؛ شاعر الغربة والتشريد

الباب الثالث

الشعراء السجناء البارزون في العراق وفلسطين

الشعراء السجناء، فلهم منزلة عظيمة في قلوب الشعب، يعتبرون رموزا للصمود والكرامة والمقاومة حيث يستطيعون بكلماتهم المؤثرة أن يرفعوا روح الثورة والصمود في وجه الظلم والقهر. يعتبرون ملهمين مثلجين للقلوب، حيث يعبرون بكلماتهم معاناة الشعب وتجاربهم في السجون، ويسلطون الضوء على قضايا العدالة والحرية والكرامة. وبفضائل قصائدهم، ينتشر الوعي والوحدة في المجتمعات و يحرضون على المقاومة والمناضلة بأفكار إيجابية حية، وتجعلهم يشعرون بأنهم ليسوا وحدهم في معركتهم، لذا فإن الشعراء السجناء يتمتعون بمكانة خاصة ومهمة في تاريخ معركة لنضال والثقافة في العالم. يحث الشعراء السجناء على الشعب الفلسطينبي والعراقي خلال قصائدهم بعدة طرق:

١. إثارة الوعي: يستخدمون قوة الكلمة لتوجيه رسائل تحفيزية وتوعوية للشعب مشجعين إياهم على المثابرة والصمود في وجه الظروف الصعبة.
٢. التضامن والوحدة: يعزز الشعراء روح التضامن والوحدة بين أفراد المجتمع، ويحثونهم على التكاتف والتكالف والعمل المشترك لمواجهة التحديات والظروف الصعبة.
٣. توجيه الانتقاد: يوجهون الانتقاد من الأنظمة القمعية والاحتلال والظلم السياسي، مما يحث بين الشعب على النضال من أجل الحرية والعدالة والمساوات.
٤. تشجيع المقاومة السليمة: يدعمون الأنشطة الفعالية والحركات السليمة التي تسعى إلى تحقيق الأهداف الوطنية بطرق بسيطة وسليمة، ويحثون الشعب على المشاركة فيها.

٥. إبراز الأمل والإيمان: ينقلون رسائل الأمل والإيمان للشعب على تحقيق النصر والتغيير، ويشجعونهم على عدم اليأس رغم التحديات.

وفي هذا الخصوص هناك بعض الشعراء المشهورين الذين شربوا مرارة السجن في صورة مباشرة في فلسطين والعراق، ومن طليعتهم من الشعراء: الشاعر محمود درويش الفلسطيني وسميح القاسم الفلسطيني وتوفيق زياد الفلسطيني ومحمد مهدي الجواهري العراقي وأحمد الصافي النجفي العراقي.

الفصل الأول

محمود درويش؛ شاعر الوطن والحب

محمود درويش هو أحد أهم الشعراء الفلسطينيين المعاصرين، ويعد "أحد أشهر الشعراء العرب الذي امتزج بشعره الحب بالوطن الحنين، كان وطنه فلسطين مشكلا في وعيه وانتمائه للقضية حتى فارق من الدنيا، ومع ذلك كتب عن الحلم الإنساني والثوري حيث كانت أشعاره كلها من الأدب الرفيع مع ذلك يعد أنه كان ناقدا متميزا، لذا تمت ترجمة قصائد درويش إلى لغات مختلفة. وكان من أشهر الشعراء الذين طوّروا الشعر العربي الحديث وأدخلوا الرموز فيه وكتب وثيقة إعلان الاستقلال الفلسطيني ونشرها في الجزائر"[١٧٧]. يجسد درويش في شعره رغبة واضحة في تشكيل مركز أساسي لفكره النضالي، حيث ينعكس تأثيره العميق على الوعي العربي والفلسطيني.

وُلِد محمود درويش في ١٣ مارس لعام ١٩٤١م في قرية صغيرة تُدعى 'البروة'. ووالد درويش اسمه 'سليم درويش'، وهو رجل يعمل في مجال الفلاحة وأمه من قرية 'الدامون'. وكان درويش ثانيا من أبناء أسرته التي تتضمن ثمانية أعضاء، فيهم خمسة أولاد وثلاث بنات. وكان درويش تأثر بأخيه أحمد في كتاباته الرائعة.

طريقة محمود درويش في الشعر

محمود درويش كان يتبنى أسلوبًا شعريًا في الأدب يتميز بالعمق الفلسفي والتعبير الشخصي. كان يجمع بين الواقعية والرمزية في قصائده كما يعبر عن قضايا الهوية والوطنية بأسلوب منفرد. لعب دورًا مهمًا في تطوير الشعر المعاصر، وكان له تأثير كبير بالأجيال الجديدة من الشعراء. في الشعر المعاصر، ظهرت عدة أجيال، منها ثلاثة

[١٧٧] حيدر توفيق بيضون، محمود درويش – شاعر الأرض المحتلة، جزء٩٢، سلسلة أعلام الأدباء، بيروت: الكتب العلمية، ص:١٦.

أجيال رئيسية: الجيل الأول في الأربعينيات، الذي شهد ظهور الحركات الأدبية الحديثة والبحث عن هوية وطنية، والجيل الثاني في الخمسينيات الذي استمر في تطوير هذه الثقافة والتعبير عن التجارب الوطنية والإنسانية، والجيل الثالث في الستينيات الذي تميز بالتجريب والتفاعل مع الفنون العالمية، ما أدى إلى ظهور أساليب جديدة في الشعر. كان لدرويش إسهامات بارزة في هذا التطور حيث جسد تجربة شعرية فريدة وأثر بشكل كبير في المشهد الأدبي والثقافي العربي.

يعتبر الشاعر من الجيل الثاني في الشعر العربي المعاصر، وهو جيل الخمسينيات الذي تميز بتجاربه المتنوعة في تصوير القصيدة العربية بشكل موسيقي. كان هذا تحت فلسفة جمالية تؤمن بأهمية الواقع النفسي في الفن والحياة. ارتبطت قصائد هذا الجيل بالجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، مما جعل الشعر المعاصر مرتبطًا بشكل قوي بالطابع العصري والمضمون الحديث.

وكان شعره المعاصر قريبًا من قضايا العصر التي عاشها الكاتب. ومن بين هذه القضايا كانت قضية فلسطين مهمة في قلوب الشعراء وظهرت في أعمالهم كوسيلة للتعبير عن هذه القضية. كتب محمود درويش بشكل ملحوظ عن فلسطين كما فعل زملاؤه مثل الشاعر سميح القاسم والشاعرة نازك الملائكة الذين استخدموا مهاراتهم الشعرية لنقل تجربة الشعب الفلسطيني ومعاناته.

صدى الوطن

كانت حياة محمود درويش مليئة بالنشاط السياسي والاجتماعي، منذ شبابه شارك في الكفاح السياسي. وانضم إلى الحزب الشيوعي الإسرائيلي بسبب أفكاره السياسية. وبسبب نشاطه تعرض للمضايقة والقمع المستمر من السلطات الإسرائيلية. وصار صوت الأمة في أسوأ مناخاتها وأزماتها، فسُجن عدة مرات، وكان من أبرز حالات

اعتقاله في عام ١٩٦١ بسبب نقله من قريته 'الجديدة' إلى مدينة حيفا عام ١٩٦٠ وعاش هناك وحيدا. اعتقله الشرطة الإسرائيلية في مسكنه بدون سبب واضح.

شكلت هذه التجارب جزءًا من رحلة درويش التي تحمل فيها النضال الشخصي والسياسي، واجه الشاعر القمع الاسرائيلي العنيد وتعرض كثيرا للصعبات، خلال أيامه في السجن قام بكتابة أشعاره الأولى، وحكمت عليه الإقامة الإلزامية للمرة الأولى عام ١٩٦١ بعد قدومه من قرية جديدة ليعيش منفردا في حيفا. عبر محمود درويش عن تلك التجربة: "إن السجن الأول مثل الحب لا ينسي". هذه الكلمات تعبر عن الصدمة والتأثير العميق الذي خلفته تجارب السجن في حياته وفي شعره وفلسفته الشخصية. وسجن أيضا عام ١٩٦٥ عندما شارك في أمسية شعرية التى عقدها طلاب الجامعة العبرية في القدس حيث أتى إليها من حيفا، وقدّم شعره المعروف 'نشيد الرجال' من ديوانه الثالث المعنون 'عاشق من فلسطين' وهذا مطلعها:

"لأجـمل ضفة أمشـــي
فلا تحزن علـــى قدمـــي
مـن الأشـــواك
إن خطـــاي مثل الشمس
ولا تقوي بدون دمـــــي
لأجمل صــفة أمشـــي
فلا تحــزن على قلبــي
من القرصـــان
إن فؤادي المعجـــون كالأرض
نســيم في يد الحــب

وبارود علي البغض!" [١٧٨]

وفي عام ١٩٦٧ حامت حوله شبهة النشاط المعادي لاسرائيل وتم اعتقاله. وهو الشاعر الذي أوقف ابداعه وحياته دفاعا عن المعذبين في الأرض وعن الحب والحرية، استخدم الشعر كوسيلة للتعبير عن المشاعر الداخلية للألم والحنين إلى الحرية والوطن. قصائده كانت تنقل بشكل واضح ومؤثر الحالة النفسية والروحية للمعاناة والأمل والإصرار على البقاء قويًا رغم كل الصعاب. بفضل هذا الأسلوب الشاعري العميق، أصبحت قصائده مصدر إلهام وتأمل للكثيرين اليوم، حيث تعبر عن النضال الإنساني والتطلع نحو الحرية والعدالة.

في قصيدته 'إلى أمي' التي كتبها أثناء وجوده في السجن بعد زيارة والدته، يعبر درويش عن تجربته الشخصية وعلاقته المتغيرة مع والدته بعد تلك الفترة. يتحدث فيها عن رغبته في التصالح معها ومشاعر الحنين والتفكير في الحياة والعلاقات العائلية. يتذكر درويش أنه كان يعتقد سابقًا أن والدته تكرهه بسبب سلوكه، ولكن زيارتها له في السجن غيرت رأيه تمامًا. قرر بعد الزيارة أن يكتب قصيدة تعبر عن شوقه وألمه وتطمئن والدته بأنه يفتقد حبها واهتمامها، حيث كتب: 'أحن إلى خبز أمي'.تعكس القصيدة لحظة من التفكير العميق في العلاقات الأسرية والمشاعر الإنسانية. وبالإضافة تظهر القصيدة كيف يستخدم محمود درويش الشعر للتعبير عن الألم والرغبة في الحب والصمود رغم الظروف الصعبة، يقول درويش.

" أحــن إلى خبز أمــي وقهوة أمي

ولمسة أمـــي

وتكبــر فيّ الطفــولــة

يــوما على صـــدر يوم

[١٧٨] محمود درويش، ديوانه، عاشق من فلسطين، عام ١٩٦٦، مكتبة النور، حيفا- فلسطين.

وأعشــق عمري لأننـــي إذا مــت

أخجـــــل من دمع أمــي!"[١٧٩].

محمود درويش لم يكن فقط شاعرًا، بل كان شاهدًا على تاريخ فلسطين وحاملًا لرسالة شعبه. يشتهر شعره بتعبيره العميق عن تجربة اللجوء والشتات الفلسطيني، ويُعد من أهم الأصوات الأدبية التي تحدثت عن قضية فلسطين وحلم العودة. لكن درويش لم يكن فقط شاعرًا يتغنى بالوطن المفقود؛ بل كان يحمل في شعره صراع الهوية والوجود، ويستعرض معاناة الشعب الفلسطيني بمختلف أوجهها.

[١٧٩] https://www.aldiwan.net/poem2283.html.

الفصل الثاني

سميح القاسم؛ شاعر المقاومة والصمود

سميح محمد القاسم وُلد في عام ١٩٣٩ في مدينة الزرقاء بالأردن، وكان والده ظابطا في الجند. حضر مع أسرته إلى بلدته الراملة في عكا في فلسطين وهو في سن مبكر، أكمل أوائل دراسته في مدرسة الراملة، حيث انتقل إلى الناصرة لمتابعة دراسته الثانوية، تعكس عائلة القاسم التجارب الشخصية والعائلية التي تأثرت بالتغيرات السياسية والاجتماعية في المنطقة، وهو يعبر عن هذه التجارب في شعره وأدبه.

بعد إنهاء الثانوية واجه أكبر تحدٍ في حياته، وهو 'قانون التجنيد الإجباري'[١٨٠]. رفض الشاعر هذا القانون بشكل صريح وأسس 'الشبان الدروز الأحرار'[١٨١] معارضة لهذا التجنيد، وانضم الشبان إليه العديد من الشبان. قاموا بتوقيع بيانات احتجاج وتنظيم ندوات واجتماعات للتعبير عن رفضهم لقانون التجنيد الإجباري.

سرعان ما قبضت سلطات الجيش على سميح أوقفته في سجون مختلفة حيث فرضت عليه مهام صعبة في محاولة لكسر إرادته، مثل إرساله للعمل في غرفة الموتى في مستشفى، وبالإضافة إلى شق الشوارع، ولكن ظل سميح قويًا وصامدًا في مواجهة هذه التحديات.

خصائص شعره

قصائد سميح القاسم معروفة بسهل الكلمات، كان متأثرا بالأناشيد الوطنية يشير بلغته التحديات ضد المحتلين، ويظهر حبه بأرض فلسطين. قرض شعره الأول حينما كان ابنا لاثنتي عشرة سنة من عمره، واستمرّ سفره مع الصعوبات في بيئة الاحتلال

[١٨٠] هو القانون الذي فرضته حكومة إسرائيل على أبناء الطائفة الدرزية في عام ١٩٥٦
[١٨١] أول تنظيم سياسي من تأسيس سميح القاسم، معارضا لتجنيد الشباب الدروز.

الإسرائيلي المملوء بالظلم والإرهاب، وقصائده تترك أثرًا عميقًا في نفوس جميع القراء الذين يحملون شعلة المقاومة بفضل عمق الإحساس وروح النضال التي تميز كلماته الشعرية المليئة بالألم والأمل والحب للوطن. يتميز أسلوبه الشعري بالجمال والرقي حيث يجمع بين الواقعية والرمزية ببراعة. تعالج قصائده معاناة الشعب تحت الاحتلال الإسرائيلي وتجسد مشكلات الهجرة والتشرد التي يواجهها الفلسطينيون. وتمثل أعماله رسالة قوية عن القوة الإنسانية في ظل الظروف الصعبة مؤكدة أن الكلمة والفن لهما دور في تغيير الواقع وتحفيز التغيير. تعبر أعماله عن التواصل بين الأجيال وتركز على قيم الحرية والمساواة والعدالة. كشاعر وروائي، ساهم القاسم في بناء المقاومة وتعزيز الهوية الفلسطينية ونضالها، ويستمر إرثه في إلهام وإثراء الناس، متأثراً بتاريخ شعبه والقضية الفلسطينية كمصدر دائم لإبداعه.

شاعر المقاومة

يُعتبر من أبرز الأصوات الشعرية التي تمثل القضايا الفلسطينية والنضال ضد الاحتلال الإسرائيلي، اشتهر القاسم بشعره الذي يعبر عن رفض الاحتلال والتصدي له، حيث كانت قصائده بمثابة سلاح رمزي في مواجهة السياسات الإسرائيلية. في كثير من قصائده، نجد دعوات للوحدة الوطنية ولإعلاء صوت الشعب الفلسطيني في مواجهة محاولات الطمس والإقصاء.

" منتصـــب القامـــة أمشـي

مرفـــــوع الهامة أمشـــي

في كفـــي قصفة زيتـون

وعلى كتـفـــي نـعـشـى

كلمات الأغنية للشاعر القاسم وصوت فلسطين وغزة، نبضت بالشارع الفلسطيني والعربي مجسدة مسيرة مقاومة ونضال على مدى أكثر من خمسين عاما من الاحتلال

الغاصب لأرض فلسطين وأنفاسه. القاسم جعل من الكلمة سيفا حاسما على رقاب الكيان الإسرائيلي فتزورنا ذكرى رحيله ثقيلة على قلوبنا وتعيد معها أجمل القصائد الثورية لتنشر الأمل بتحقيق الاستقلال والعودة إلى الأراضي المقدسة التي لم تغب عن مخيلة كل فلسطيني أجبره الاحتلال على ترك أرضه"[١٨٢].

يتضح مما سبق، كيف كانت شخصية سميح القاسم ومواقفه على المحتلين في ميادين الدفاع كما تعبر كتاباته بشكل عميق عن الصراع الفلسطيني والحقوق الوطنية.

كانت كلمات القاسم كالعلقم على العدو الإسرائيلي حيث تم سجنه أكثر من مرة ووضع تحت الإقامة الجبرية لمواقفه السياسية وأشعاره، لكن هذا لم يثنه عن كتابة الشعر وافترشت قصائده السجون الإسرائيلية التي أطلق منها أقوى ومعاني الكفاح والمقاومة ورفض الاحتلال. وفي معظم قصائده، يناقش هذا الصراع بعاطفة وواقعية. استخدم القاسم الشعر لتناول الصراع في وطنه، وحوّل كلماته إلى رموز تعبر عن المقاومة. لم يتوقف عن التعبير عن صوته المتمرد، رغم المراقبة المستمرة واعتقاله المتكرر.

دمج في شعره التراث الديني وقضايا القدس، معبرًا عن رأيه بأن الأمة العربية تستحق مكانة أفضل بعيدًا عن الحصار والنكسات. يعتبر القاسم أن جسده الحقيقي هو أمته ووطنه، وما دام في حالة اعتلال، فإنه يشعر بذلك. وفي إحدى الحوارات الصحفية، أعرب القاسم عن تفاعله العميق مع وطنه، حيث قال:"لا أستطيع أن أضع حدودًا بين هو شخصي وما هو وطني، وبين ما هو ذاتي وما هو قومي"[١٨٣]. رآه نفسه ببساطة جزءًا من هذا الوطن كحفنة تراب من أرضه أو قطرة ماء تمطر من سماءها أو نسمة هواء تحرك أغصان الزيتون في بلاده. ظل القاسم غاضبًا وصامدًا كالجبال أمام الرياح في أرضه وناضل وسُجن من أجلها. كتب أجمل الشعر وأعذبه وبفضل هذه المواقف والكتابات أطلق عليه لقب 'الشاعر الانتفاضة'.

[١٨٢] http://www.alayan.ae
[١٨٣] https://www.dotmsr.com

باختياره البقاء، قرر سميح القاسم ترجمة شعره إلى العديد من لغات العالم. أدرك سريعًا أهمية الكلمة، رغم أنها قد لا تكون كافية. نزل إلى التظاهرات وقاد أولى عمليات التمرد ضد التجنيد الإجباري في الجيش الإسرائيلي. كما أدرك أنه ستأتي أجيال تحمل الحجارة وتواجه العدو. عندما اندلعت الانتفاضة، لم يتوقف القاسم عن كتابة الكلمات، بل استمر في التعبير عن موقفه وتضامنه مع النضال الفلسطيني بشجاعة وإصرار.

يقول القاسم: "لا شيء أصعب من سلب الحرية، من أن يحددوا للإنسان أوقات صحوه ونومه،

ويحرموه من الكتاب والصحيفة، ومن الورقة والقلم"، وقد لخص الشاعر التجربة وموقفه منها قبل سنوات في مقطوعة صغيرة قال فيها:

"من داخــل زنزانتـــي الصغري
أبصر أشجــارا تتبسم لي
وسطوحـــا يملؤها أهلـــي
من داخــل زنزانتـــي الصغري
أبصــر زنزانتـــك الكبري"[١٨٤]

سميح القاسم لم يكتب الشعر فقط، بل قدّم أيضًا العديد من الروايات التي تعكس تجربته ورؤيته الثقافية. يهتم حاليًا بإنشاء مسرح فلسطيني يحمل رسالة فنية وثقافية عالية. يحاول من خلاله إيصال رسالة سياسية تؤثر في الرأي العام العالمي بشأن القضية الفلسطينية. تعتبر رواياته ومسرحياته تمثيلًا لقضايا الهوية والصراع في الشرق الأوسط. تسعى هذه الأعمال إلى إلقاء الضوء على التحديات والمعاناة التي يواجهها الشعب الفلسطيني. بذلك، يجمع القاسم بين الفن والسياسة بهدف تعميق الفهم والتأثير

[١٨٤] https://www.goodreads.com/quotess/6721776.

على النقاش العالمي حول القضية الفلسطينية. ومن قصائده التي صورت النضال والألم، يقول:

"قومـــوا اخرجوا من قبـــوركم، يا أيها النيام!
اليـــوم للأعـــراس
دقوا له الأجـــراس
وارفعـــوا الأعلام
لاقوه في حـــماس
لاقوه بالهتـــاف، بالأفـــراح، بالأغـــاني
هبـــوا استعـــوا أعظم مهرجـــان
غـــطوا المـــدى بأغصـــن الزيتـــون
وطيـــروا الحـــمام
جـــاءكم الســـلام"[١٨٥]

في القصيدة يدعو للحشد والتحريض على الانتفاضة والصمود، ويوجه كلامه للشعب الفلسطيني ليحثهم على الثبات في مواجهة العنوان. ويقول أيضا:

"ليـــس لدي ورق، و لا قلـــم
لكننـــــي من شـــدة الحرّ ومـــن وراء الألم
يا أصـــــدقائي لم أنم
فقلت ماذا لو تسامرت مع الأشـــعار
و زارني من كوّة الزنزانـــــة الســـوداء
لا تستخـــــفّوا زارني وطـــواط

[١٨٥] : قصيدة 'الجنود'، الشاعر سميح القاسم الفلسطيني.

وراح، في نشـــاط
يقبّــل الجــدران في زنزانتي الســوداء
و قلت: يا الجــريء في الزُوّار
حــدّث أما لديــك عن عالمنا أخبــار؟!
فإننـــي يا سيدي، من مدّة
لم أقرأ الصــحف هنا لم أســمع الأخــبار
حــدث عن الدنيا، عن الأهل، عن الأحــباب
لكنه بــلا جــواب!"[١٨٦]

الشاعر يعبر عن الملل الذي ينتابه في الزنزانة بعد اعتقاله، حيث يتمنى الخروج ليمارس حريته، حتى لو كانت من خلال الكتابة أو التجول بخياله. يشتاق إلى مساحات الحرية التي تتيح له التفاعل مع العالم الخارجي، ويرى أن حتى قراءة الأخبار من الصحف يمكن أن تكون بديلاً عن الحرية المكبوتة التي يعيشها.

أمام الانتفاضة

قصيدة 'الانتفاضة'[١٨٧] لسميح القاسم تعبر بشكل قوي وحماسي عن دعمه للانتفاضة الفلسطينية. في هذه القصيدة، يستخدم القاسم القوة الشعرية لنقل روح المقاومة وصمود الشعب الفلسطيني خلال الصراع. يتناول القاسم حدث الانتفاضة بطريقة تجعل من القصيدة خطابًا حماسيًا، يُظهر التصادم بين الجماهير والقوات المحتلة كما يتواجد بقوة ثورية موحدة، حيث يسعى ليكون على نفس مستوى الانتفاضة، مظهرًا قوة الموقف وسرعة الحركة وعمق الآثار.

[١٨٦] قصيدة 'رسالة من المعتقل'، سميح القاسم.

[١٨٧] كتب القاسم في سنة ١٩٨٧، وهي خطابة حماسية ساخنة، يحاول من خلال شعره أن يستوعب حدث الانتفاضة.

يتجلى ذلك في استخدامه الكلمات والصور الشاعرية التي تعبر عن العزم والاستعداد لمواجهة التحديات بقوة وإصرار. بهذا الشكل، يصبح القاسم واحدًا من الأصوات البارزة التي دعمت الثورة الفلسطينية بشكل ملموس، وأسهمت في تشكيل وجدان الشعب وتعزيز روح المقاومة في مواجهة الظروف القاسية.

تبرز في قصيدة الانتفاضة رؤية سميح القاسم القومية التي يعبر من خلالها عن الصمود والثورة والمقاومة خلال الانتفاضة الفلسطينية. يعتمد القاسم على مفاهيم قومية تشكل أساس تعبيره الثوري مستندًا إلى تفكير عميق. تتجلى ثبات الأفكار الشعرية التي كتبها عبر فترات زمنية مختلفة، حيث تبقى الفكرة والمواقف الثورية دون تغيير في الأسس، رغم التغيرات في الأحداث.

يغني الشاعر في قصيدته عن روح المقاومة والتضحية التي يبديها الشعب الفلسطيني في مواجهة الظلم والاحتلال، مؤكدًا أن الحرية لن تأتي إلا بالثورة والتضحية. تعكس قصيدته تصورًا عميقًا حول مسيرته وإيمانه الثابت بالطريق الذي اختاره منذ البداية، حيث يعبر عن إصراره وثباته في مواجهة التحديات والمصاعب التي تواجه الشعب الفلسطيني. يقول:

"تقدمـــوا تقدمــوا !

كل ســماء فوقكــم جهنم

وكــل أرض تحـــتكم جــهنم

تقدمـــــوا

يمــوت منا الطفــل والشيخ

ولا يــستسلم

تقدمــوا

بناقلات جــندكم

وارجمات حـــقدكم

وهددوا وشــردوا ويتمــوا وهددوا"[١٨٨].

درويش شاعر فريد غلب على قوات الاحتلال الإسرائيلي حيث كسّر شوكته وأثبت قدمه أمام الاضطهاد، ورفع علم الحرية والعدالة والصمود ضد الإسرائيليين المحتلين.

[١٨٨] قصيدة 'تقدموا' للشاعر الفلسطيني سميح القاسم.

الفصل الثالث

توفيق زياد؛ شاعر الشعب والإنسانية

توفيق زياد يُعتبر ظاهرة انسانية شاملة تحمل في ابعادها آفاقا أدبية ثورية ووطنية وقومية وأممية وأدبية تلامس أديم الأرض وتصبو فضاء الحرية حيث جسد في شعره معاناة وآمال الفلسطينيين. عُرف بجرأته في التعبير عن قضايا الكرامة والعدالة، ويعبر اكلمات القوية لنقل مشاعر الألم والأمل كما كان ملتزمًا بالقضايا الإنسانية مؤكدًا على أهمية الهوية والانتماء. من خلال قصائده ألهم الكثيرين للنضال من أجل حقوقهم وحريتهم، مما جعله رمزًا للأدب المقاوم.

مولده وحياته

توفيق أمين زياد وُلِد في مايو ١٩٢٩م في الحي الشرقي في مدينة الناصرة شمال فلسطين. درس في المدرسة الثانوية في الناصرة، ثم سافر إلى موسكو ليكمل دراسته في الأدب السوفييتي. عاد إلى الناصرة حيث أكمل تعليمه الثانوي في المدرسة البلدية، وهنا بدأت موهبته في الشعر وبدأت شخصيته السياسية. عاش توفيق زياد حياة نضال من أجل شعبه الفلسطيني، وقد تجلى كله ذلك في قصائده. يُعتبر واحداً من أبرز رجال فلسطين المتميزين في القرن العشرين، وترك أثرًا واضحًا كصانع للأمجاد الإنسانية.

توفي والده عندما كان صغيراً، مما دفعه للاعتماد على نفسه، وأظهر حبه الكبير للعلم والدراسة. في عام ١٩٥٤م، نجحت الانتخابات البلدية في الناصرة، حيث حصل توفيق زياد على المركز الثاني. في عام ١٩٦٢م، استقال من وظيفته في البلدية والتحق بالاتحاد السوفيتي وتعلم من المعهد الحربي الفلسفة والاقتصاد الاجتماعي. في عام ١٩٩٢م، عين في البرلمان الإسرائيلي وساد قائمة الجبهة. وكان شاعرا قد اهتمّ كثيرا بمشاكل الأمة العربية وعمل كعضو في الكنيسة المسيحية في إسرائيل لأكثر من مرة،

ممثلاً عن راكاح حزب سياسي شيوعي. في عام ١٩٦٦م، تم زواجه مع نائلة يوسف صباغ التي تنتمي إلى أسرة شيوعية قديمة. يعد هذا الزواج حدثاً مهماً في المجتمع لأنه من أسرة مسلمة وزوجتها من أسرة مسيحية. وتمت مراسم الزواج كعادتها في المدينة، وتمسك كل واحد منهما على دينه دون أي إجبار.

خصائص شعره

كان زياد شاعرًا وناشطًا سياسيًا فلسطينيًا، وقد انطبع شعره بالقضية الفلسطينية، مع التركيز على النضال الوطني والهوية والانتماء، عاش مضحا يضع على عاتقه آلام الوطن والبشرية معا، لم يرض لسيطرة الظلم والجور، ولا لامتحان الفساد، عاش إنسانا ليس عنده إلا أشعاره وغرامه لأرضه المحتل، يقول في قصيدته:

"أنا بشرية في حــجم إنســان
فهل ارتــاح والدم الزكي يســفك
أغني للحــياة
فللحــياة وهبــت كل قصــائدي
وقصــائدي كل ما أمــلك"[١٨٩]

الشاعر كينونة شخصيته الإنسانية السامية مشيرا إلى اضطرابه الشديد وحرصه القوي على حال قومه وحال جميع من يعيش على وجه الأرض، يشير إلى شغفه لكل الناس ويثبت مهمة الأدب لتحقيق الإنسانية والعدل والحرية والسلام للعالمين.

يقول سلمى الخضراء الجيوسي[١٩٠] عن توفيق زياد إنه "ينتمي إلى جيل شعراء المقاومة، مثل محمود درويش وسميح القاسم. وقد حصلت هذه المدرسة الشعرية على اهتمام كبير في العالم العربي وخارجه، لأنها حملت رسالة إنسانية عميقة تتعلق

[١٨٩] ديوان توفيق زياد، 'المغني'.
[١٩٠] هي أديبة وشاعرة وناقدة ومترجمة أكاديمية فلسطينية، حياتها بين(١٩٢٦-٢٠٢٣م).

بالقضايا الاجتماعية والسياسية والثقافية والفكرية. يتناول شعرهم قضايا الإنسانية والوجود وحقوق الإنسان الأساسية، ويسعى لتحقيق العدل والسلام في الوطن والمجتمع"[١٩١].

وظهر في شعره التواضع والبساطة والالتزام النضالي لقضايا وطنه والعالم مع أنه عبر عن الألم الذي يشعره في مسيرة حياته المختلفة مثل حياته اليومية والاجتماعية والسياسية. مع أنه أحيا التراث الفلسطيني الشعبي بالقصص المثيرة، ونشر قصصًا في مجلة 'الجديد' وبعد ذلك جمعها ورتبها بكتابه المعنون 'حال الدنيا'. كما قام بترجمة بعض الأعمال من الأدب الروسي وترجم أيضًا أعمال الشاعر التركي ناظم حكمت. تم ذكر قصائده في موسوعة 'الأدب الفلسطيني'[١٩٢] التي كتبتها الدكتورة سلمى الحضراء الجيوسي[١٩٣]، مما يدل على مكانته المرموقة فكريًا وأدبيًا.

شاعر الشعب الفلسطيني

كان زياد واحداً من أبرز القادة الفلسطينيين الذين انشغلوا بقضايا شعبهم في أصعب وأعقد مراحل النضال الفلسطيني. على الرغم من ذلك، لعب دوراً مهماً في تأسيس وتطوير الحركة الوطنية الفلسطينية بين الفلسطينيين العرب داخل الأراضي المحتلة. كان شاعراً يمثل كل فلسطين متمسكاً بهويته الفلسطينية، ويكافح من أجل الحقوق المدنية والوطنية للأقلية الفلسطينية التي تحولت بفعل الظروف من أغلبية تملك الأراضي والوطن إلى أقلية تعاني من القوانين العسكرية والعنصرية.

وكان من أبرز الشخصيات الوطنية والسياسية وأحد الشعراء الذين برزوا في المقاومة الفلسطينية. كان شعره غاضبًا ومليئًا بالشعور وصوتًا للثورة والقضية الفلسطينية. كان شعره يعبر عن قضايا وهموم شعبه وأمته ويلهم الجماهير بقصائده الوطنية والثورية

[١٩١] سلمي الخضراء الجيوسي، موسوعة الأدب الفلسطيني، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
[١٩٢] موسوعة ، د. سلمى الخضراء الجيوسي، إنها تصور الحياة في فلسطين قبل العام ١٩٤٨ وخلال حربي ١٩٤٨ و١٩٦٧.
[١٩٣] هي أديبة وشاعرة وناقدة ومترجمة أكادمية فلسطينية. وكانت حياتها بين (١٩٢٠-٢٠٢٣).

التي كانت جزءًا من حياة الفلسطينيين اليومية. ارتفع صوته عالياً ليواجه المستعمرين والذين ينتهكون حقوق شعبه حيث كانت عبارته الشهيرة 'إننا هنا باقون... فالتشربوا البحر' التي تعبر عن إصراره وإيمانه بالبقاء والصمود رغم كل الصعوبات التي تواجه وطنه.

صور الشاعر توفيق زياد تجربته في السجن بطريقة قوية وعاطفية، حيث عاش مرارة السجن على يد المحتلين الإسرائيليين مرات عديدة. وكانت تجربته في السجن تتجاوز الحدود الشخصية مع التعبير عن معاناة جماعية، من الهموم الفردية إلى هموم مشتركة. قصيدة 'من وراء القضبان'[١٩٤] تعكس معاناته وصموده خلال فترة اعتقاله، وتتحدث عن موضوعات تعبر عن حبه العميق لشعبه وكبريائه وكفاحه من أجل كرامته الإنسانية. حيث يقول:

"عشــرون من شــعب
تحــول في الكــفاح إلى جــنود
في غــرفة الســوداء لولا
حزمة النــور البــريد
يعلــو بها صــوت النشــيد كأنّه
قصــف الرعــود
يأتــي إلينــا بلهف السّــجان
كالذئــب الطــريد"[١٩٥].

ومن المهم أن نذكر أن زياد اهتم بالسجناء الأبرياء الذين يواجهون المعاناة في مختلف السجون حول العالم، وعبر عن ذلك من خلال أفكاره العميقة وكلماته القوية، سواء في

[١٩٤] قصيدة مسودة من تأليف توفيق زياد في سجن الرملة عام ١٩٥٨.
[١٩٥] توفيق زياد، أشد على أيديكم ط ٢ مطبعة أبو رحمون عكا، ١٩٩٤م.

العالم الغربي أو العربي مثل مصر وسوريا وبغداد. لم يذكر زياد السجن بشكل مباشر بل وصفه بالخيوط السوداء، واللون الأسود يُعتبر رمزًا للظلم والعدوان. كما ذكر عن الصورة السوداء التي غلبت ذاكرته وخياله في حال حبسه بعكا في قرية 'الدامون'[١٩٦]. تعرض زياد للعديد من المعاناة والاضطهاد والعنف من قبل الاحتلال الإسرائيلي. تجمعت الشرطة حوله وقيدت ساقيه وتعرض لضرب عنيف مرارًا وتكرارًا[١٩٧]. ومع ذلك طُلب منه سحب القصائد التي كتبها ضد الاستعمار ووضعت عمامة الذل على رأسه. فلم يستطيعوا تغيير مواقفه بسبب هذا التعذيب.

والشاعر توفيق زياد ألف أشعارا وجعل عنوانها 'سجناء الحرية'[١٩٨]، وضمت إليها قصائد أخرى كانت ممنوعة من قبل. تتحدث هذه القصائد مع أبناء شعبه بمن فيهم العمال والكادحين داعيًا إياهم إلى رفع أصواتهم بكامل قدراتهم، وتحدي السجون والسجان بهدف هزيمة الاحتلال، يقول[١٩٩].

"وارفع صــوتك

في سجــن السجّان

شُلّت كفــك يا ســجّان

افتــح باب الســجن المــقفل

افتــح للعشــرو آلاف بطــل

واسحــب يا غازي جــيشك من وطنــي المحــتل

[١٩٦] كانت قرية عربية فلسطينية تقع عند مدينة عكا.
[١٩٧] فرهود كمال قاسم: اعلام الأدب العربي في العصر الحديث، ج ٢، دار المشرق للترجمة والطباعة شفاعمر.
[١٩٨] قصيدة مكونة من ثمانية صفحات، كتبها في سنة ١٩٩٤م.
[١٩٩] مينة حنا ناظم: حكمت ثائرا ، دار الآداب، ط٢ ، ١٩٨٨م.

وفي مقدمة المجموعة الشعرية 'سجناء الحرية' تقدمت قصيدة 'الحرية أو الموت'[٢٠٠]،أدت القصائد إلى الإضراب عن الطعام من عند آلاف من سجناء الكفاح ضد الاحتلال بين ٢٨ نيسان- ٤ أيار ١٩٧٠م.

توفيق زياد والشعر المقاوم

الشاعر توفيق زياد حاول أن يقوم بدوره في نضاله ومقاومته وفقًا للظروف، باستخدام ذوقه الشعري وموهبته. يعبر زياد في سطوره الشعرية النضالية إلى قلوب شعبه حاثًا إياهم على الدفاع والمقاومة ضد قوات الاحتلال مستخدمًا بكلماته المؤثرة التي تترك أثرًا عميقًا في هويتهم الوطنية.

في شعر توفيق زياد وهج وثورة وانطلاقة ومقاومة من أجل كرامة شعبه ، يصور عن وأوضاع العمال المؤلمة في قصيدته:

"يا أخــوتي العمــال
أحبــكم جــميعكــم
أحــب كــل قبضــة مهــزوزة
في أوجــه الأنــذال
وكل جبــهة شــامخة
في ساحــة النضــال
وكل كلــمة جـريئة تقال"[٢٠١]

كان من الشعراء الرائدين والمقاومين الذين رفعوا أصواتهم واستخدموا أقلامهم بشجاعة من أجل الكرامة والكبرياء والعدالة السياسية والاجتماعية. شعره كان نتاج أفكار شعبه

[٢٠٠] وهي من شعرالتفعيلة، وقد نظمها زياد في 1970م.
[٢٠١] https://www.alittihad44.com

وقدرتهم على التعبير. كان زياد جريئًا في شعره ولا يخشى أحدًا إذ كان يؤمن بحقوقهم وكرامتهم، وكان ملتزمًا بالنضال والصمود رافضًا أن يعيش شعبه تحت الذل على أرضهم، فيواصل النشيد قائلاً:

"أنا ما هـنت في وطنــي
ولا صغـرت أكتانــي
وقفـت بوجــه ظــلاّمى
يتيــماً، عــاريا، حــافي
حــملت دمــي على كفــي
ومـا نكســت أعلامــي
وصــمت العشــب فــوق
قبــور اسلافي"[٢٠٢].

تنبع كل سطوره المقاومة من النفوس الإنسانية الواسعة. وقد رأى مشكلة الشعب على أنها مشكلته الشخصية، وتناول العديد من الأزمات والصعوبات التي تواجهها النساء والأطفال بمواقفه الثابتة وكلماته الحادة كما تحديدا بتصوير العقبات التي يمر بها المواطنين العاديين في حياتهم اليومية.

[٢٠٢] زياد توفيق: كلمات مقاتلة، ط٢، مطبعة أبو رحمون عكا، ١٩٩٤م.

الفصل الرابع

محمد مهدي الجواهري؛ شاعر العنف الثوري

محمد مهدي الجواهري هو شاعر عراقي معاصر مشهور بأسلوبه الشعري العميق والمعبر، ويُعتبر من أبرز الشعراء في العراق والعالم العربي. وُلِد في النجف عام ١٨٩٩ وتوفي عام ١٩٩٧. حُظي بلقب 'شاعر العرب الأكبر'. كان والده عبد الحسين عالمًا من علماء النجف، وكان يرغب في أن يتبع ابنه نهجه في العلم الديني، لذا ألبسه العباءة والعمامة التي يرتديها العلماء عندما كان في العاشرة من عمره.

واشتغل بأعماله في مجال التعليم خلال فترات من حياته. ينتمي إلى عائلة نجفية المعروفة بالعلم والأدب والشعر، تُعرف بآل الجواهر نسبةً إلى رائدها الشيخ 'محمد حسن المعروف بصاحب الجواهر'[٢٠٣]،ومن هنا جاء لقب الجواهري. وكان والده مهتمًا بتعليمه وأرسله إلى المدرسة حيث درس من أساتذة الكرام في قواعد النحو وأحكام الصرف ودروس البلاغة والفقه. كان مشاركا في 'ثورة العشرين' ضد القوات البريطانية. أصدر أول ديوانه الشعري في عمره الخامسة والعشرين، يقول الشاعر الجواهري فيها :

"تحـدث وديــان العـراق بنهضــة
ترددها اســواقه والشــوارع
جـرى ثائـرا ماء الفـرات ومــا ونى
عن العـزم يومــا موجــه المتــدافع
وما طـال عصــر الظــلم إلا لحـكمة
تنبئ أن لا بد تدنــو المصــارع"[٢٠٤]

[٢٠٣] هو صاحب كتاب فقهي كبير المسمى'جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام'، فترة حياته (١٢٠٢-١٢٦٦هـ)
[٢٠٤] أول مجموعة شعرية للجواهري المعنون 'خواطر الشعر في الحب والوطن والمديح'

الجواهري أمام الشعر

محمد مهدي الجواهري واحد من أشهر شعراء العرب في القرن العشرين، ويُعتبر 'مولودًا للشعر'. كانت هذه العبارة تُقال كثيرًا عندما يسألون الجواهري عن طفولته وبداياته في الشعر في مدينة النجف العراقية. تشكلت مسيرته الشعرية بفضل العوامل التي ساعدت في ظهوره كشاعر بارز في العصر الحديث. ظهر الجواهري في فترة مهمة للعراق، حيث كانت البلاد تعاني من الاستعمار والتخلف. في هذا السياق، شهدت حياته الأدبية صراعات سياسية واجتماعية تجاهلت التغيرات الكبيرة في المجتمع العربي. ومن أهم مبادئه اهتمامه بقضايا المجتمع العراقي ومشاكله الأساسية، وفي بيته المشهور:

"أنا العراق لساني قلبه ودمي

فراته وكياني منه أشطار"[٢٠٥]

شاعر العنف الثوري

شجع الشاعر الجواهري الانقلاب العسكري الذي حدث في عام ١٩٣٦ الذي كان بقيادة بكر صدقي حيث دعى الجواهري قيادة الانقلاب إلى العنف الثوري ضد المتحكمين في الشعب والمستغلين.وهذا العنف يعود في شعره إلى الطبيعة المزاجية العنيفة التي تمتاز بها شخصيته، وليس هذا العنف الخشونة والحقد منه، بل هو عنف الذي تطلبه ضرورة الموقف والزمن وعنف ناتج عن رد فعل طبيعي على الواقع المرير.

فالعنف عند الجواهري سواء إن كان صغيرا أو كبيرا، وهو يرفض العنف بإبداعاته، ويكتب الأشعار بألفاظ عنيفة غليظة ضد أصحاب العنف والمتطرفين، يعبّر عما في نفسه ضد العنف في صورة المدح والرثاء والوصف والغزل والشكاية والعتاب.

[٢٠٥] الحنين إلى الأوطان، أبو عثمان عمرو بن الجاحظ المتوفى(٢٢٥ه)، مطبعة المنار ط١، ص ٣.

ويصب غضبه بعنف على اللاهثين وراء السلطات الهزيلة لينالو من فضله من فضلاتهم على حساب مواقف شعبهم. يقول الشاعر الجواهري:

"عـدا على كـما يسـتكلب الذئـب

خلق ببغداد أنمـاط أعاجـيب

خـلق ببغـداد منـفوخ ومطـرح

والطبـل للنـاس منـفوخ ومطبـول"[٢٠٦]

وحتى يأتي عليهم ليصـفهم وصـفة عنف قد تقفى عليهم حين قال:

" والخاطـبين بظلمـاء كأنـهم

بغـل الطواحـين يجـري وهم معصـوب"[٢٠٧]

التناقض

التناقض سمة من سمات حياة الجواهري، استعمله للتعبير عن العنف، وشعره لم يتخلص من وجوه التناقض، كأنه غرضا من أغراضه الشعرية، وتحير النقاد في أمر تناقض الجواهري، وذهبوا في ذلك إلى مذاهب شتى، والجواهري نفسه كان يسند التناقض إلى الأوضاع العمومية التى تتعلق بحياته الخاصة، وإلى تكوينه نفسيا وبيئيا.

يشير يحيى معروف "فمنذ مسيرة حياته ينمو التناقض معه، وكان أهله يريدون للدين عالما ولكنه يريد لنفسه شاعرا، ينشأ في بيئة محافظة يتمرد على البيئة ويلقي بالتحفظ والالتزام جانبا طموحا لا يقبل بالقليل ولكنه حينما يصل إلى الكثير يتركه ويترك إلى الصفر، يمدح ملك العراق ثم بعد هينة يعيضه بمدح عدوه، يمجد بالثورات ثم يهرب منها ومن بطشها، يقدس المرأة ويحترمها، ثم يماجنها بالغزل العاري، يتحين الفرص، ولكن لا يستغلها، مقعد في التكوين الفكري، بسيط جدا في مفردات العمل والأداء

[٢٠٦] قصيدة 'الخال' ، محمد مهدي الجواهري.
[٢٠٧] محمد المهدي الجواهري ، 'ديوان الجواهري'١٩٣٥م، ج ٤، ص ١٥٩.

يتقرب إليه الحكام وهو يفضحهم ويهجيهم، يعشق الوطن وهو بعيد عنه، يتمنى النيابة والوزارة ثم لا يعترف بها ويغادرها"[٢٠٨].

يحب الجواهري نفسه إلى حد النرجسية[٢٠٩]، مع أنه يرفعها ويخفضها حسب الحاجة، ويؤيد التيار الاشتراكي والماركسي، بل في الحقيقة أنه لا يعتقد بها حتى كتب أسطورة في معلقته 'آمنت بالحسين' وهو شاعر محافظ على الشعر الكلاسيكي دون رفض التحديث والتجدد. ويجسد الروح التناقضية لديه حيث يقول:

"عجيب أمرك الرجراج لا جنفا ولا صددا
تضيق بعيشه رغد وتهوي العيشة الرغدا
وترفض منه رفها وتعشق كل من زهدا
ولا تقوي مصامدة وتعبد كل من زهدا"[٢١٠]

يقول الدكتور عبد الحسين شعبان[٢١١]: "أليس في ذلك تناقض الجواهري المحبب، الذي جمع الأضداد بتناسق عجيب: العيش الرغد والرفاهية والزهد والصمود، أنه يريدها ويتمناها ولكنه يتبرم منها أيضا، أنها جدلية الحياة وجدلية الشعر الذي كان عنوان كتابي، الجواهري جدل الشعر والحياة"[٢١٢].

يقول شكري عياد[٢١٣] "يعد الجواهري آخر شعراء المدرسة البارودية والتقليدية، ظل وفيا لتراث الشعر العربي، وشكل القصيدة العربية"[٢١٤]. قرض قصيدة بشكلها الكلاسيكي، وبموته كان الجواهري نجما ساطعا بعد شوقي حتى نقل نبض العصر في قصيدته.

---

[٢٠٨] يحيى معروف، محمد اعتمادي، 'الجواهري: حياته وخزونه الثقافي وميزاته الشعرية'.
[٢٠٩] نرجسية:"Narcississm" بمعنى حب النفس إلى حد أعلى لا يقبل معها أي مناقس.
[٢١٠] قصيدة أبي جعفر، محمد مهدي الجواهري.
[٢١١] مفكر وباحث عراقي متخصص في القضايا الااستراتيجية العربية،
[٢١٢] مقالة شعبان عبد الحسين، المعنون ' الجواهري شاعر استثنائي فريد' الجواهري وسمفونية الرحيل، ص ٩١.
[٢١٣] هو ناقد وقاص وأستاذ جامعي مصري. توفي في عام ١٩٩٩م.
[٢١٤] شكري عياد، جريدة الاتحاد، عدد ٣٩٤.

انتشر أصوات الجواهري من خلال شعره في أنحاء العراق كلها، ينتقد الأوضاع الاجتماعية ويعبر عن رفضه للقهر والظلم والتسلط. هذا النوع من الشعر كان سائدًا في معظم أعماله حيث يلتزم بالشعر التقليدي ويتميز بجمال الأسلوب وقوة المعاني. كما تعبر قصائده الانقلاب على السياسات السائدة والثورة على البيئة الاجتماعي في العراق والمنطقة العربية، يربط الجواهري في من خلال أبياته التي تتعلق بالسياسية فيما بين الحاضر والماضي والمستقبل ويصور أيضا صورة حقيقية للظروف التي يتأثر بها الناس في مختلف مراحل الحياة. أصدر ديوانه الثاني المسمى'ديوان الجواهري' عام ١٩٣٥. من بين أعماله المعروفة قصيدته 'باق وأعمار الطغاة قصار'[٢١٥].

شعر الجواهري كان دائماً ملتصقاً بالشعوب أكثر من الهيئات السياسية أو الأدباء في الصالونات. وكان شعره يعكس صدقاً عميقاً في مضمونه، وكان محللاً للظواهر الاجتماعية بطريقة مختلفة تماماً عن شعر الأحداث والمناسبات. كان ينتقد بشدة الظروف الاجتماعية ويعكس عن هموم الشعب بطريقة مباشرة وصريحة، بعيداً عن الدبلوماسية والمساومات السياسية، يقول:

"موتــى الضــمائر تعــطي الميــت دمعتها
وتســتعين على حــيّ بسكّيــن
لا بد معــجلة كف الخــراب به
بيت يقوم علـــى هــذي الأســاطيــن"[٢١٦]

الجواهري كان رجلًا شجاعًا لا يخاف ولا ينكسر، وكانت أفكاره وكلماته تسجل مواقف وبطولات ضد الحكام الظالمين الذين يضغطون على الشعوب بطريقة واضحة. كان

[٢١٥] القصيدة التي ألقاها الجواهري دعوة من آل كرامي في لبنان لإحياء الذكرى السنوية الأولى لوفاة عميد العائلة عبد الحميد كرامي الرئيس السبق للحكزمة اللبنانية في مطلع العهد الاستقلالي.
[٢١٦] حسان سويلم، لبانتماء الوطني وتعدد الولاءات، مجلة العربي، العدد٤٦٦، ١٩٨٥، ص ١٨٥.

لديه كرامة قوية يتحدى كل أشكال الذل والاستسلام والفساد بشجاعة. وكيف يمكن أن يكون الأمر غير ذلك وهو القائل:

"وما تشـاؤون فاصنعوا فرصـة لا تضيـع
فرصـة أن تحكـموا وتحـطوا وتـرفعـوا
وتدلـوا علـى الرقـاب وتعطـوا وتمنـعـوا
قـد خلقتـم لتحصـدوا وعبيـدا لتزرعـوا
لكم الرافدان والـزاب ضـرع فاضرعـوا
ما تشاؤون فاصنعـوا الجـماهيـر هطـع
ما الـذي يستطيعـه مسـتضامون جُـوّع"[٢١٧]

الجواهري وصدام حسين

كانت شخصية الجواهري بارزة في معارضة نظام صدام حسين في العراق، ولعب دورًا مهمًا في النضال ضد القمع وانتهاكات حقوق الإنسان. عاش الجواهري كمتمرد ضد جميع الأنظمة السياسية في العراق سواء كانت ملكية أو جمهورية، وكان ينتقدها بشدة في شعره ويدافع عن الحرية والعدالة. بسبب هذا، سُحبت منه الجنسية العراقية عدة مرات. واضطر للعيش في المنفى في دمشق وسوريا حيث توفي هناك في عام ١٩٩٧.

تعرض الجواهري للاعتقال والسجن عدة مرات بسبب معارضته للنظام الحاكم في العراق. كان من أهم أسباب معارضته هو القمع وانتهاكات حقوق الإنسان والفساد الحكومي. عندما سحب صدام حسين جنسيته العراقية، رد الجواهري بقصيدة مشهورة

[٢١٧] محمد مهدي الجواهري، ذكرياتي، ج٢، دار الرافدين، دمشق ١٩٩٢، ص ١٧٢.

تعبر عن استيائه ومعارضته لظلم النظام. كانت هذه القصيدة تعبيرًا واضحًا عن رفضه للظلم والاضطهاد الذي عانى منه ومع غيره من المعارضين، ومن مطلعها يقول:

" سل مضجعيك يا ابن الزنا أأنت العراقي أم أنا
يا غادرا إن رمت تسألني وأنا العراق أجيبك من أنا
فأنا العربـي سيـف عزمــه لا مـا أنثنــا
وأنا الآباء وأنا العراق وسهله والمنحنى"[٢١٨]

مرارة السجن عند الجواهري

محمد مهدي الجواهري كان ناشطًا سياسيًا معروفًا في العراق، وقد سُجن عدة مرات بسبب نشاطه ضد نظام صدام حسين. كانت تجارب السجن جزءًا من نضاله ضد القمع والظلم. دخل الجواهري السجن لأول مرة بعد بضعة أشهر من الانقلاب الذي قاده اللواء بكر صدقي في عام ١٩٣٦. ورغم أنه كان من مؤيدي هذه الحركة إلا أن سبب سجنه في ذلك الوقت كان 'الكاشير والطاريف'، وليس بسبب موقف وطني. خلال فترات اعتقاله تفاعل الجواهري كثيرًا مع الأحداث السياسية والاجتماعية التي كانت تحدث هناك، واستمر في التعبير عن آرائه ومعتقداته بشجاعة رغم المخاطر.

وظل الشاعر في حالة حيرة كبيرة محاولة فهم هذه الحالة، فحاول عدة مرات أن يصور سجنه كما لو أنه ناتج عن أمور بسيطة مثل لحوم الكاشير والطريف، إلا أنه لم ينجح أبدًا في هذه المحاولات. فأسس الجواهري صحيفة باسم 'الانقلاب' تأكيدًا على الحركة. كانت الصحيفة تتحدث عن الأحداث السياسية والثقافية في تلك الفترة، حيث كان هناك اهتمام كبير بما يحدث في العراق. لكن العلاقة الجيدة بين الجواهري والانقلابيين لم تستمر طويلاً، وبدأ الشاعر ينتقد الحكومة بسبب عدم الوفاء بوعودها. استخدمت الحكومة قضية 'الكاشير والطاريف' لتبرير سجنه، وأغلقت أيضًا. وفي أثناء فترة

[٢١٨] علي عباس علوان، الشعر العراقي الحديث، وزارة الثقافية، بغداد ١٩٧٩، ص ٣١٥.

اعتقاله، قام الجواهري بتأليف قصيدة تعالج قضية الكاشير والطاريف، وتضم هذه القصيدة ٣١ بيتًا، حيث لم يتضمن أي بيت يشير صراحة إلى أنه سجن بسبب قضية وطنية. يقول:

"يا عابثا بسلام الوط ن العزيـــز وبــالأمـــــان

ومفرقا زمر اليهــو د طوائـفـــــا كلا لـشـــأن

ما أنت و 'الكاشير' و'الطاريف' من بقر وضان

إن لم تفدك عقوبـة فعسـى تـفيـد عقوبتـــــان"[٢١٩]

في عام ١٩٥٦، بعد إعادته إلى العراق، تم توجيه دعوته بتهمة المشاركة في قلب السلطة، فكان رده على هذه التهمة بتلميح ساخر قائلاً: "لماذا أشارك مع الآخرين وأنا قادر على قلب النظام بكلماتي وأشعاري؟" وبعد ساعات قليلة من الاستجواب، تم الإفراج عنه.

هذا الشاعر هو مثال للمشارك الفعّال، الذي يهتم بما يحدث حوله في العالم ويدعم مشكلات وطنه ولحصول على الحرية والكرامة. لم يكن مهتمًا فقط بنظرية 'الفن بالفن'، بل كان يتعامل مع هموم ومشاكل شعبه، ويسعى لمقاومة الظلم والنضال من أجل العدالة والحرية.

كانت شخصية الجواهري مرتبطة بشكل وثيق بشعره، وقد تجلى ذلك في أقواله وأفعاله. وكان حاضرا أمام كل صعوبات العمال والفلاحين والسجناء في فلسطين وفي جميع أنحاء العالم. تركز لحلول قضايا شعبه وحريته، ويعد من الشعراء الذين اشتهروا في مجال الواقعي الاشتراكي. ساهم انتماؤه للحزب الشيوعي والفكر الماركسي اللينيني في اعتماده الأدب التقدمي كأداة لتشكيل أفكاره وتحديد هدفه الرئيسي.

[٢١٩] http://www.al-nnas.com

الفصل الخامس

مظفر النواب؛ شاعر الثورة والتحريض

مظفر النواب يُعتبر أحد أبرز الشعراء العراقيين الذين بدأوا مسيرتهم الشعرية في خمسينيات وستينيات القرن الماضي. ينتمي إلى جيل الشعراء المعاصرين في العراق، وهو من الشعراء الشيوعيين الذين تحملوا تبعات أفكارهم الثمينة لفترات طويلة في السجون. وهو شاعر معاصر ومعارض سياسي بارز وناقد الذي تميز شعره بالعاطفة والغزل ويتنوع باللهجة العامية العراقية التي تضفي عليه جمالًا ورونقًا خاصًا. لقب 'بشاعر القصيدة المهربة'.

الشاعر مظفر النواب وُلِد في بغداد عام ١٩٣٤، وتوفي في مايو ٢٠٢٢م. درس في جامعة بغداد وتخرج منها. انضم إلى الحزب الشيوعي العراقي فتعرَّض للتعذيب من قبل الحكومة الهاشمية. منذ دراسته في الصف الثالث الابتدائي تم اكتشاف موهبته الفطرية في نظم الشعر على يد أستاذه. وفي مرحلة الإعدادية، بدأ بنشر قصائده في المجلات الحائطية التي تُحرَّر في المدرسة بواسطة الطلاب.

تابع مظفر النواب دراسته في كلية الآداب ببغداد في ظروف اقتصادية صعبة، بعد أن تعرَّض والده الثري لهزة مالية عنيفة أفقدته ثروته بما في ذلك قصره الجميل. بعد إطاحة النظام الملكي عام ١٩٥٨، تم تعيينه مفتشًا فنيًا في وزارة التربية في بغداد. أتيح له هذا المنصب فرصة تشجيع ودعم الموهوبين في الموسيقى والفنون التشكيلية. وفي عام ١٩٦٣، اضطر لمغادرة العراق بسبب تصاعد المنافسة بين القوميين والشيوعيين العراقيين الذين تعرَّضوا للمطاردة الأمنية والمراقبة الصارمة من قبل النظام الحاكم.

مظفر النواب تعرَّض للاعتقال والتعذيب من قبل الشرطة السرية الإيرانية قبل أن يتم تسليمه إلى الحكومة العراقية. تم إصدار حكم بإعدامه بسبب إحدى قصائده، ولكن تم

تخفيف الحكم إلى السجن مدى الحياة. نجح النواب في الهروب من السجن عبر حفر نفق وهرب إلى مدينة الأهواز الإيرانية حيث انضم إلى فصيل شيوعي يسعى للإطاحة بالحكومة.

شاعر الثورة

اشتهر النواب بقصائده الثورية القوية وانتقاده اللاذع للديكتاتوريين العرب. عاش النواب في المنفى في عدة بلدان، من بينها سوريا ومصر ولبنان وإريتريا، قضى هذه الفترة مع المتمردين الإريتيريين قبل عودته إلى العراق في عام ٢٠١١ بسبب عدم امتلاكه أي جنسية، لم يتمكن النواب من السفر إلى أي مكان إلا عبر وثائق سفر ليبية كانت بحوزته.

مظفر النواب برز كشاعر يعبر عن آلام وقضايا عربية مهمة، خاصة في السياسة والمجتمع. استخدم في قصائده لغة قوية وصلت إلى الناس في منطقته وخارجها. لم يكتب شعره للعراق فقط، بل كتب أيضًا باللهجة العراقية قصائد جميلة ومؤثرة مركّزًا على أوضاع العالم العربي وروح التمرد والثورة ضد الديكتاتورية. اهتم النواب بقضايا الفقراء والبسطاء، وكان ضد الظلم والاستعمار وأنظمة الحكم القاسية مما جعله يثير الغضب داخل وخارج وطنه. عاش في المنفى بعد أن اشتهرت قصائده الثورية والنداءات القوية ضد الطغاة العرب والأنظمة الفاسدة، حيث استخدم لغة قاسية أحيانًا، مما زاد من كره الكثير من الأنظمة له.

هو شاعر معروف بقصائده السياسية التي تبقى في الذاكرة، حيث كان يسعى دائمًا للتمرد على الأعراف السائدة، مما دفعه للتعليق على الأحداث السياسية. بالإضافة إلى ذلك، كان يمثل أسلوب حياة فريد في تصرفاته ومعيشته كما أشار 'أوس داود

يعقوب،[٢٢٠] في كتابه 'شاعر الثورات والشجن' أنه "متمرد ومتشرد كما يظهر في شعره. تمرد على الحياة التي قست عليه وأثقلته بما عاناه، فعبّر بشعره عن مشاعر أعمق من الواقع حيث يقول:

آه من العمــر بيــن الفنادق

لا يســتريح

أرحــنى قليــلا

فإنــى بدهرى جــريح"[٢٢١]

وهو من رائد القصيدة التحريضية والتعبوية التي تتحدى الأفكار الانهزامية تسلط الضوء على الأحداث التاريخية بطرق مبتكرة، وتحتفظ باللحظات المؤثرة في الذاكرة ما دامت حية في الواقع. لم ينج أي نظام عربي من سخرية كلماته الحادة. على مر العقود الماضية كانت أشعاره تُتداول سرًا في معظم الدول العربية، وكأنها منشورات ثورية حيث كان يتابع الأحداث الثورية العربية ويستخدمها بمهارة. تكتظ قاعات دمشق وبيروت ومخيمات الثورة الفلسطينية بالجماهير خلال أمسياته حيث يتوقف التنفس لساعات طويلة حينما يتدفق بصوته الجهوري الرنان وقدرته الفائقة على تطويع اللغة منتقلاً بسلاسة من حالة الغليان والثورة إلى نبرة نادرة من الاستهجان والسخرية.

ينقسم شعر مظفر في مضمونه الثوري إلى ثلاثية شهيرة يلحظها كل من يقرأ أعماله الكاملة وتتمثل في:

١. البكائيات
٢. الهجاء السياسي
٣. التحريض

[٢٢٠] هو صحفي وباحث في الشؤون البحثية الصهيونية، ولد سنة ١٩٦٩ في دمشق.
[٢٢١] http//www.youm7.com

ومن البكائيات كما يقول في قصيدة 'في الحانة القديمة':

"بيت السـلطان
وقنعت يكـون نصـبي
كنصيـب الطيـر
ولكـن سـبحانك
حتـى الطيـر لها أوطان
وتعـود إليـها
وأنـا مازلـت أطيـر
فهذا الوطـن الممـتد
من البحـر إلى البـحر
سجـون متلاصـقة
سبحـان يمسـك سجـان"[٢٢٢]

يرثي فيها حاله وحال العرب في حانة ما وهو سكران ضائع مشرد. وفي مجال الهجاء السياسي تبرز قصائد 'القدس عروس عروبتكم' و'تل الزعتر' كأهم أعمال مظفر النواب:

"اسـمعتم عـرب الصمت؟
أسمعـتم عرب اللغـة؟
إن فلسطـين تزال من الـــــرحم
دعاة الديـن الأمريكـي بمكـة
والسـوق عليـها في أوجـه

[٢٢٢] مظفر النواب، الأعمال الكاملة، دار كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧ ص ٥٠٠.

مزاد علـــني يا أشــراف

ثمانــون علــى تجــار الشــام

ثمانيــة وثمـــانون على تعــطيل الدستور"[٢٢٣]

يعكس الشاعر في قصيدته الطويلة 'عبد الله' التي تندرج ضمن الشعر التحريضي الثوري، رمزية 'عبد الله' كرمز لكل عربي. يتبنى الشاعر في هذه القصيدة دورًا تحريضيًا هائلًا حيث يستخدم أسلوب الأمر والنهي بشكل متواصل. ينير النواب في هذه القصيدة أملًا متجددًا في الشعوب العربية بالتباين مع بعض الشعراء الذين هاجموا الشعوب وحملوها مسؤولية مباشرة عن الفوضى السياسية التي تعاني منها بلادهم. يتمثل خطابه في تحفيز إيجابي يحث على التحرك والتغيير.، يقول فيه:

"يا عبــد الله

فأنــت الحـــي البــاقي القهار

أقتــل دونــك

أفديــك

ولكـــني أتمـــنى

أن تقتــل مرفــوع الهــامة

لم يتزحـــزح فيــك قرار

النار قرار منك

وليس قرار فيك

فأنت نار

وأنت قرار النار" [٢٢٤]

[٢٢٣] الأعمال الكاملة لمظف النواب: تقديم وإعداد مؤمن المحمدي، دار كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧ ص٥٤٩.

هناك يمكن القول إن مظفر النواب يعتبر من بين أبرز الشعراء العرب المعاصرين، حيث أثرى الذائقة الوطنية بأشعاره النارية الصاخبة ولغته الساخرة التي لا ترحم مع أنه مثقلا بهموم الفقراء والمعذبين ولم يخف مواقفه الداعمة للشعوب التواقة للحرية والعدل والسلام.

[٢٢٤] المصدر السابق، ص ٤٤٤.

الفصل السادس

أحمد الصافي النجفي؛ شاعر الغربة والتشريد

وُلد الشاعر العراقي البارز أحمد الصافي النجفي في عام ١٨٩٧ في مدينة النجف، حيث نشأ في بيئة غنية بالعلم والأدب. يُعد النجفي من أبرز الشعراء والأدباء العراقيين في العصر الحديث، وتوفي في عام ٢٠١٤. يُعتبر من أهم الشخصيات الشعرية في القرن العشرين، وقد تميز بأسلوبه الفريد الذي يمزج بين الغزل والمشاعر الإنسانية والنقد الاجتماعي والسياسي. يتميز شعره بالعمق وسلاسة التعبير مستخدماً لغة رصينة وصوراً فنية متنوعة تعكس جوانب متعددة من الحياة والوجود الإنساني. تناولت قصائده العديد من القضايا، منها الحب والوطن والإنسانية، وكان له تأثير بارز في المشهد الأدبي العراقي المعاصر.

إلى جانب شاعريته الرائعة، كان أحمد الصافي النجفي معروفًا بمواقفه الوطنية الثابتة. كان ناشطًا سياسيًا ضد الأنظمة القمعية والظالمة مما أكسبه محبة الناس وترك بصمة واضحة في ذاكرة الأدب والسياسة العراقية، حتى بعد وفاته.

خصائص شعره

لم يكن النجفي يولي أهمية كبيرة للألفاظ في شعره، بل كان شاعر المعاني بامتياز نتيجة لتأملاته العميقة في الحياة والذات، عكست أشعاره صورة لحياة مليئة بالاضطراب والتعقيد. كان يُفضل عدم تنقيح قصائده مُحتفظًا بها كما كتبت، لأنه كان يرى في معانيها جوهر الابتكار والإبداع.

يُعتبر أحمد الصافي النجفي رمزًا للشعر والنضال حيث يمثل مزايا حضارية تستحق التأملات والإعجاب في جميع الأوقات. أن الأديب المشهور عباس محمود العقاد قائلاً: 'الصافي أكبر شعراء العربية' مما يبرز مكانته الفريدة كشاعر بلا منازع يُعيد إحياء

أمجاد الشعر العربي الكلاسيكي في الأدب الحديث. وفي قصائده معاناة الضنك والبؤس والحرمان مع بروز مشاعر الشكوى والتراجع من الحياة، ويستكشف التقلبات النفسية والروحية بأسلوب صريح ومشجع. ورغم تشاؤمه يظهر ميله للسخرية والتهكم وهو ما ينبع من تجاربه الشخصية وتأملاته العميقة في الحياة.

شعر النجفي يتميز بالوضوح والصدق حيث يستخدم لغة تخاطبية مباشرة مما يجعل قصائده سهلة الفهم والتأمل دون أن تكون عباراته معقدة أو صعبة على القارئ. وهذا نشاهد من شطوره:

"عيون الناس ناظرة لثوبي
وقد عميت فلم تبصر فنوني
ساصنع من غاوتهم ثيابا
وألبس إن عريتُ عمى العيون"[٢٢٥]

شاعر الاغتراب والتشريد

ومن المعلوم، أن حياة أحمد الصافي النجفي مليئة بالاضطراب والازعاج، حيث لم يكن هناك استقرار بسبب كثرة أسفاره وابتعاده عن وطنه وبيئته التي نشأ فيها. كما كانت حياته غريبة ومليئة بالشعور بالوحدة والبعد عن الآخرين، تعرض حياة عجاف وحياة ممزقة بين السقم والألم والحرمان واليتيم، مات أبوه وأمه في صغر سنه، اجتاحته تراكم الكآبة والحسرات الأحزان والاختلالات حتى قال في ذلك:

"أسيرُ بجسم مشبه جسم ميت
كأني إذا أمشي به حاملا نعشي"[٢٢٦]

[٢٢٥] ديوان' هواجس'، أحمد الصافي النجفي.
[٢٢٦] أحمد الصافي النجفي، حصاد السجن ، ص ١١٧.

وكان الاغتراب المكاني هو من أهم تجربته التي واجه النجفي، وهذا التشريد بعد الشاعر عن وطنه وحنينه إليه، تعمد الشاعر النأي عن بلده واتخذ سبيل الاغتراب طوعا وهذا يتأكد من وجود بعض الأبيات التي تظهر كراهيته لموطنه وسخريته من مدينة النجف بطريقة ساخرة، حيث يشير إلى أن النجف تستقبل الأموات وأن بعض سكانها يعملون في تجهيز الموتى.

"في بــلاده الورى حـياة ولكن في بـلادي مظـاهر للممات
بعض سـكان بلـدتي مثل دود عائش دائــما على الأموات"[٢٢٧]

لكن هذا لا يعدو كونه جزءًا صغيرًا من شعره الواسع، الذي يحتوي على العديد من الأبيات التي تعبر عن شوقه للوطن ورغبته في العودة إلى دياره. فقد عاش الصافي حياة مليئة بالبؤس والفقر والتشرد، وفي ذاك الوقت قال:

"أنا في الشام أحس غربة أوجه ماذا أقول إذا رجعت لداري؟
يتم الرجـوع لموطن منه اختفى ما فيه مـن دار ومـن ديــار"[٢٢٨]

كان يعيش في تشرد وغربة داخل نفسه وبين عشيرته، لكنه بذل قصارى جهده للتغلب على همومه وأحزانه وروتين الحياة. نجح في استنشاق الحياة من خلال بعض المسارات والرحلات والأفكار الإيجابية. ويصف لوعة غربته بغم ثقيل ولوعة كبيرة باكيًا ومشتاقا لأهله ووطنه، يقول في قصيدته:

"جرح التغرب في فؤادي بالغ ألقـي عليه بلسـم النسيــان
فتفجر النسيان عنه وأصبحت للجرح تهمل بالدما عينان"[٢٢٩]

[٢٢٧] أحمد الصافي النجفي، ١٩٨٣ أ، ص ٣٧.
[٢٢٨] يحيى الجبوري،الحنين والغربة في الشعر العربي، ٢٠٠٨، ص ٢٢٨.
[٢٢٩] المصدر السابق، ص ٢٢٩.

تنقل بين أرجاء البلاد مُلاحقًا من أنظمة فاسدة بعد تراجع الثورة حيث جرت محاولة لشنقه. بعد أن وصلته الأخبار، أدرك أنه يجب أن يعيش في تجوال دائم متنقلًا بين المدن والبلدان مما جعل حياته مليئة بالأسفار ومعاناة المرض والفقر.

مرارة السجن

واجه الصافي مرارة السجن والتعذيب عدة مرات في حياته. لكن هذه التجارب السيئة تردعه عن الدفاع عن نفسه، يرفض قصائده كل الأنظمة الحاكمة وتصدي للمستعمرين، وهو من الشخصيات الرائدة في ثورة العشرين في العراق، حيث كانت مدينة النجف معقلاً له وللمناضلين، وكان يثير نيران الثورة بأقواله وأفعاله.

كان الصافي يُطارَد من قبل الإنجليز، وبعد غياب طويل وجد نفسه في أرض لبنان، حيث واجه العداء من الفرنسيين الذين حسموا إخماد صوته، الذي كان يضيئ بين الأصوات العالية بقوة وتألق، مثل نجم لامع في سماء صافية لا تعكرها الغيوم، فحقق ما أراده وأحققوا أيضًا ما أرادوا ، يقول الشاعر النجفي:

"سجنت وقد مرت ثلاثون حجة
من العمر فيها في للسجون تشوّقتُ
سعى "دعبلٌ" للسجن طول حياته
فخاب، وفي المسعى لسجني توفّقتُ[٢٣٠]"

تلك هي من جرب السجون التي تهز ذات السجين وتجعله يذرف دموعه، وفي جوارهم كان هناك من يتحمل ويتصبر، وآخرون يلتجئون إلى الله ويتوبون. أما الصافي فقد تحمل وصبر وجعل السجن مثواه كمقبرة يُحفر للشاعر. بينما الشاعر لن يتراجع عن مواقفه السياسية، يقول:

[٢٣٠] المصدر السابق، ص ١٣٣.

"سجنوني في غرفة قد تعالت واطلت علـــى فسيـــح الفضـــاء
هي سجن وإن تعالت، فسجنـــى قفص لـــي معلـق فـــي الهـواء
قبرى السجن صار، والقبر قبـر حفروه في الأرض أو في السماء!"[٢٣١]

أحمد الصافي النجفي كان شخصية بارزة في الأدب والشعر العراقي حيث تجسدت في قصائده مشاعر الانتماء والحب للوطن، بالإضافة إلى معاناته من الفقر والظلم. عكست أشعاره آلام الشعب العراقي وآماله في الحرية والعدالة كما عُرف بمواقفه الوطنية الناقدة للأوضاع السياسية الفاسدة مؤكدًا على أهمية النضال من أجل حقوق الشعب. أسهمت كتاباته في تشكيل الوعي الثقافي والسياسي،مما جعله رائدًا في الأدب العراقي المعاصر.

[٢٣١] المصد السابق، ص ١٢١.

الباب الرابع

العناصر الاجتماعية والثقافية في شعرالسجون العربي الحديث في العراق وفلسطين: دراسة تحليلية

الفصل الأول: الخلفية السياسية وظهور شعر السجون في فلسطين

الفصل الثاني: المظاهر السياسية وظهور شعر السجون في العراق

الفصل الثالث: العناصر الاجتماعية في شعر السجون العربي الحديث في العراق وفلسطين: دراسة تحليلية

الفصل الرابع: العناصر الثقافية في شعر السجون العربي الحديث في العراق وفلسطين: دراسة تحليلية

الفصل الأول

الخلفية السياسية وظهور شعر السجون في فلسطين

دولة فلسطين جغرافيا وتاريخيا

دولة فلسطين تعد من الدول الإسلامية المقدسة، والقدس عاصمة لها، وتمثل نقطة اتصال بين قارتي آسيا وإفريقيا، وهي جزء من الجنوب الغربي لبلاد الشام. وهذه تحد من جهة الشمال سوريا ولبنان حيث من جهة الشرق الأردن ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط وأما من الجهة الجنوبية فتحدها دولة مصر[٢٣٢].

فلسطين تضم كثيرا من المدن الهامة والرئيسية، بما في ذلك القدس ورام الله ونابلس وغزة. وكل هذه المدن تُعتبر أكبر مدينة فيها. تشمل هذه المدن عددًا كبيرًا من السكان والمؤسسات الحكومية والخدمات. بالإضافة إلى ذلك، تُعدّ الخليل من المدن البارزة في فلسطين. القدس التي تُعتبر عاصمة فلسطين تُعد واحدة من أقدس المدن في العالم للديانات السماوية الثلاثة. تشتهر بالمسجد الأقصى والكنيسة القديسة والبلدة القديمة مما يجعلها محط جذب دينية وثقافية وسياحية عالمية.

كانت فلسطين مقرا ومهداً للحضارات والثقافات المختلفة، وكانت نقطة لتبادل الثقافات والفنون والحضارات والمعرفة عبر التاريخ، يقول أحمد سعد نوفل"كانت فلسطين محطاً لأطماع الدول الاستعمارية نظراً لموقعها الاستراتيجي الهام في الشرق الأوسط. استخدمت جيوش الاحتلال الأجنبي الأراضي الفلسطينية كقاعدة للانطلاق في حملاتها العسكرية ضد الدول المجاورة. وقد مرت على فلسطين شعوب مختلفة واحتلتها على مر السنين، وبقيت فيها لفترات طويلة، ولكنها رحلت في النهاية لتحتلها جبوش أجنبية أخرى"[٢٣٣]، ثم دخلت فلسطين عهد الإسلام في زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي

---

[٢٣٢] Httls://mawdoo3.com.

[٢٣٣] أحمد سعد نوفل، المدخل إلى القضية الفلسطينية، ط ٥، عمان، مركز دراسات الشرق الأوسط، ١٩٩٩م، ص ١٦١.

الله عنه بعد معركة اليرموك سنة 13هـ٦٣٤م. كما نرى في المسوعة الفلسطينية "وبقيت فلسطين في ظل الخلافة الإسلامية حتى عام ١٩١٨م، وقد تعرضت خلال هذه الفترة لغزوات عدة معارك أهمها معركة 'حطين' و'عين جالوت' كما بسط الأتراك سيادتهم عليها عام ١٥١٧م"[٢٣٤].

ظهرت الأحداث السياسية المهمة المتعلقة بالقضية الفلسطينية على مر السنين وما تزال مستمرة، وأدب السجون الفلسطيني خير دليل على تلك القضايا المذكورة. يعكس هذا الأدب تجارب الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين، معبراً عن صراعاتهم ومعاناتهم، ويروي قصصهم ويبرز هويتهم الوطنية والإنسانية. يُعتبر هذا النوع من الأدب جزءًا أساسيًا من التراث الثقافي والأدبي الفلسطيني حيث يسلط الضوء على قضايا العدالة والحرية والكرامة.

يتيح هذا الأدب للقراء والباحثين والمُهتمين فهم تجارب الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين بعمق، بالإضافة إلى تأثير الاحتلال والصراعات السياسية على حياتهم اليومية والنفسية. يُسلط الضوء على الظروف الإنسانية القاسية التي يواجهونها ويعكس التحديات والصراعات التي يعيشونها. يجب دراسة هذا الأدب وقراءته بشكل واسع، لأنه يعزز الفهم العميق للصراع الفلسطيني ويكشف جوانب من حياة الفلسطينيين التي قد تغيب عن وسائل الإعلام التقليدية. يُعتبر هذا الأدب شاهدًا حيًا على المعاناة اليومية والتحديات ويساهم في زيادة الوعي الدولي بالقضايا الإنسانية في فلسطين.

وفهم الخلفية السياسية والاجتماعية للقضية الفلسطينية يلعب دورًا حاسمًا في تفسير وتحليل الأدب السجني الفلسطيني وما يعكسه من تجارب شخصية وجماعية مؤثرة. يساعدنا هذا الفهم في توضيح السياقات والظروف التي أدت إلى ظهور هذا الأدب ويظهر كيف تؤثر الظروف السياسية والاجتماعية على تجارب الأفراد وقصصهم.

[٢٣٤] الموسوعة الفلسطينية، ط١ ، بيروت، مطبعة ميلانو ١٩٩٠م، المجلد الأول ، القسم الثاني، ص ٧.

القضية الفلسطينية

القضية الفلسطينية هي واحدة من المشاكل الدولية المعقدة التي استمرت لسنوات طويلة. وتتعلق بحقوق الفلسطينيين في دولتهم المحتلة وفي منطقة الشرق الأوسط. ترتبط هذه القضية بأحداث وتطورات متعددة، وهي محور صراع طاحن أثر بوجه كبير في حياة ملايين الأشخاص. ومن الملاحظة، يرجع سبب هذه القضية بشكل أساسي إلى تأسيس الصهيونية في فلسطين، وهجرة اليهود إليها والاستيطان في هذه المنطقة، ومع ذلك إلى دور الدول الكبرى في هذه الأحداث. تتمحور قضية فلسطين حول قضية اللاجئين الفلسطينيين وشرعية دولة إسرائيل واحتلالها للأراضي الفلسطينية عبر فترات تاريخية مختلفة.

كانت مجيئ الحكم الاستعماري البريطاني الذي احتل فلسطين تحت اسم الانتداب، بهدف تحويلها إلى وطن لليهود، استنادًا إلى وعد بلفور الذي صدر في عام ١٩١٧. منذ ذلك الحين، رفع الفلسطينيون راية الجهاد والمقاومة في مظاهرات ومواجهات حيث سقط العديد من أبناء هذا الشعب المناضل، وتعرضوا لمؤامرات متعددة ضدهم. وصدر قرار التقسيم عام ١٩٤٧م الذي أدى إلى نكبة عام ١٩٤٨م، مما أدى إلى تشريد أهل فلسطين وتفريقهم في مخيمات متفرقة.

جذور القضية الفلسطينية

جذور القضية الفلسطينية تعود إلى عديد من العوامل التاريخية والسياسية: ومن أبرزها

نشأة الصهيونية وأجهزتها

في الثمانينيات من القرن التاسع عشر، بدأت حركة الصهيونية تبني نظريات استعمارية جديدة في أرض فلسطين، تركز على فكرة استبدال الجهود السلمية أوالمدنية بالسيطرة المسلحة. كانت من بين أبرز المؤيدين لهذه النظرية الحركة الصهيونية العالمية، كما

أشار حسن عبد الله "سيكون يوم بناء كتيبة يهودية واحدة هو اليوم الذي ستنشأ فيه دولتنا"[٢٣٥].

وفي منتصف القرن التاسع عشر، تأسست حركة 'عاشقي صهيون' في أوروبا، وكانت هذه تهدف لإنجاز الأمنية إنشاء دولة يهودية خاصة. وقال حسن عبد الله "وكان هناك اعتقاد للصهيونيين البارزين أن الأرض التي تعود للشعب اليهودي بوجه تاريخي هي المكان الأمثل لهذه الدولة، وكانت تسمى فلسطين. وفي نفس الوقت، وكانت فلسطين جزءًا من الإمبراطورية العثمانية التي كانت تحت حكم محلي يسمى "الولاية العثمانية."، كانت هذه مسكونة بالمواطنين الفلسطينيين العرب كعنصر رئيسي. كانت الأقلية اليهودية تمثل أقل من ٨% من المقيمين حتى عام ١٩٢٠. أثار مشروع الصهيونية كانت استياءً كبيرًا بين أهل فلسطين. وفي تلك الفترة لقي رفضاً قاطعاً من مختلف الشخصيات السياسية والدينية. وكان بين هذه الشخصيات كان مفتي القدس أمين الحسيني وعز الدين القسام، ولاحقًا عبد القادر الحسيني، بالإضافة إلى زعماء سياسيين ودينيين وعسكريين آخرين. وشهدت هذه الفترة بداية المقاومة الشعبية في فلسطين، حيث تنوعت أشكال المقاومة ضد المشروع الصهيوني. مواقف الشخصيات العربية والحكام العرب في مواجهة هذا المشروع، حيث دعم بعضهم حقوق الفلسطينيين في تحقيق مصيرهم الذاتي، بينما عارض البعض الآخر حقوق الشعب الفلسطيني

تنوعت مواقف أفراد العرب والحكام في مصادمة مع هذاالمشروع"[٢٣٦]، حيث دعم بعضهم حقوق الإنسان الفلسطيني في تحديد تحصيل النهائي بأنفسهم الذاتي، بينما عارض بعضهم الآخر حقوق الشعب الفلسطيني.

وقد كان هناك من اكتفى بالصمت دون التصريح بموقف واضح. ومن ناحية أخرى، أظهرت الدول الغربية ترحيبها بفكرة إقامة دولة يهودية في فلسطين ووفرت لها التأييد

[٢٣٥] حسن عبد الله، النتاجات الأدبية الاعتقالية، ص ٣١.
[٢٣٦] المصدر السابق، ص ٥٤.

المالي والعسكري واللوجستي. هذه الدول ترى أن وجود دولة يهودية في المنطقة يخدم احتياجاتها، لذلك قدمت مددا كبيرًا للصهاينة. برزت دول كبيرة مثل بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا في تقديم هذا الدعم.

مرحلة الانتداب البريطاني

يقول ماهر الشريف "في عام ١٩١٧، فلسطين احتل بالجيش البريطاني وشرق الأردن بالتعاون مع الثورة العربية التي قادها الشريف حسين، هدفت هذه الثورة إلى تحقيق استقلال ووحدة الولايات العربية. بناءً على معاهدة سايكس بيكو، فخضعت الأردن وفلسطين للاستعمار البريطاني. في العام نفسه، أرسل وزير الخارجية البريطاني آرثر جيمس بلفور رسالة إلى البارون ليونيل وولتر دي روتشيلد. قدم بلفور في هذه الرسالة تعهدًا بدعم بريطاني لإقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين. ومع ذلك، تضمن التعهد أيضًا الملاحظة بأن هذا التأييد لن يؤثر سلبًا في الحقوق المدنية والدينية للسكان غير اليهود في فلسطين، بما في ذلك العرب والمسيحيين"[٢٣٧].هذا ما أصبح معروفا فيما بعد باسم "وعد بلفور" وهو أحد الأحداث الرئيسية في تاريخ الصراع الإسرائيلي الفلسطيني.

النكبة الفلسطينية (١٩٤٨)

ويستطرد ماهر الشريف في هذا الخصوص "يشير مصطلح 'النكبة' عامة إلى الأحداث التي وقعت في عام ١٩٤٨م، حيث فقد الفلسطينيون مئات القرى والمدن وأُجبروا على الهروب أو النزوح من ديارهم خلال الحرب العربية الإسرائيلية التي أدت إلى تأسيس دولة إسرائيل. في سياق أوسع، بين الانتداب البريطاني على فلسطين وبعده، الحركة الصهيونية نفذت سلسلة من الإجراءات المخطط لها مسبقاً، والتي كانت تهدف إلى

[٢٣٧] ماهر الشريف، البحث عن كيان، دراسة في الفكر السياسي الفلسطيني ١٩٠٨ – ١٩٩٣، مركز البحاث والدراسات الاشتراكية، نيقوسيا، ط ١، ١٩٩٥.

ترحيل الفلسطينيين وتنفيذ التطهير العرقي في فلسطين"[٢٣٨]. تشتمل هذه الإجراءات هجمات إرهابية مدمرة على القرى والمدن الفلسطينية نُفذتها منظمات صهيونية مثل 'الهاجاناه والإرجون والشتيرن'[٢٣٩].تسببت هذه الإجراءات في احتلال اليهود حوالي ٧٨% من مساحة فلسطين التاريخية، وأدت إلى مقتل وتشريد نحو ٧٥٠ ألف إلى مليون فلسطيني. تم إجبارهم على اللجوء بالقوة إلى دول مجاورة أو إلى مناطق أخرى داخل فلسطين. هذا التهجير الجماعي ساعد في تشكيل بداية جديدة للقضية الفلسطينية، حيث أصبح اللاجئون الفلسطينيون الذين تركوا المناطق التي احتلتها إسرائيل جزءًا أساسيًا من هذا الصراع الداخلي.

النكسة (١٩٦٧)

يقول سيلفي منصور"قامت هذه الحرب عام ١٩٦٧م، ويُطلق عليها اليهود 'حرب الأيام الستة'. ومن خلال هذه الحرب، خسر الفلسطينيون المزيد من الأراضي، بما في ذلك الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس الشرقية التي احتلها الاحتلال الإسرائيلي. بعد النكبة وبعد مرور تسعة عشر سنة، نشبت صراع مسلح جديد شرس تسببت في إعداد ما يقرب من ربع أو ثلث عدد أبناء الشعب الفلسطيني. بدأت هذه المرحلة الجديدة لمن بقي في بيوتهم، حيث أجبروا على العيش تحت سلطة إسرائيلي محتل. فسمّي هذا الحدث المستجد بـ 'النكسة'، وهي كلمة تعني الانهيار المفاجئ والخطير لمأساة سابقة"[٢٤٠].

الانتفاضات الفلسطينية

االانتفاضة هي مصطلح مشتق من الفعل 'ينتفض'، وفي فلسطين، يجسد هذا المصطلح إلى الثورة الشعبية. وقال السيلفي "تعتبر الانتفاضات سلسلة من التحركات التي تهدف إلى الاحتجاج على الاحتلال الإسرائيلي. تعكس هذه الانتفاضات عن إرادة الفلسطينيين

[٢٣٨] المصدر السابق، ص ٥٧.
[٢٣٩] الهاجاناه، والإرجون، والشتيرن هي ثلاث مجموعات عسكرية صهيونية تأسست في فترة ما قبل قيام دولة إسرائيل، وكان لكل منها دور في الهجرة اليهودية إلى فلسطين والنضال من أجل إقامة دولة إسرائيل.
[٢٤٠] سيلفي منصور، جيل الانتفاضة، بيروط، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٠.

في تحقيق حقوقهم الوطنية والاستقلال"[٢٤١]. شهدت فلسطين عدة من هذه الانتفاضات على مر العقود.، ومن أهمها:

الانتفاضة الأولى

الانتفاضة الأولى المعروفة أيضا بـ 'الانتفاضة الحجارة'، سميت بهذا الاسم نظراً لاستخدام الحجارة كأداة هجوم ودفاع ونضال من قبل المقاومين ضد جيش الدفاع الإسرائيلي. بدأت الانتفاضة الفلسطينية الأولى في غزة عام ١٩٨٧ بعد مقتل أربعة فلسطينيين في حادث تصادم بين شاحنة إسرائيلية وعربتين كانتا تحملان عمالًا فلسطينيين. وسرعان ما اتسعت رقعة الاشتباكات إلى جميع الأراضي الفلسطينية المحتلة. أسفرت هذه الانتفاضة التي انتهت بتوقيع 'اتفاق أوسلو'[٢٤٢] في عام ١٩٩٣، عن سقوط آلاف المدنيين الفلسطينيين ومئات الجنود الإسرائيليين.

الانتفاضة الثانية

الانتفاضة الثانية، المعروفة أيضا بـ'انتفاضة الأقصى'، "اندلعت بسبب تراكم الغضب الفلسطيني نحو الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي، خاصة بعد فشل عملية السلام واستمرار الاستيطان الإسرائيلي والتمييز والقمع الذي فرضته إسرائيل على الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة. كما أن غضب الشباب الفلسطيني تجاه الظروف المعيشية الصعبة والبطالة العالية ساهم في تأجيج الوضع"[٢٤٣]. تصاعدت التوترات خاصة بعد زيارة المرشح لرئاسة الوزراء الإسرائيلي آرييل شارون[٢٤٤]

[٢٤١] المصدر السابق، ص ٣٣.

[٢٤٢] اتفاق أوسلو هو سلسلة من الاتفاقيات التي تم التوصل إليها بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية)ممثلة بسلطة السلطة الوطنية الفلسطينية(، والتي تم توقيع أولها في العاصمة النرويجية أوسلو في ١٣ سبتمبر ١٩٩٣. هذه الاتفاقات كانت تهدف إلى تسوية النزاع الفلسطيني الإسرائيلي وإيجاد حل دائم للصراع بين الطرفين. كما مثلت بداية عملية السلام الفلسطيني الإسرائيلي، التي كان يأمل الكثيرون أن تؤدي إلى دولة فلسطينية مستقلة إلى جانب دولة إسرائيل.

[٢٤٣] المصدر السابق، ص ٤٢.

[٢٤٤] آرييل شارون (Ariel Sharon)هو أحد الشخصيات العسكرية والسياسية ورئيس الوزراء السابقة في تاريخ إسرائيل.

لباحات المسجد الأقصى في سبتمبر ٢٠٠٠، مما أثار غضبا واسعا ودفع الشبان الفلسطينيين للتظاهر والاحتجاج مما أدى في النهاية إلى اندلاع الانتفاضة.

بصفة عامة، يترك الصراع الفلسطيني الإسرائيلي تأثيرات واسعة على الشعب الفلسطيني، من النواحي الاجتماعية والسياسية إلى النفسية والبدنية. وقد أدى هذا الصراع إلى تحديات كبيرة مثل فقدان الأراضي والهجرة القسرية، بالإضافة إلى حرمان الفلسطينيين من حقوقهم الأساسية والحريات كما أثر بشكل كبير على الحياة اليومية مما زاد من صعوبة الظروف المعيشية ورفع معدلات البطالة والفقر. ومع ذلك، لا يمكن إنكار أن الصراع حفز الفلسطينيين على النضال والصمود، وأدى إلى بروز أعمال أدبية وفنية ذات قيمة عالمية تعكس تجاربهم ومعاناتهم وآمالهم. خلال هذا الصراع سلط الأدب الفلسطيني الضوء على الحياة تحت الاحتلال وناقش قضايا الهوية والانتماء والمقاومة بطرق متنوعة وعميقة. لذا، يمكن القول أن تأثيرات الصراع لم تقتصر على الجوانب السلبية، بل شجعت أيضًا على الإبداع والتعبير الثقافي مما يعكس التحديات والتطلعات الشعبية بطرق متعددة الأبعاد.

الفصل الثاني

المظاهر السياسية وظهور شعر السجون في العراق

العراق جغرافيا وتاريخيا

دولة العراق، تقع في منطقة الشرق الأوسط في غرب قارة آسيا، ويحده عدة دول من مختلف الاتجاهات. من الشمال، يحده تركيا وإيران، ومن الشرق يحده إيران والخليج العربي والكويت، ومن الجنوب يحده الكويت والسعودية والخليج العربي، ومن الغرب يحده الأردن وسوريا. وبغداد هي العاصمة وأكبر مدينة في العراق، وهي تاريخياً وثقافياً مركز حيوي في المنطقة. تُعتبر بغداد أيضاً مدينة رئيسية للثقافة والفنون والتعليم في العراق، حيث تضم مؤسسات حكومية وجامعات ومراكز ثقافية هامة.

بالإضافة إلى بغداد، هناك عدة مدن رئيسية أخرى في العراق تلعب أدواراً هامة في الحياة الثقافية والاقتصادية ، "والبصرة تشتهر بمينائها البحري الكبير وتعد مركزاً هاماً للتجارة والنقل البحري في العراق، والموصل تُعتبر مركزاً تجارياً وثقافياً هاماً في شمال العراق، وتشتهر بتاريخها العريق وتنوع ثقافتها والأربيل تقع في إقليم كردستان العراق وتتمتع بثقافة ولغة وهوية خاصة بها، وتعد مركزاً اقتصادياً وتعليمياً هاماً. والمدينة السليمانية أيضاً تقع في إقليم كردستان العراق وتشتهر بثقافتها الغنية ودورها الثقافي والتعليمي في المنطقة"[٢٤٥]. كل هذه المدن تمثل تنوعاً حضاريا وثقافياً واقتصادياً مهماً في العراق، وتسهم بشكل كبير في الحياة اليومية والتقدم الاجتماعي في البلاد.

إن تاريخ العراق بالفعل غني ومعقد حيث يمتد لآلاف السنين ويشتمل فترات مختلفة من الحضارات القديمة والعصور اللاحقة. هناك نفهم نبذة عن بعض هذه الفترات التاريخية المهمة:

[٢٤٥] Mawdoo3.com

السومريون: "كانت حضارة سومر في جنوب العراق أحد أقدم الحضارات في التاريخ، حيث ازدهرت بين حوالي ٤٠٠٠ ق.م و٢٣٠٠ ق.م. ابتكروا الكتابة الأولى على الإطلاق وبنوا العديد من المدن القديمة مثل أوروك وأور.

البابليين: تلاحقت حضارة بابل بعد سقوط سومر، وكانت فترة حكم حضارة بابل تحتوي فترة مهمة بين ١٨٩٤ ق.م و٥٣٩ ق.م تعرف بالعديد من الإنجازات الثقافية والهندسية مثل برج زيغورات.

الآشوريون: تميزت بالتوسع الإمبراطوري والنجاحات العسكرية، وكانت تعتمد على تنظيمها العسكري القوي. ازدهرت في شمال العراق وشمال سوريا حوالي ٢٥٠٠ ق.م حتى ٦٠٥ ق.م.

الفترة الإسلامية: بدأت مع انتشار الإسلام في القرن السابع الميلادي، حيث أدت الفتوحات الإسلامية إلى تأسيس دولة الخلافة الإسلامية في بغداد وبغداد أصبحت مركزاً ثقافياً واقتصادياً هاماً.

الفترة العثمانية: هذه الفترة استمرت منذ القرن السادس عشر حتى القرن العشرين، حيث كان العراق جزءاً من الإمبراطورية العثمانية التي أثرت على الهيكل الاجتماعي والاقتصادي للمنطقة.

الاستعمار البريطاني: هذه الاستعمار بدأ في أواخر القرن التاسع عشر واستمر حتى عام ١٩٣٢ عندما حصل العراق على استقلاله. ترك هذا الاستعمار بصمة في الهيكل السياسي والاجتماعي للبلاد. تلك الفترات الهامة تعكس تعقيد وغنى تاريخ العراق، وتأثيرها على التطورات الثقافية والاجتماعية والسياسية في المنطقة عبر العصور"[٢٤٦].

[٢٤٦] المصدر السابق: ص ٣١٨.

بفضل هذه الحضارات القديمة تأثرت العلوم والثقافة والفلسفة والأدب في العراق بشكل عميق، نرى في كتاب الذي أصدرت وزارة الإعلام بالجمهورية العراقية "ولعب العراق دوراً هاماً في تطور المعرفة الإنسانية عبر التاريخ. كان العراق مركزا للثقافة الإسلامية خلال حكم العباسيين حيث ازدهرت المدارس والمكتبات والعلوم. كما كانت العراق محطة مهمة على طرق التجارة القديمة بين الشرق والغرب مما ساهم في تبادل الثقافات والمعارف[٢٤٧].

العراق لا يزال محطاً للاهتمام السياسي والاجتماعي عبر العصور، "وقد شهد كثيرا من الصراعات والتغيرات التي أثرت على مساره التاريخي والثقافي. ومن أهم حروبها بين الإمراطوريات والدول الإسلامية التي شهد العراق القديم صراعات كثيرة بين الإمبراطوريات المختلفة مثل الآشوريين، والبابليين، والممالك الآرامية. كما تأثر بالصراعات بين الدول الإسلامية مثل العباسيين والفاطميين والسلاجقة. وكذلك خلافة العباسية واتخادهم بغداد عاصمتها كعاصمة للدولة الإسلامية، فشهدت بغداد تطوراً ثقافياً وعلمياً كبيراً، حيث كانت مركزاً للمعرفة والثقافة في العالم الإسلامي"[٢٤٨] . وبالإضافة تأثر العراق بالاستعمار العثماني لفترة من الزمن، وظل جزءاً من الدولة العثمانية حتى الانهيار العثماني في أعقاب الحرب العالمية الأولى. بعد ذلك، تأثر بالاحتلال البريطاني وحكم الانتداب حتى استقلاله في عام١٩٣٢. وكذلك الثورة والأنظمة السياسية المختلفة مثل ثورة ١٩٥٨ التي أسقطت النظام الملكي وقيام الجمهورية.

فلا ننكر من التغيرات التي وردت بعد ما وقع الحروب العراقية الإيرانية والخليجية والاحتلال الأمريك، " تأثر العراق بالحروب الداخلية والخارجية، مثل الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠-١٩٨٨)، وحرب الخليج الأولى (١٩٩٠-١٩٩١)، والاحتلال

[٢٤٧] تطور الشعر العربي الحديث في العراق، وزارة الإعلام بالجمهورية العراقية، ١٩٧٥.
[٢٤٨] المصدر السابق، ص ٨٣.

الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣. الثقافة العراقية والتأثير العالمي رغم كل التحديات، استمرت الثقافة العراقية في التطور والتأثير عبر العصور، وقدمت إسهامات هامة في مجالات الأدب والعلوم والفنون. تحتفظ العراق حتى اليوم بإرث ثقافي غني يعكس تنوع وعمق حضارته. ونتيجة لهذا التراث، قدمت البلاد العديد من الإسهامات المهمة في مجالات الأدب والفنون والعلوم مما يعكس غنى الحضارة العراقية وتنوعها عبر العصور. لا يزال العراق يُعتبر مركزًا ثقافيًا وتاريخيًا له تأثير كبير على المنطقة والعالم، حيث يحافظ على ماضيه العريق ويستمر في التطور والتأثير في مختلف المجالات"[٢٤٩].

يمكن القول إن العراق كان مركزاً للأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية عبر التاريخ، واستمر في تأثيره على المنطقة والعالم بأسره.

في القرن العشرين

وفي القرن العشرين، شهد العراق لتحولات وأحداث هامة حيث تأثرت عليه سياسيا واجتماعيا بشكل كبير. يقول سليمان الدخيل"بدأت فترة الاستعمار البريطاني في العام ١٩٢٠ بعد سقوط الدولة العثمانية، حيث تم تأسيس الانتداب البريطاني على العراق. استمرت هذه الفترة حتى استقلال العراق في عام ١٩٣٢. بعدها شهد العراق فترات من الاضطرابات السياسية والانقلابات العسكرية، حيث تعرضت الحكومات كثيرا من الانقلابات العسكرية، وكان من بين الحكام البارزين حكم صدام حسين الذي تولى السلطة في عام ١٩٧٩. تحت حكم صدام حسين، شن العراق حرباً ضد إيران بين عامي ١٩٨٠ و١٩٨٨، والتي كانت واحدة من أطول الحروب في القرن العشرين، وأيضاً شن حرباً ضد الكويت في عام ١٩٩٠ مما أدى إلى الحرب الخليجية الأولى عام ١٩٩١. وفي عام ٢٠٠٣، غزت القوات التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة

[٢٤٩] المصدر السابق ص ١١٢.

العراق، هذه أدت إلى سقوط حكم صدام حسين وبداية فترة اضطراب سياسي وأمني في البلاد. تلا ذلك فترة طويلة من الانتقال السياسي والبحث عن استقرار، حيث ما زالت العراق تواجه تحديات كبيرة في مجالات الأمن والاستقرار والتنمية الاقتصادية"[٢٥٠].

في هذا القرن شهد العراق العديد من الأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية المهمة، كانت أولها استقلال العراق عن الدولة العثمانية في عام ١٩٢٠. وفي عام ١٩٣٢، استقل العراق رسمياً عن الانتداب البريطاني، وأصبح دولة مستقلة وعضوا في الأمم المتحدة. بعد سقوط الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، تم تأسيس الانتداب البريطاني على العراق. والثاني ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨، هناك نفذت ثورة عسكرية في العراق أطاحت بالنظام الملكي قادها عبد الكريم قاسم وضباط عسكريين آخرين، وأسفرت عن إعدام الملك فيصل الثاني وأفراد آخرين من العائلة المالكة. تأسست جمهورية العراق بعد الثورة، وقادتها حكومة مدنية برئاسة عبد الكريم قاسم.

وأما الثالث حكم حزب البعث بقيادة صدام حسين منذ عام ١٩٦٨ حتى عام ٢٠٠٣، في عام ١٩٦٨، قادت ثورة نظام البعث بقيادة أحمد حسن البكر وصدام حسين، أطاحت بالحكم المدني السابق. وتولى صدام حسين السلطة كرئيس للعراق فيما بعد، وسيطر حزب البعث على الحكم بشكل شبه مطلق حتى عام ٢٠٠٣ ، خلال فترة حكم حزب البعث، شهد العراق تحولات سياسية واقتصادية هامة، وشارك في حروب مع إيران والكويت والتي أدت في النهاية إلى الغزو العسكري الذي قادته الولايات المتحدة وحلفاؤها في عام ٢٠٠٣.

هذه الحقائق تعكس جزءاً من التحولات الرئيسية التي شهدها العراق خلال القرن العشرين والتي أثرت على تشكيله السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

[٢٥٠] سليمان الدخيل، الفوز بالمراد في تاريخ بغداد، تقديم وتعليق: محمد زينهم محمد عزب، (القاهرة: دار الآفاق العربية،٢٠٠٣).

أوضاع الأدب بين الاحتلال في العراق

تحت الاحتلال في العراق، تأثرت أوضاع الأدباء بشكل كبير بسبب الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية المضطربة. فُرضت قيود صارمة على حرية الإبداع وتعرض الكتاب والمثقفون للاضطهاد والتهديد بسبب آرائهم وأعمالهم الأدبية. استخدم الأدباء الشعر كوسيلة للتعبير عن معاناتهم ومقاومتهم للاحتلال. واجه العراقيون تحديات جسيمة نتيجة الظروف الصعبة والاضطهاد السياسي حيث تم تقييد حرية التعبير بشكل ملحوظ، ومنعت الأعمال التي تنتقد السلطة أو تعكس المعاناة الشعبية. تعرض العديد من الأدباء للاعتقال بسبب مواقفهم السياسية، وكثيرًا واجهوا التهديد والتعذيب. ومن بين الشعراء الذين تم اعتقالهم في العراق، يُذكر محمد جميل شلش[٢٥١]، وعلي الحلي[٢٥٢]، ومحمد مهدي الجواهري، ومظفر النواب، وبدر شاكر السياب، وأحمد مطر[٢٥٣].

[٢٥١] هو شاعر وكاتب عراقي. ولد في مدينة الخالص من محافظة ديالي، ولد سنة ١٩٣٠م.
[٢٥٢] هو شاعر عراقي دبلوماسي وحقوقي. ولد في مدينة النجف سنة ١٩٣٠م.
[٢٥٣] شاعر عراقي ولد سنة ١٩٥٤ في قرية التنومة.

الفصل الثالث

العناصر الاجتماعية في شعر السجون العربي الحديث في العراق وفلسطين: دراسة تحليلية

مفهوم العناصر الاجتماعية في شعر السجون

تشمل العناصر الاجتماعية في الشعر كل ما يتعلق بالعلاقات والتفاعلات بين الأفراد في المجتمع، وتعكس جوانب متنوعة من الحياة الاجتماعية والثقافية. تتناول هذه العناصر مواضيع متعددة مثل الفقر والعدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان والهجرة والبطالة واللاجئين والعنف الأسري والتحرش والمقاومة والظلم والحرية والتمييز وغيرها. يسعى الشاعر من خلال قصائده إلى التعبير عن قضايا المجتمع ومشكلاته مستخدمًا هذه العناصر لنقد الواقع وللتعبير عن الانتماء والهوية الثقافية.

وظيفة الشعر الاجتماعي

تتمثل وظيفة الشعر الاجتماعي في التعبير عن قضايا المجتمع والتفاعل مع الحياة الاجتماعية من خلال الأدب الشعري. يعكس هذا النوع من الشعر الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية للأفراد والمجتمعات مُسلطًا الضوء على المشكلات والتحديات التي يواجهها الناس بشكل عميق ومؤثر. يُعتبر الشعر الاجتماعي وسيلة فعّالة للتعبير عن المشاعر والآراء والتجارب الفردية والجماعية، ويمكن أن يلعب دورًا مهمًا في توعية الناس وتحفيزهم للتفكير والعمل نحو التغيير الاجتماعي الإيجابي.

يحتفظ الشعر بقوته النقدية في المجتمعات النامية، حيث لا تزال الكلمة قادرة على الرؤية والتعبير عن عوالم جديدة. في هذه البيئات، يقترب دور الشاعر من كونه مصلحًا أو معلمًا إذ تظل الشعرية وسيلة إبداعية تختلف عن أساليب الحث الصريحة

والتعليم المباشر. لا ينفصل الشعر الصادق عن الميدان الاجتماعي، بل يتفاعل معه بعمق مُعبّرًا عن قضايا المجتمع ومعانات أفراده. الشاعر لا يتغافل عن هذا السياق، بل يستفيد منه ليبني رؤاه ويعبر عنها بأسلوبه الفني الفريد. ونرى في مجلة شئون إجتماعية "فالأدب الصادق ليس معزولا عن المجتمع، فعلى الأدباء أن يعيشوا تجربة عصرهم ويعكسوها في أعمالهم"[٢٥٤].

يسعى الشعر إلى تغيير المجتمع وإعادة تشكيله بطريقة جديدة وجميلة، حيث يتناول الشاعر في قصائده مجموعة من القضايا الاجتماعية. يقوم برسم صورة واضحة ومشرقة للمجتمع الذي يحلم به، معبرًا عن القيم والمبادئ التي يؤمن بها ويرغب في نشرها بين الناس. يقول محمد عناني "فهو بما يقدم إليه من قيم جديدة يساعد على تغييره وتشكيله"[٢٥٥]، والشاعر، وهو يكتب قصائده ويشملها بالعديد من القيم والمبادئ، يبقى قريبًا من واقع مجتمعه. فهو لا يصف مدينة مثالية يصعب تحقيقها، بل يظل مرتبطًا بواقعه المحدد.

تناول الشعراء في قصائدهم العديد من الموضوعات الاجتماعية المهمة، مثل الظلم والقمع السياسي، وحقوق الإنسان والحريات الفردية، بالإضافة إلى الفقر والتمييز الاجتماعي، والحروب والصراعات، والظروف الاقتصادية، والهجرة واللجوء، وكذلك الحب والفقدان والوحدة والهوية والانتماء والعدالة والمساواة. تمثلت هذه الموضوعات وغيرها في قصائد الشعراء كجزء من تجاربهم الشخصية والاجتماعية.

ومن أهم عناصر الاجتماعية:

مرارة الفقر

في شعر السجون، يظهر الشعراء السجناء المتأثرون بشدة بالتعذيب صورة صادقة التي تصف ظروف السجن والحياة اليومية فيه. يعالجون العديد من العناصر المتعلقة بالفقر،

[٢٥٤] مجلة شئون إجتماعية ،جمعية الاجتماعيين، ص ١٦٢ .
[٢٥٥] محمد عناني، الأدب وفنونه، مؤسسة هنداوي، ١٩٨٤، ص ٤٦ .

مثل نقص الموارد الأساسية من طعام وشراب وملابس، ويشيرون أيضًا إلى الظروف المعيشية القاسية والتشرد الاجتماعي داخل جدران السجن. يكتبون عن الأطعمة التي يحنون إليها ويتذكرون الأوقات التي كانوا فيها يتناولونها، ويتأملون في لحظات الوفاء والحب التي شاركوها مع أسرهم وأطفالهم وأحبائهم، وكذلك المشروبات التقليدية التي كانوا يستمتعون بها في المناسبات الخاصة والأعياد.

الشعراء الفلسطينيون في سجون إسرائيل يصوّرن بشدة معاناة الشعب الفلسطيني من الفقر والجوع والتشرد حيث تم سلب أبسط حقوقهم وتركهم يعيشون في ظروف لا تليق بالإنسانية. يعكس هذا الشعر الواقع القاسي الذي يعيشه اللاجئون، الذين طردوا من أراضيهم وتركوا تحت رحمة المساعدات والمعونات التي تقدمها وكالات الإغاثة، من ذلك قول الشاعر عبد العزيز الرنتيسي

"أصبحت كمًّا مهملا بين الورى أصبحت فوق السيل كالزبد الغثاء
ولذا تركت الأرض دون تلكؤٍ وأخذت أبحث في الوكالة عن غذاء
وغدى الثرى بعد النعيم وسادتي أقضي الليالي ساهرا تحت السماء
أما الثياب فلا تسل عن أصالها فالخيش صار لحاءنا وهو الغطاء"[٢٥٦]

هناك يعبر الشاعر عن معاناة اللاجئين الفلسطينيين الذين تركهم العالم يعيشون في ظروف من الفقر والتشرد والحرمان. يصور عبر لسان اللاجئ الفلسطيني كيف تحولت حياتهم الرغيدة في بيوتهم إلى مأساة في خيام ومخيمات، حيث يجدون أنفسهم يعتمدون على المساعدات لتأمين الحاجات الأساسية لهم ولأطفالهم. يتحسر الشاعر على الحالة التي وصل إليها اللاجئون بسبب الاضطهاد والنزوح حيث أصبحوا يعيشون في ظروف قاسية لا تتناسب مع كرامتهم الإنسانية. الشعر 'موشح الأحزان' الذي أنشده

[٢٥٦] عبد العزيز الرنتيسي، ديوان، حديث النفس، ص ١٣.

الشيخ رائد صلاح يبرز بقوة صور المعاناة التي يواجهها الفقراء والمحرومون من أبسط مقومات الحياة الكريمة.

يتناول الشيخ في هذا الشعر العديد من الجوانب الحياتية الأساسية التي يفتقدها الأفراد في هذه الفئة مثل الطعام واللباس والشعور بالأمان والعلاج الطبي. ويعكس 'موشح الأحزان' الأوضاع الإنسانية الصعبة التي يعيشها هؤلاء الأفراد ويسلط الضوء على قضايا العدالة الاجتماعية والاقتصادية والإنسانية التي تحتاج إلى حلول فورية وفعالة لتحسين ظروف حياتهم، يقول:

"جرى دمعي على خـدي بليـــل قـــاؤس البـــرد
على الأنات فـــي الخيمة على المولود فـي العتمة
وطفـل قـد بكـى أمـــه عديـم الثـوب واللقمـــة
جليس الخـوف والحمـى ومـر الحـزن والغمـة
وصحت الليل من وجدي وقيـد الظلـم في زندي
أفيكـــم بـــاذل الخيـــر لهـذا البيت فـي القـر
أسيـــر الجـــوع والفقـر بـــلا مـــاء ولا تمـــر
ولا ثـــوب ولا ستـــــر ولا ملـــح ولا بـــــرّ"[٢٥٧]

الوحدة الوطنية

نرى في شعر السجون في فلسطين والعراق علامات على قيم الوحدة الوطنية والانتماء للوطن بشكل واضح. يصور الشعراء حبهم العميق وولاءهم لأوطانهم وشعوبهم من خلال استخدام الرموز الوطنية والصور المحلية في قصائدهم. يسلطون الضوء على قوة الروابط الاجتماعية والثقافية التي تجمع أفراد المجتمع، ويعززون الوعي بأهمية

[٢٥٧] رائد صلاح، زغاريد السجون، ص ١٩٣.

التضامن في مواجهة التحديات والظروف القاسية. يلعب هذا الشعر دورًا حيويًا في تعزيز الهوية الوطنية وتعزيز روح الانتماء والصمود أمام الاحتلال والاضطهاد.

يدعو الشعراء الفلسطينيون شعبهم إلى التضامن والوحدة الوطنية للوقوف صفًا واحدًا أمام مخططات الأعداء والطامعين، ومؤامراتهم على سبيل المثال، يقوم الشاعر سليم الزعنون[٢٥٨] بنبذ التعصب للرأي والفكر ويشجع على تعزيز الحوار كأفضل وسيلة لتحقيق الوحدة ويهيئ أبناء شعبه أن يكونوا يدًا واحدة ليعم الحب في ربوع الوطن، يقول:

"فلنسر، فلنسر، بوحدة شعب يملأ الحب أرضنا وسمانا
واتقوا الله ليس يعبد رأي والحوار الرشيد أقوى بيانا
وليكن بيننا مواثيق صدق ليس ظلما بها ولا اذعانا
وليكن للخلاف في الرأي حد يرفض الضرّ يحفظ الإخوانا
وأشداء فب العدا رحماء بينهم يمكث الوداد مصانا"[٢٥٩]

الشاعر السجين يكرر دعوته لأبناء شعبه للتضامن والتلاحم، حيث ينادينا ويدعونا للتضامن ونبذ التنازع والشقاق، والاستفادة من الفرصة لمواجهة الأعداء، يقول:

"يا أهلنا اتحدوا في موقف أزم جاروا على القدس إن القدس تدعونا
ما عاد ينفع لا لاءٌ ولا نعم سوى إرادة شعب سوف تحيينا
إن يدفعوا لاحتراب فاحذروا شركا دوما يداعب شوقا في أعادينا
إن السفينة فوق الصخر يدفعها نحو الهلاك رياح ليس تهدينا"[٢٦٠]

[٢٥٨] سليم ديب سليم الزعنون، فترة حياته (١٩٣٣ –٢٠٢٢) هو سياسي وقانوني فلسطيني.
[٢٥٩] سليم الزعنون، ديوان هكذا نطق الحجر، دار الكرمل للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ص ١٣٨-١٣٩.
[٢٦٠] المصدر السابق، ص ١٣٨ – ١٣٩.

معاناة القدس

يعبر شعر السجون الفلسطيني عن الصمود والصراع والأمل في مواجهة الظلم والاحتلال. يعد موضوع القدس محوريًا في هذا الشعر حيث يُبرز القضية كرمز للهوية الفلسطينية والصراع المستمر من أجل الحرية والعدالة. فلا ينكر أحد أن للأدباء والشعراء دورا مهمًا في توعية الناس بقضية القدس، خاصة الأسرى الذين يعيشون في ظروف قاسية. صوروا العلاقة القوية التي تربطهم بالمدينة المقدسة، وأظهروا ولائهم العميق من خلال حساسيتهم وعمق إحساسهم بها، ورسموا صورًا لجمالها وروعتها معبرين عن أملهم في تحريرها واستعادتها.

نلاحظ الشاعر الأسير عمر عطاطرة[٢٦١] يطلق رسالة مناشدة لحماية القدس والحفاظ عليها ممن سرقوها واحتلوا أرضها، ودنسوا مشاعرها المقدسة ولكن للأسف لا أحد يجيب، فيقول الشاعر في مقطوعة له:

"تناشد فيكم بقايا الضمير ونار الحمية يا مسلمون
وتستصرخ القدس أبطالها وتهتف فيكم ألا تسمعون
حرامي يُدنس من طغمة واهل المروءة لا بهمسون
أيجثم علج على أضلعي ويبصر قومي ولا ينهضون
يعيث اليهود بأرضي فسادا وانتم شهود بما يفعلون"[٢٦٢]

تظهر هذه الأبيات الشكوى والحسرة التي تعبر عنها القدس، والقدس مجروحة ومكلومة بسبب الانتهاكات والتدنيس. تعكس الأبيات هذا الألم والمعاناة وتوضح الحالة اليائسة التي تعيشها المدينة المقدسة. يعبر الشاعر عن استيائه من عدم تحرك العرب وعدم

[٢٦١] شاعر فلسطيني وسياسي، يعتبر من الأسرى الشعراء داخل السجون، دخل في السجن لمدة ٢٠ عاما، ويعاني من عدة أمراض ومشاكل صحية.
[٢٦٢] د. فادي صقر عصيدة، القدس في شعر الحركة الأسرية الفلسطينية، ص٧٧.

دعمهم للقدس في مواجهة هذه الانتهاكات ويصفهم بأنهم شهود على هذه الجرائم دون أن يتدخلوا لإنقاذ المدينة المقدسة.

في مقطوعة صغيرة بعنوان 'أم المدائن' يعبر الشاعر الأسير عمر عطاطرة عن معاناة القدس جراء الظلم والقهر الذي يمارسه المحتلون الغاصبون. يسرد بعض الاعتداءات التي يرتكبها الصهاينة في حربهم ضد المدينة المقدسة مُظهرًا التأثير العميق لهذه الانتهاكات على الهوية الفلسطينية وعلى روح الشعب الذي يدافع عن أرضه، فقال في أبياتها الأولى:

"أموصدة الأبـواب أم المدائــن تئـن وتبكـي تحـت نهـش البراثـن
أتمنع في القدس الصلاة نكاية وتُخرس كف البغي صوت المآذن
يدنس سكير المواخير مسجـدا ويعبـث اربابـا الخنــا بمواطنـــي
ايبعد عن باحات طهرك عابـد وتوضح ابـواب لكشـف المعـادن"[٢٦٣].

القضايا الوظيفية في فلسطين تتأثر بعدد من العوامل السياسية، الاقتصادية، والاجتماعية التي تؤثر بشكل كبير على سوق العمل في الأراضي الفلسطينية، يعتمد الكثير من الفلسطينيين على وظائف القطاع العام، وخاصة في مناطق السلطة الفلسطينية، لكن الحكومة الفلسطينية تواجه صعوبة في توفير فرص عمل جديدة بسبب الموازنة المحدودة. مع تزايد البطالة والأوضاع الاقتصادية الصعبة، يواجه العديد من الفلسطينيين ضغوطًا نفسية تؤثر على أدائهم الوظيفي وجودة حياتهم.

يقدم الشاعر نبيل الجولاني قصيدته 'عرق العمال دما' ليسلط الضوء على تجارب العمال ومعاناتهم من الإذلال أثناء سعيهم لكسب لقمة العيش لأنفسهم وأسرهم. وهو يصف كيف يتجاوزون حواجز الموت ويواجهون الجنود عند نقاط التفتيش للوصول إلى أماكن عملهم، يقول:

[٢٦٣] عمر عطاطرة،:قصيدة أم المدائن، مخطوط.

"والعمال الذين يشيدون للغرباء
يلعنون كل صباح ومساء
المغول والتتار
المدارس التي كانت
والجامعات التي تكون
وكل ميت من الأحباء
يلعنون عقولهم
سواعدهم
كرامتهم التي ذبحت
الدستور والشعرات
ويومهم الدامي
حينما صاروا كالبهائم
تعمل..تأكل..وتنام
عرق العمال دم
ينز ينز ينز
يلعن الماضي يلعن القاضي
والصبر والآمال"[٢٦٤]

أثرت أوضاع العمال في فلسطين والعراق أثناء المحتلين بشكل كبير بسبب عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية. بعد احتلال ١٩٦٧، واجه العمال الفلسطينيون صعوبات عديدة. فرضت السلطات الإسرائيلية قيودًا على الحركة مما صعّب عليهم الوصول إلى

[٢٦٤] نبيل الجولاني، قصائد عن حب يتجدد، ص ٤٨-٤٩.

أماكن العمل، خصوصًا في إسرائيل. زادت البطالة نتيجة فقدان الوظائف في الزراعة والصناعة، حيث كانت الكثير من الشركات تعتمد على العمالة المحلية. خلال هذه الفترة، نظمت احتجاجات للمطالبة بحقوق العمال، لكن كان هناك محاولات لقمع هذه الاحتجاجات.

قضية العمال والأدباء تعكس تداخلات معقدة بين الطبقات الاجتماعية والثقافية. الأدباء غالبًا ما يسعون لتسليط الضوء على قضايا العمال وتجاربهم مما يساعد على رفع الوعي الاجتماعي حول حقوقهم ومشاكلهم. في السياقات التاريخية المختلفة، نجد أن الأدب أصبح وسيلة للتعبير عن معاناة العمال، وكشف الظلم الاجتماعي.

الصراع والتحدي

يتميز الشعر الفلسطيني والعراقي بتعبيره القوي عن الصمود والإرادة والثورة ضد الاحتلال الإسرائيلي مما يعكس الحماسة والإصرار على الحرية. يُظهر الشعراء معاناة الفلسطينيين بأسلوب عاطفي ومؤثر ويبرز قوة الإرادة والصمود في مواجهة الصعوبات. هؤلاء الشعراء يصبحون مصدر إلهام للمجتمع والجماهير المتضامنة مع قضيتهم.

في الشعر العراقي، يُعبر الشعراء عن الصراعات والتحديات التي يواجهها الشعب نتيجة الحروب المستمرة والظروف الاقتصادية الصعبة والانتهاكات السياسية. يروون قصص الصمود والبطولة أمام هذه الظروف القاسية، ويعبرون عن الأمل في التغيير والحرية بأسلوب مؤثر وملهم. يبرز الشعراء تجارب الشعب ومعاناته بشكل فريد، مع التركيز على القيم الإنسانية العميقة وروح المقاومة. يناقشون أيضًا الجوانب الثقافية والاجتماعية للحياة في العراق، ويظهرون روح الوحدة والتضامن في مواجهة التحديات.

يعتبر الشاعر الفلسطيني محمود درويش أن الشعر سلاح حاد في صراعه ضد الاحتلال الإسرائيلي، حيث يرى أن التفاؤل التاريخي يمكن أن يكون وسيلة للنصر في معركته. يعتقد درويش بأن الشعراء عندما يكتبون من أرضهم، يواجهون الظروف القاسية ويعبرون عن تجربتهم الوطنية. وفي قصائده، يحاول درويش لينقل رسالة الصمود والإصرار على البقاء والقتال ضد الظلم بأسلوب شاعري مؤثر.

يرى محمود درويش دور الشاعر والكلمة كمفتاح حاسم في تحفيز الشعب وتعزيز إرادتهم لمواجهة التحديات الكبرى. يتحمل مسؤولية تاريخية من خلال منح صوت للوطن وترجمة مشاعره إلى كلمات تعبر عن الأمل والصمود ويحث الناس على النضال والتحرك نحو الحرية والكرامة، ويعزز الوعي بأهمية الثقافة والهوية الوطنية في مقاومة الظلم والاحتلال. تركيزه على هذه القضايا يجعله لا يبرز المعاناة فحسب، بل يظهر الطريق أيضًا على القوة والصمود التي تنبع من الإرادة الشعبية في مواجهة التحديات التي تهدد حقوقهم وكرامتهم. فيقول:

"كل الروايــة فـي دمــي مفاصلـها
تفضــل الحـقد كبريتنا على شفتــي
أطعمــت للروح أبياتـي وزخــرفها
إن لم تكـن كسيـوف النـار قافيـتــي
آمنت بالحروف لا لا يصيـــر إلــى
كنت الرمـــاد أنا أو كــان طاغيتــي
فإن ســقطت وكـفـي رافـــع علمــي
سيـكتب الناس فوق القبر: لـم يمت"[٢٦٥]

[٢٦٥] ديوان محمود درويش، الطبعة الحادية العشر، بيروت١٩٨٤، دار العودة، ص ٩.

في شعر النجفي العراقي، يتحدى الشاعر القيود التي تفرضها الاحتلال أو السلطات. يؤكد أن الأسوار والجدران لا يمكن أن تقيد الفكر، لأن التفكير كائن حر يعيش في الفضاء ويبني عوالمه الخيالية بلا حدود. يصف النجفي الفكر بأنه 'جذلان مستقل' يخلق عوالم متفردة وأسمى، تتجلى فيها قيم الإبداع والتفكير الحر.

يقارن الشاعر أحمد الصافي النجفي بين السجون التي تقيد الجسم وحرية الفكر التي لا تعرف حدودًا. يبين أن الأشخاص الذين يمتلكون فكرًا مفتوحًا بهذه الطريقة لن تؤثر عليهم القيود الجسدية. ويحمل في شعره رسالة عميقة عن الحرية الداخلية وقدرة التفكير بحرية حتى في ظل القيود الظاهرة. بهذا، يصبح شعره رمزًا للصمود والتحدي أمام الظلم والاضطهاد، حيث تظل الحياة مشقة لمن يقيّد عقله، يقول:

"غير أنـي وإن سجنت ففكـري سائح فـي الوجـود والنفـس جذلـي
إن بفتنـــي كون فلي من خيالـي ألف كون يســمو على الكون فضلا
لا تضيق السجـون بالفكر رحبا والفضـا ضيـق بمـن ضـــاق عقـلا"[٢٦٦]

الأخوة والصداقة

الأخوة تمثل إحدى أهم الروابط التي تربط بين شعبي فلسطين والعراق، ويعبر الشعراء عن هذه الأخوة والصداقة بأساليب متعددة من خلال قصائدهم. يسلطون الضوء على المشاعر الإنسانية المشتركة، والروابط التاريخية العميقة، والتواصل الثقافي بين الشعوب. أن هذين أمرين هما الطريقة الوحيدة للشعب لمعارضة التحديات التي يواجهها، ولتبجيل روح الصداقة والتلاحم بين أفراد المجتمع. الشعراء يصفون هذه العلاقات بلغة تأثر عن أعماق القلوب وتدفق المشاعر والأحاسيس، فجعل قصائدهم محملة بالمودة والمحبة والترابط كشاعر فلسطيني كمال غنيم .قد وصف معاني الأخوة

[٢٦٦] أحمد الصافي النجفي، حصاد السجن، ص ٤٥.

بكلمات مؤثرة وعميقة معبرا عن التوحد القوي بين الناس وأهمية بناء جسور الصحبة والتعاون لمواجهة التحديات المشتركة، يقول الشاعر كمال غنيم:

" وجع يشد على القلوب فتصرخ
آخ... وهل آخ...سوى
نبض الأخوة يستجيب
لصرخة تدمي القلوب
وتشرخ؟"[٢٦٧]

تصف هذه السطور بشكل عميق جوانب الأخوة والإنسانية تتناول الرابط الروحي والعاطفي بين الأخوة في اللحظات الصعبة. يستخدم الشاعر كلمة 'آخ' كنداء استغاثة ليظهر كيف يجد الإنسان في أخيه دعمًا وحماية تخفف عنه آلامه. وتبرز الأبيات أيضا كيف يكون الأخ ملاذًا آمنًا وناصرًا في كل الظروف وتوضح الروح الإنسانية النبيلة التي تجعل الأخوة ركيزة قوية للتلاحم. الشاعر العراقي الكبير مظفر النواب يجسد مفهوم الأخوة والصداقة في سجون العراق معبرًا عن عمق الروابط الإنسانية في أحلك الأوقات.

"في جدران الزنزانة وقف الصمود
وبين الأسوار تنبت الخوة كالورود
نتقاسم الألم ونواسي بعضنا البعض
في هذه السجون نرتقي بالمل والعزم
فنحن إخوة في الظلم والجهل
نحارب القيود بقوة المل

[٢٦٧] كمال أحمد غنيم، جرح لا تغسله الدموع ، ص ١٧٨.

ونبني الصداقة على اساس الصدق والوفاء"[٢٦٨].

في السجون العراقية تتجسد قصة الأخوة والصداقة بكل مجدها.

الوفاء

يعبر الشعراء السجناء عن الوفاء بشكل عميق ومؤثر من خلال قصائدهم. يجسدون الانتماء والولاء للوطن وللقضايا العادلة التي يقاومون من أجلها. في أشعارهم، يصفون الوفاء للأرض والشعب ويبرزون المبادئ التي يؤمنون بها بأسلوب شاعري يلامس القلوب والعقول. عبر قصائدهم، يعرضون تضحياتهم ونضالهم وإصرارهم على الثبات رغم المحن والصعوبات. وينقلون رسالة قوية عن الإرادة والصمود، ويؤكدون تمسكهم بالقيم والمبادئ حتى في أصعب الظروف كما يعبرون عن وفائهم العميق للزملاء والأحباب الذين يشاركونهم المقاومة. هذا يمثل رمزًا للتضامن والتلاحم في مواجهة التحديات الجماعية.

يمثل الشعراء السجناء أبطالًا شعريين ينقلون تجاربهم ومعاناتهم بأسلوب شجاع وملهم. من خلال قصائدهم، يرون العالم بعيون من خلف القضبان ويعبرون عن رؤيتهم للعدالة والحرية، مما يجعلهم مصدر إلهام للمجتمعات التي تؤمن بالقضايا التي يناضلون من أجلها. بتعبيرهم عن الشجاعة والإيمان بالقضايا الإنسانية والمبادئ الأخلاقية، يحاولون في نشر الوعي والتوعية بالقضايا الاجتماعية والسياسية. يظلون قوة محركة للتغيير والتحول الإيجابي في المجتمعات مع تعزيزهم الصراع من أجل الحرية والكرامة بكلماتهم وأفكارهم العميقة. فيمكن اعتبار الشعراء السجناء ليسوا فقط كفنانين، بل كمقاتلين بالكلمة، يجسدون التحدي والصمود، ويساهمون في تحريك النقاشات وإيجاد الحلول والتغييرات الاجتماعية اللازمة.

[٢٦٨] مؤمن المحمدي، الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب، ص ٨٩.

فلا ننكر أن الوفاء من أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها أبناء المجتمع. فقد كان الفلسطيني وما زال وفياً ومخلصاً لأبناء وطنه، ولأرضه وموطنه وقضيته. شارك أبناء مجتمعهم في الحث على الوفاء، وكانوا يعتبرون أن من يحمل على نفسه عهداً فهو ملزم بالوفاء به، ويجب أن يصدق في وعده وعهده، يقول الشاعر ربي محمود:

" والعهد دين
نحن نسد الديون
نحن نرد العهود
تصدق منا الوعود"[٢٦٩]

يعبر الشعراء السجناء في العراق عن الوفاء من خلال شعرهم بتجسيد الأرض والوطن والثوابت الثقافية، ومتابعة القضايا الإنسانية والوطنية، وإظهار الولاء للأحباء والزملاء الذين يشاركونهم نضالهم وصمودهم. أن الشاعر العراقي مظفر النواب تعبر عن قيمة الوفاء في شعر السجون العراقية:

"في جدران السجن أرى بصمات الوفاء
ترتسم على وجوه الإخاء
في قلب العتمة تشتغل شموع الصداقة
وفاء للوطن وللأحبة المفقدين
فنحن شموخ الأمة في صمودنا
وبالوفاء للأرض نرتقي ونعلن الفداء"[٢٧٠]

[٢٦٩] ربي محمود، نقوش على ثوب أمي، عناة للطباعة والنشر، رام الله – فلسطين، ط١، ٢٠٠٤م، ص ٧٤.
[٢٧٠] مؤمن المحمدي، الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب، ص ١٣٣.

الصمود والمقاومة:

الشعب الفلسطيني خلال تاريخه المليء بالنضالات قد أبان أروع ملاحم البطولة والفداء. صمد وتشبث بأرضه كالزيتون، ظل شامخاً كالنخيل رغم الحروب المتتالية والنكبات. تحدى القمع والاضطهاد والظلم الذي ألم به، وتحمل الخسائر بالشهداء والجرحى، وبالحصار وسياسة الإبعاد والتهجير. فرسانه انطلقوا ليصولوا ويجولوا هنا وهناك، يزرعون الكمائن للأعداء، ويتربصون بالجنود الطغاة، يقتلونهم أو يأسرونهم، يرهفون آلامهم وأحزانهم بقصائد التى وُلِدَتْ خلف السجون والقضبان، قصائد تخصص لأبطال عشقوا تراب الوطن الغالي، وضحوا بأعز ما يملكون من أجل تطهير مقدساتهم من دنس الاحتلال. كلمات تظهر منها قوة لا تقهر وإرادة مندفعة لا تُثنى.

كانت هذه القصائد الوقود الذي أذكى روح المقاومة وأشعلها في الشارع الفلسطيني إبان الانتفاضة، لذلك جاءت عباراتها أعمق وأقوى من ذي قبل، فمساحة الجرح صارت أكبر آلآم لم تعد تطاق، وقد آن الأوان للتحدي والمواجهة المصيرية، والنماذج في هذا الباب أكثر من أن تحصى أو تعد، نذكر على سبيل المثال قصيدة 'المواجهة' للشاعر 'نبيل الجولاني' التي يدعو فيها لمواجهة الأعداء بكل قوة وعزيمة:

"دق السماء
والأرض
كالأنهار الجارفة
هـذا زمــان نــداء الدماء
فلا تصــالح وراقص الكـفاح
في سـلسلة الأحجــار القاصفة
واجـــه بصدرك

فاللقاء أسطوري

بين مـــدار الأرض والوردة النـــازفة"[٢٧١]

ويصرخ الشاعر 'المتوكل طه' من داخل زنزانته في معتقل 'أنصار ٣' في قلب صحراء النقب في وجه المحتل قائلا:

"واعلم أيها المحتل

إن فقهت شراييني

وصار البحر أحمر من دمي المسفوح

أو أنزلت نار الله فوق رؤوسنا

وامتد البطش والتنكيل

أو أغرقتنا بالغار

أو هدمت قريتنا

وإن أبعدت كل الناس

لن تنهى انتفاضتنا

بغير رحيلك الكلى

عند شروق دولتنا "[٢٧٢]

لن تثني ممارسات العدو هذا الشعب عن عزيمته في مواصلة الكفاح والنضال من أجل إعلاء كلمة الحق ورايتها حتى لو أريقت دماؤه تجري كالأنهار والبحار، حتى لو أنزل المحتل غضبه وثار في الأرض يعيثها فسادا، يبطش وينكل بكل الوسائل المتاحة لديه من رصاص وغاز وقنابل، لن تهدأ ثورة الأحرار إلا برحيل الغاضب وتطهير الأرض من دنسه.

[٢٧١] نبيل الجولاني: قصائد عن حب يتجدد، ط ١، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، ١٩٩٠، ص ٨٧.
[٢٧٢] المتوكل طه، فضاء الأغنيات، ط ١، دار الكاتب، القدس ١٩٨٩م، ص ٦٥.

الشاعر السجين صامد داخل سجنه، راسخ في عرينه كالأسد، شامخ بعزته وعنفوانه، لا يخيفه الجوع أو القهر أو التعذيب. لا يقبل بديلاً عن تلال بلاده وزيتها وزيتونها، فهي أغلى لديه من كنوز الدنيا. حتى لو تغيرت معالمها وأسماؤها ستظل فلسطينية الهوية بمائها وزرعها وعصافيرها التي تحلق وتحكي أغاني المقاومة والنضال. يمكننا أن نقول إن السجين كالنسر الذي يتربص بالعدو حتى ينقض عليه وحتى لو قُتل فلن يموت، لأنه شهيد عند الله تعالى، وسيقاوم بروحه حتى يتحقق النصر الأكيد، يقول عبد الناصر صالح:

"اقتلوني
لســت أرض عن تــلال اللوز
والزيــتون والتيــن استعاضة
واسلبــوا أرضـــي إذا شـــئتم
فللأرض نــسيم الجبل الشامخ
مـــاء النهر
أســـراب العصافيـــر
وللنســر إذا ما أزف الصبح انتفاضة
فاقتـــلوا النســر
وعيــثوا في روابينا فسادا
لن تمــروا
جـــسدي العاشق للثورة جسر
وأنا العاصـــي على القتل
ولحـــمي يا عدو الشمس، مر
وعلى جبـــهتي السمراء يسترسل فجر"[٢٧٣]

[٢٧٣] عبد الناصر صالح، المجد ينحني أمامكم، ط ١، ص ١٠٩- ١١٠. ١٩٨٩م.

الشاعر صاغ من جسده جسرًا يعبر به عن إرادة الثورة وينقلها من ظلمات اليأس إلى نور الحرية مع قيود نحو حيث يشرق النصر كالفجر. تتوحد القصائد في السجون لتعبر عن هدف واحد ومبدأ واحد، حيث يقول عبد الناصر صالح: 'اقتُلوني' فيرد الشاعر خضر محجر: 'قاتل' داعيًا للقتال حتى وإن كان منفردًا لتحقيق الأحلام بيده دون انتظار مساعدة من أحد. يحث على مواصلة النضال والقتال مهما اشتدت الظروف أو طالت الليالي، فالنصر سيظهر كالبدر المنير. يصف فلسطين كعروس مهرها قهر النفوس ووطنًا يتعرض للقتل اليومي من كل جهة. وإذا شعرت بالعطش فتروي نفسك من دماء المعتدين واصمد وتحمل جراحك، فإن الراية ستظل ترفرف رغم مكائد الأعداء المتحاقدين، يقول الشاعر حضر محجز:

"قاتل فإن عز النصير
لنحقق الحلم الكبير
فالقتل في الأوغاد قربي للإله بلا نكير
والنصر يبزغ من ثناياه الليل كالفجر المنير
هيا تقدم لا تردد يثنيك أو نذير
فلقد علمت بأن عدنا أزلفت نعم المصير
لا تلتفت خلفا فإن بلادنا تبغي الكثير
فإذا عطشت فمن دعاء المعتدين لك النمير
واكتم صراخ الجرح دوما واجرع الصبر المرير
فالصبر عقباه الوصول برغم آلام المسير
إني أرى علم البلاد مرفرفا يزجي النفير"[٢٧٤].

[٢٧٤] خضر محجز، الانفجار، ط١، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، ١٩٩٢م، ص ٥٩.

ومن المهم أن نلاحظ ديوان 'المجد ينحني أمامكم'[٢٧٥] يعتبر مجسدًا للعاطفة الصادقة والإرادة القوية التي لا تنكسر. قصائده تنبع من روح ثائرة وعزم لا يُهزم. هو شاعر متمرد عاش تجارب السجن قبل الانتفاضة. أُسر في عام ١٩٧٦ في سجن طولكرم[٢٧٦] وخرج بعد ستة أشهر. ثم اعتُقل مرة أخرى في عام ١٩٧٧ بسبب نشاطه الثوري. رغم ذلك، جعله شغفه لوطنه واستعداده للتضحية يشارك في الكفاح والنضال مع إخوته خلال الانتفاضة. على الرغم من اعتقاله من قِبل الاحتلال، لم تُثنِ عزيمته. بل زاد إصراره على المقاومة. اتخذ القلم سلاحًا استخدمه ببراعة. كتب قصائده الحارقة والمؤثرة رغم القيود والظروف الصعبة التي عاشها في السجن، بما في ذلك التعذيب والإهانات اليومية والتهديدات من السجانين.

كان يثق بقضيته وبمسارها نحو استعادة الحرية وزوال الاحتلال، مهما طال الزمن أو اشتدت التحديات. ديوانه ينبض بروح الصمود والتصدي ضد الظلم. لم يكتفِ بمجرد التعبير عن مشاعره، بل دعا إلى الصراع والمقاومة بكل قوة وعزم. كان يؤكد بأن النصر النهائي سيأتي وسيكون لفلسطين وشعبها:

"قد أقتـــــل
قد أودع في الــسجن لآخر يوم من عمــري
مصـــــلوبا ومكــبل
قد يصـــدر أمر أرغم فيه لأن أرحل
لكنــي بمعاهدة الإذعان المزعــزمة لن أقبل
لن أرضى أن أتحــول
لن أرضى أن أصــبح ميتا في مقبــرة العــار

[٢٧٥] للشاعر فلسطيني عبد الناصر صالح.
[٢٧٦] طولكرم هي مدينة فلسطينية وعاصمة مركز محافظة طولكرم تقع في شمال غرب الضفة الغربية.

حـــتى لو وضعـوا في كـفي قيـــودا من نار
فالفجر سيرفـــع أصـوات المضـــطهدين
وسيبني أحـــلام المـــدفونيـن
بظـــلم الجـــزار"[٢٧٧]

قصيدة 'ميض الفجر' للشاعر سليم الزريعي[٢٧٨] تبرز الصمود والقوة النفسية للأسير في مواجهة الصهيونية. يظهر الشاعر كيف أن السجين يتحمل حقد العدو الصهيوني يوميًا. لم يهزمه البعد أو القهر أو التعذيب النفسي والجسدي، بل ازداد قوة وصلابة. يصور الشاعر الأسير كرمز وطني، يستمر في النضال والصمود رغم مرور عشرين سنة على اعتقاله. يُعلن الشاعر عن هذا الصمود بوصفه نموذجًا للقوة الروحية والعزيمة. يتحدث عن كيفية تحوله إلى قدوة لشعبه في مواجهة الظروف المخيفة والاضطهاد. يعكس هذا التصوير الإرادة القوية للأسير. رغم كل التحديات والمعاناة استطاع أن يحافظ على هويته ومبادئه. أصبح رمزًا حيًا للصمود والنضال من أجل حريته وحرية شعبه، يقول:

"عشرون عاما لـم أزل — أمضي إلـى حيث الأمـل
أكبو وأنهض في عجل — متـرسـما خـطـــو الأول
هـذا دليلـي فـي العمـل — هـذى وصايا مـن رحـل
وعهود عشق في المقل — للأرض للشعـب البطـــل
فعـذاب عقديـن اكتمـل — والرأس بالشيب اشتعـل
مـاراعنـي دنـو الجـل — ولا استبـد بـي الوجـــل
فوميض فجري قد أطل — فـي كـف طفـل يرتجـــل
سبـل الجـهـاد المتصـل — ليعيـد لحمـة ما انفصـــل"[٢٧٩]

[٢٧٧] عبد الناصر صالح، المجد ينحني أمامكم، ص ١٦٥-١٦٦.
[٢٧٨] هو شاعر فلسطيني، ولد في سنة ١٩٤٤م.
[٢٧٩] . فايز أبو شمالة، رياحين بين مفاصل الصخر، ص ٣٠، ٢٠٠١.

قصائد الأسرى تعكس بوضوح الغضب ورفض الذل والهوان. تصدر هذه القصائد من تجربة السجين الصعبة والمؤلمة. يعبر الأسرى عن حالة الغضب والاستياء من الاحتلال والظروف القاسية التي يعيشونها. يستخدمون قوة الكلمة والشعر لنقل رسالة التحدي والصمود إلى شعبهم. يدعون شعبهم إلى الثورة والمقاومة بفضل قدرتهم على التعبير العميق عن الظلم والإهانة، ويصبح الشعر وسيلة فعالة لتحريك الناس وإيقاظ الوعي الوطني وتعزيز روح المقاومة. هذه الأبيات ليست مجرد كلمات، بل هي أدوات لتحقيق التغيير والمطالبة بالحرية والكرامة. طبعا، يكون الأسرى نموذجًا للإرادة والصمود. يعبرون عن رغبتهم وأملهم في أن ينتقل هذا الغضب والرفض إلى شعبهم، ليتحدوا معًا ويتصدوا ضد الظلم والاحتلال بكل قوة وعزيمة.

الشوق والحنين للأبناء

الشوق والحنين للأبناء في السجن موضوع عاطفي عميق. يشعر الأسرى بفراغ كبير وألم لفقدان لحظات الحياة اليومية مع أبنائهم. كل ذكرى مع الأبناء تُذكّرهم بالحب الذي يفتقدونه، مما يزيد من معاناتهم. عانى الأسرى داخل المعتقلات من البعد والحرمان تاركين أثرًا عميقًا على حياتهم. جرعوا هموم الفراق ليالٍ طويلة لا تنتهي. احترقوا بنار الشوق حتى كادوا يذوبون من شدة القهر والحزن. جلسوا في زنازينهم محاطين بجدران باهتة بلا أنيس يبدد وحشة السجن وبلا جليس يتسامر معهم. يدغدغ قلوبهم بشوق الأبوة ويرونهم يناجون أخيلةً لا تُرى بالعين ويستحضرون ذكريات الماضي بألم وحرقة. يفجر الشوق ينابيع القصائد التي تولد منها مشاعر الحب والعشق والحنين.

في هذا الإطار، يحلم الشاعر المتوكل طه بأنه يلمس شعر ابنه نوار الذي وُلِدَ أثناء وجوده في السجن. ويصور بسطوره مدى شوقه العميق لرؤية ابنه. تنعكس تلك المشاعر في كلماته التي تنبعث منها الأمل والحنين.

يعبر الشاعر عن الجوانب الإنسانية والعواطف العميقة للأسرى، وكيف أنهم يستخدمون الشعر كوسيلة للتعبير عن مشاعرهم وأمانيهم بنقل رسالتهم إلى العالم الخارجي بكل ما يمرون به داخل السجون، يقول:

"وأقول ماذا أقول؟
وقد حرمت بــأن أســمد شعر نــوار
التي وصــفته لي امرأتي بمكـــتوب
لأنـــي لم أر نـــوار
فالقضــبان والمنــفى وهذا الرحــل
والأبــراج و'الشيك' الطويل المحكم المجدول
يمنعـــــــني
فكيف يــكون صــوت الوالد المحــروم
من أبنائه الأطفـــال
لم يسمع لهم صوتا
ولايــعرف لهم شكلا
يحــاول أن يشــبههم
فيرفض الخيــال
يتوه في العينــين والشفتــين"[٢٨٠]

الأسى والحزن يتعاظم بوضوح في سطور القصيدة، حيث يصور الشاعر الحالة العاطفية الصعبة التي يمر بها، وهو يعرف شكل طفله الصغير ويحاول عبثاً أن يتصوّر شكل أبنائه الآخرين، ولكن لا يسعفه الخيال في ذلك. يظل أسيرًا لخيالاته

[٢٨٠] اللمتوكل طه، فضاء الأغنيات، ص ١٠٧-١٠٨.

وأحلامه وهواجسه، حتى يتجلى الصوت الوجداني في داخله، وتدوي الآهات في جدران سجنه عندما يحترق شوقًا لمعرفة أخبار أبنائه. القصيدة تنقل بشكل مؤثر الحنين والشوق العميق الذي يعتري الشاعر تجاه أبنائه، وتوضح كيف أن السجن لا يحجب الحرية الجسدية فقط، بل أيضًا يعترض على الروابط العاطفية والأسرية.

والشاعر 'فايز أبو شمالة' يواجه تحدياً عميقاً فيما يتعلق بصورة ابنته 'ميساء'، يتساءل أين يضع صورتها ليحميها من الأنظار الخارجية، يعبر عن القلق النفسي والاهتمام بسلامة ابنته محاولا أن يجد مكاناً آمناً لصورتها. يرمز هذا التساؤل إلى الرغبة العميقة في حماية البراءة والطفولة من التأثيرات السلبية والخارجية، يقول الشاعر:

"ميساء،

قد حطت على كتفي عصافير الحنين

وأنا أحدق في الجدار،

فاين ألصق صورتك..؟

أعند هذا الركن يمكن...؟

عند طرف الباب...؟

ربما في مرقد الضوء الضنين

أو في مجال العين يا ميساء

قد مرت مني الأيام

فاــض بي الغياب

وســمعت همسك ناعما كالأرجوان

إشارة من إصبعــك

لا تشــج قلبك يا أبي

سيضمنا أفق النساء"[٢٨١]

ولكن الاحتلال البغيض بسجانيه يسرق لحظات الفرح والأنس التي يعيشها الأسير مع صورة ابنته، ليحرمه من هذه اللحظات الثمينة ويغمره في بحر الحزن والبؤس، يقول:

" مع زأرة للريح
يداك أوراق الشتاء،
تهتز في الصورة، يرتج الجدار
رنين صوتك قد خفت
حاولت يا ميــساء، أخطف صورتك
أمام عيــني قد هوت
فبكيت من شغــفي ومن لهفي، أحاول
إنما كالبرق نسمتك اختفت"[٢٨٢]

عاطفة الأبوة لا تضاهى، خاصة إذا كان الأب سجينًا، هو محرم من رؤية أبنائه إلا في الزيارات النادرة التي يمنحها السجان وراء الشبك، يرى الشاعر الدكتور الشهيد إبراهيم ابنته فاطمة. تمر السرور على قلبه وتخفف من عذابه. ينتظر الشاعر هذه اللحظات بشوق شديد. يتوق لسماع صوتها الذي يبدد وحدته. يحول صوتها إلى عالم من العصافير والأزهار. يحاول كل منهما أن يخفف عن الآخر. يتبادلان قصصًا بريئة ومحبة خلف الشبكة، تستمر فاطمة في الحديث حتى ينتهي الوقت. يعلن السجان عن نهاية الزيارة. ترحل فاطمة، تاركة قلب أبيها يشتاق إليها. لكنه يجد عزاءه في أن الحق سينتصر في النهاية، وأن الفجر سيأتي مهما استمرت الظلمة، يقول الشاعر الشهيد إبراهيم:

[٢٨١] فايز أبو شمالة: سيضمنا أفق السناء، ص ١٣-١٤.
[٢٨٢] فايز أبو شمالة، سيضمنا أفق السناء، ص ١٦.

"على الشبك، أواجـــه صوتها الرنان

يهتف صائحا أبتـــي

فيعزف أعذب الألـــحان

وتقفز كالعصـــفورة انحـــطت على شـرك

على الشبـــك

وتنفض كلمـــا حـــملت

من الأشـــواق فاطـــمة وما فـــتنت

تداعـــب قلبي المـــربوط بالشـــبك

بأخـــبار الصغـــار، تصـيح تفتخر

بأخوتـــها وقد كبـــروا

وأعمـــام أحاطوها عنـــايتهم وما ضجروا

أفاطـــم يا ربيـــع القلب يـــزدهر

ويامن تحسب الأيام تنتظر

زيارة والـــد في السجـــن مرتـــهن

عهدا يظـــل جهـــادنا أبـــدا

حتى تعود لوجـــهك البسمـــات تـنتشر

على الشبـــك

مدت أصابـــعها والقلـــب يرتجف

لكي تمس أصابعـــي والدمع ينذرف"[٢٨٣]

[٢٨٣] ديوان إبراهيم المقادمة، لا تشرقوا الشمس، ص ١٣-١٤.

قال الدكتور يوسف الكحلوت[٢٨٤] تعليقاً على القصيدة: "نقل الشاعر الحالة النفسية التي يعانيها السجين وأهله من خلال ابنته فاطمة التي جاءت لزيارته، فطول البعد وغربة السجن يولدان شوقاً دائماً وحنيناً مستمراً، تضطرم ناره وتشتد أواره في لحظة اللقاء على الشبكة. إلا أن هذه الحالة العاطفية لم تورث يأساً ولا ضجراً، بل أينعت عزماً أكيداً وإصراراً عنيداً على مواصلة درب الجهاد، وإشعال نار الثورة من جديد."[٢٨٥] يوسف الكحلوت يشير إلى أن الشاعر نقل ببراعة الصورة النفسية للسجين وعائلته، وخاصة ابنته فاطمة التي تأتي لزيارته، حيث يتجلى الشوق والحنين الدائمين بسبب طول البعد وغربة السجن.

الشوق والحنين للأبناء في السجن يمثلان مشاعر عميقة ومعقدة. يعاني الأسرى من الفراق، حيث يحرمون من رؤية أطفالهم وتبادل اللحظات اليومية معهم. كل زيارة تصبح فرصة ثمينة، ولكنها تحمل في طياتها الألم بسبب الفراق. الأسرى يشعرون بأنهم محاصرون بين الجدران بينما تتوق قلوبهم لرؤية وجوه أبنائهم وسماع أصواتهم. تظل ذكريات الأوقات الجميلة مع الأبناء تعزز مشاعر الشوق، مما يجعل كل لحظة تمر في السجن أشد وطأة.

الحنين إلى الوطن

على الرغم من أن السجن يمثل الفقر والبؤس، يظل الوطن حاضرًا في الذاكرة وينبض في القلب الحنين إلى الوطن في ظل السجن هو شعور قوي ومعقد. يعيش الأسرى تجربة الفراق المؤلمة، حيث يتوقون لرؤية أماكنهم المألوفة وأحبابهم. تشدهم ذكريات الطفولة والذكريات الجميلة إلى الوطن، مما يزيد من معاناتهم داخل الجدران.

[٢٨٤] يوسف الكحلوت أبو أسامة، أديب فلسطيني ،هو شخصية بارزة في الأدب الفلسطيني (1961-2024)

[٢٨٥] محمد علوان وآخرون، شعر الشهيد الدكتور ابراهيم المقادمة (مقاربات نقدية) ، (د. ت.ط)، منتدى أمجاد الثقافي مكتبة آفاق، ص ١٤٣.

هذا الحنين يتجلى في كلماتهم وأشعارهم، حيث يعبرون عن عشقهم لأرضهم وولعهم بترابها. يجدون السلامة في استحضار صور الوطن، سواء كانت مناظر طبيعية أو لحظات مع العائلة والأصدقاء.

لقد هام شعراؤنا داخل الأسر بأرضهم، فرددوا قصائد ستبقى خالدة. ستكون هذه القصائد مصباحًا يشهد على عمق الحب الذي يتغلغل في أعماقهم. يعيشون مع هذا الحب لحظة بلحظة، يحنون لموطن الصبا والذكريات الجميلة، للسهول والوديان، ويميلون لكل ما تحمله أرضهم من روعة وجمال. من بين هذه القصائد، قصيدة 'كم أحبك' للشاعر هشام عبد الرزاق، تبرز وجدانية الشوق والعشق للوطن، وتعكس عن ارتباط عميق يمتد إلى أبعد الحدود بين الشاعر وأرضه وذكرياتها الجميلة، يقول الشاعر:

"يا من إليك بالروح أتوق
أرنو إليك وفي القلب حنين
مهبط الرأس كم أنت عزيز
فعلى ثراك قد وجدت جنينا
أو ليس عنك كتبوا كثيرا
أمراء الشعر في كل زمان
نظموا إليك بكل القوافي
وحكوا عنك نثرا معاني
كم أحبك... كم أحبك
في أكواخك عشت صباي
ومن مياهك شربت الأمل

في عينيك رأيت الغدا

وعلى شفتيك ترتسم الحياة

كم أحبك...كم أحبك"[٢٨٦]

فالوطن هو التحام الإنسان بالوجود، وهو الحب العميق المكنون في القلب الذي يجسد العطاء الذي لا ينضب. إنه القوة التي تمكّن الإنسان من التضحية بكل شيء، والتي تزوده بالعزيمة والقدرة الصلبة لمواجهة العدو بلا خوف أو تراجع. يُهون الوطن على الإنسان العذاب والسجن وحتى الموت، لأنه المورد الذي يمنحه الصمود والإرادة الحقيقية. يقول الشاعر كمال عبد النبي من خلال قصيدته:

"حبك في القلب تململ

وآلام الوجد الكاوي

لأجلك يا وطني نتحمل

إن متنا في ظلم السجن

نفسع في رحم الأم

جنينا ينمو يتشكلو

إن حرقوا الأقصى يا ولي

فقوموا بسحق الأجناس

وتدمير الهيكل

هذا عشق في الروح في نفس الثائر يعظم"[٢٨٧]

حب الوطن هو المرساة الخفية التي تربط الأسير بأرضه، فهو يشعر بحنين عميق نحو الأرض التي وُلِد فيها، ونشأ في ربوعها، ولعب في جنانها، ومشى على ترابها، إنها

[٢٨٦] هشام عبد الرازق، الجراح، ط١ ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة وقطاع غزة، ١٩٩٠م، ص ١٨.
[٢٨٧] قصيدة للشاعر "كمال عبد النبي" ، ابداع نفحة، ص ٤١.

البقعة التي يجد فيها كرامته وأمانه وعزته حيث يرى حاضره ويتطلع إلى مستقبله من خلالها، فلا بديل لها ولا مثيل. رغم الجدران والأسلاك الشائكة وحضور السجان والقهر، يعيش الأسير في وطنه مع كل تفاصيله، يشم عبق بذورها وزهورها وزعترها ونرجسها وليمونها وفلها، ويتمسك برائحتها حتى في أصعب الظروف، لأن ذكرياتها وروحها لا تفارق خياله. هذا ما يبرزه الشاعر رائد صلاح في قصيدته 'أشم شذاك يا بلدي':

"أشم شذاك يـا بلــدي وريـح الأرض والبحـــر
وريح الشمس والحـــارات والطرقـات والغـــور
وريح الكرمل الباكي عـلـى الأحباب مذ دهـــر
برغـم الســور والأســلاك والسجـان والقهـــر
أشــم روائـح الـوادي وريـــح العشـب والزهـــر
وريـح التراب والمحـــراث والحـراث والبـــذر
وريح الزعتر الشافي تـطاول من على الصخـــر
وريح النرجـس الزاكـــي يعطـر نسمــة الفجـــر
وريح البــان ولبخـــروب والبلـوط إذ يســـرى
بمعســول مــن النـــوار يعلـو مع حـدا الطيـر"[٢٨٨]

الأم الحنون

الأم هي مصدر الحنان والرعاية والعطاء الذي لا ينضب، وهي المرشدة إلى طريق الإيمان والهدوء النفسي، نجد الأمان والطمأنينة في حضنها التي تنبت فينا بذور الأمل والسلام. وهي تضيء حياتنا وحنانها يتجسد في صورة إنسان، وتمثل الكوكب المضيء

[٢٨٨] رائد صلاح، زغاريد السجون، ص ٩٥.

بكل سماته. هي بلسم للروح ودواء للقلوب الجريحة كما أنها مدرسة للنضال ومربية للأبطال. تجسد آية الله ومنتهاه في كل زمان ومكان، ومعها تتجلى الدنيا بالجمال وتشرق شمس السعادة.

وصف الشاعر بدقة عمق العاطفة داخل السجن بأسلوبه الشاعري، حيث تدفقت كلماته كشلال من الحب والشوق والحنان. وقد ابتعد عن أمه بالقوة واختُطِفَ من حضنها الدافئ ليُلزم بالعيش وراء القضبان وبين جدران لا تعرف الرحمة. منذ أن كان يتمتع بالدفء والرعاية أُلزمَ بحياة مملوءة بالشقاء والحرمان، وكان عليه أن يدفع ثمنًا غاليًا ليرى أمه ويسمح له بالزيارة.

الأسرى عانوا من معاناة شديدة ونظموا إضرابات لتحسين أوضاعهم وللسماح لهم برؤية أهلهم، تلك اللحظات كانت صعبة للغاية. كان اللقاء بين الأسير وأمه يتم عبر الزجاج الفاصل أو الشبكة، حيث ينظر كل منهما إلى الآخر دون أن يتمكنا من لمس بعضهما البعض أو تبادل القبلات. هذا الفصل يمنعهما من التعبير عما يدور في صدورهم من مشاعر وانفعالات، وتتناثر الدموع كلغة صامتة تحكي عن كثير من الأحاسيس العميقة.

يرى الشاعر كمال غنيم والدته من بعيد وهي خلف الأسلاك، لكنه لا يمكن رؤيتها داخل قاعة المحكمة، ربما لأنها منعت من الحضور للجلسة في السجن. ينقسم قلبه إلى أسى لهذا الموقف ويتألم بشدة، ويناديها بروحه ويلوح لها بيديه، لكنها لا تجيبه:

" أمـــي ناديتـــك يـــا أمي والـلـــك الشائـك يجرحـنـــي
قد كنـت هنـاك علـى لهـف ودمـوع عيونـــك تذبحـنـــي
وفـؤادك يـقـطـر تـحـنـانـا وفـــؤادي يقتلـــه شجنـــــي
أمـــــي نـــاديتـــك محموما ويـــداي تلـوح فـي وهـــن

فالقيد يكبلني قصرا وذئاب حولي تنهشني
ومصيت وقافلة الأسرى وعيونك أمي تتبعني
أمي رحماك فلا تبكي أمي فبكاك يعذبني
ودعي الأحزان لمن ضعفوا غشاهم طيف من وسن
أغدا ستعود جحافلنا وتزغرد أركان الوطن
ونعلم أرجاء الدنيا لا نصر يجيء بلا محن"[٢٨٩]

يرجو الشاعر أمه ألا تبكي، لأن دموعها تحزنه. يدرك قلبه الرقيق وإحساسه المرهف أنهما لا يتحملان رؤيتها تتعذب من أجله، فيسعى بكلماته المؤثرة لطمأنتها ويطلب منها بكل حب أن تترك الأحزان. يعرف أنها الأم الصابرة والقوية، المؤمنة بأن النصر والمعاناة لا يأتيان دون ثمن، ويرغب في أن يبقى قلبها مطمئنًا وهادئًا.

ويناجي أيضا الشيخ رائد صلاح أمه البعيدة ويغازلها بأجمل الكلمات، فهي نور حياته ودمه ونبض فؤاده وروحه وعينه التي يبصر بها الدنيا. يشتاق إليها ولخبزها وكعكها وكل الطعام الذي كانت تعده له من جبن وبرغل وقمح بالسكر. القصيدة جميلة جدًا بكلماتها البسيطة وعاطفتها المتأججة. يوضح الشاعر عمق هذا الحب في قلبه وحاجته الماسة لأمه في هذه اللحظات العصيبة التي يمر بها داخل الأسرة، يقول لها عبر قصيدته:

"ما زلت كطفل في المهد أشتاق لعطفك يا أمي
اشتاق لعطفك يا روحي يا نور حياتي يا دمي
يا نبض فؤادي يا عيني يا دفئا يسري في عظمي
اشتاق لخبزك فواحا وشهي الصورة والطعام

[٢٨٩] كمال غنيم، شروخ في جدار الصمت، ص ١٦٩- ١٧٠.

ولكعكة طابون نقشت بالقزحة في أبهى رسم
ولزيت الزيتون الجاري من بين يديكم في فمي
ولصحن الزعتر يجمعنا في لحظة أكل كالحلم
ولقطعة جبن فاقعة طابت في ليلي أو يومي
ولجرة ماء باردة في ركن البيت كما اليم
ولأكلة برغل قد فاحت بين الجيران بلا اثم
وسليقة قمح قد مزجت بالسكر تسري في لحمي
ولوجبت إفطار طبخت من ضنعك دوما في الصوم"[٢٩٠]

الأم المناضلة تبقى رمزًا للعزة والكفاح، فقد قدمت للوطن أبناءها الأبطال وعلمتهم أن الوطن أغلى من أن يُباع أو يُستباح. دفعت فلذات أكبادها إلى ساحة المعركة ووقفت إلى جانبهم في النضال حتى أصبحت عنوانًا للصبر والشموخ ومكافحة الآلام. كانت قدوة لأبنائها الأسرى داخل المعتقلات واستمدوا منها القوة والإصرار والصمود على مواصلة النضال من أجل حريتهم وكرامتهم. يقول الشاعر فايز أبو شمالة في قصيدته 'الكفاح':

"آه يا أمي ، وأنت الشمس في قلبي وأنفاس الصباح
آه يا زغرودة الأمل المدوي من أخاديد الجراح
رغم طول القمع والتنكيل خاصمت الدموع...اليأس
خاصمت النواح
رغم أوراق الخريف الهائمات
رغم جبن الطعن في وادي الغمام

[٢٩٠] رائد صلاح، زغاريد السجون ، ص ٥١.

ما ضللت الفجر يا أمي، ومن عينيك ما خفت

وميض الانشراح

إنها روح الكفاح"[٢٩١]

يتذكر الشاعر الشهيد الدكتور عبد العزيز الرنتيسي والدته بكل حب وحنان. يشير إلى أنها كانت دائمًا حاضرة في قلبه خاصة عندما كان مريضًا، مما يدل على عمق العلاقة بينهما. يعبر عن لهفتها وقلقها عندما يتعرض لمكروه ويبرز اهتمامها الكبير بصحته وسلامته. ويتحدث عن فرحتها عندما يناديها أو عندما يسبق خطواته خطواتها مع التصوير اللحظات البسيطة والسعيدة التي تجمعهما. يبرز أيضًا دورها المهم في حياته من خلال حبها له وإصرارها على تعليمه مع محاولتها لتمكينه ليحقق إنجازات عظيمة:

"لا تعجبــوا إن كنـت لا أنســاهــا فــهي التي حضنت صباي يداها

وحنت علـي إذا مرضت ولم يذق طــعــم النعـاس لياليــا جفناهــا

وتعــود إن حــل الشفــاء قريــرة بعــد الوجــوم تبسمــت شفتــاهــا

وتطيـر مــن فــرح إذا نـاديتـهــا وكـذاك إن سبقت خطاي خطاها

وتجـود إيثــارا علــى بــزادهــا وإذا ظمئــت تغيثنــي سقيـاهــا

صبرت على الإعواز أعواما وما قبلت ســوى التعليم لـي عقباها

فمـداد محبـرتــي دمــاء فؤادهــا ودفـاتــري أوراقــهــا كـفــاهــا"[٢٩٢]

تكون مشاعر الشوق والحب تجاه الأم قوية جدًا لدى الأدباء، وغالبًا ما يتذكرون تفاصيل صغيرة من حياتهم معها .مثل لحظات الحنان والاهتمام حتى في السجون، حيث تُنزع الحريات وتبقى الأم مثالاً للصمود وتجسد الأمل والتضحيات كما أن الأدباء

[٢٩١] فايز أبو شمالة، سيضمنا أفق السناء، ص ١٢٧-١٢٨.

[٢٩٢] ديوان عبد العزيز الرنتيسي، حديث النفس، ص ٤٠.

غالبًا ما يستمدون الإلهام من تجاربهم مع أمهاتهم مما يؤثر على كتاباتهم ويساهم في تشكيل أفكارهم حول الحرية والعدالة. إن العلاقة بينهم وبين أمهاتهم تظل حيّة.

الابتعاد عن الحبيبة

يشتهر الشعراء في السجون بكتابة حب صادق وعذري، حيث تتطور قصائدهم بالعواطف القوية والمشاعر الطيبة. الحب بالنسبة لهم ليس مجرد شعور عابر، بل هو إحساس جميل ورقيق يلامس القلوب والأنفس، ويجعلها تطير في سماء الواقع، رغم معاناتها من البعد والشوق والحرمان.

الشاعر الكبير 'خضر محجز' يعبر بعمق عن معاناة الأسير الفلسطيني وتأثير فراق الشريكة على قلبه وروحه. يوضح الشاعر الحزن والوحشة التي يشعر بها السجين بعد ابتعاده عن شريكة حياته ويظهر كيف أن غيابها يتركها وحيدة تواجه الصعوبات والتحديات بمفردها. يركز الشاعر على قوة وصمود الشريكة التي تظل تدافع عن عهدها وتقف بجانبه في رحلته الصعبة داخل السجن، مما يجعلها مصدر إلهام وأمل بالنسبة له .

وفي تصوير الشاعر الشريكة كضوء ينير عتمة السجن حيث تضيف الرقة والنعومة إلى حياته. تظل حاضرة في ذاكرته في كل لحظة وتمثل له الأمل الذي يبدد اليأس والنور الذي يضيء زنزانته ويمنحه دفئاً وحناناً. يعبر الشاعر عن شوقه الكبير لرؤيتها ويصف كيف تتحول زنزانته إلى جنة عندما يتخيل لقائهما مجدداً، ينقل الشاعر عمق المشاعر والعواطف التي يعيشها الأسير الفلسطيني في ظل الظروف الصعبة في السجون، ويظهر كيف أن الحب والإيمان بشريكته يمنحانه القوة والصمود أمام كل التحديات:

"يا حبيبي:

من وراء السلك ناديتك

من وراء الشوق ناجيتك

فأنت عني بعيد، بعيد في آخر العالم

وأنت مني قريب، قريب كالضلع من آدم

فكل مكان لست فيه حبيبي

هو آخر العالم،

وكل قلب أنت فيه حبيبي

نابظ حالم"[٢٩٣]

ويعبر المتوكل طه عن حبه لزوجته بقوله:

"وأقول يــا امرأتي التي أهوى

أحبك يا بــتول الروح

يا أم الطفولــة

مثلما أهــوى غموض الضحكة الأولى

وخربشــة البراءة للرضيع

ومثلــما أهوى السلام

لكل أطفــال البلاد

ورقصة الفلاح في الحقل الكبير

وقصة البــنت الفقيرة سندريلا والأمير

حكاية الجدات في الليل المطير

وأقول، ما أشهى مناغاة الصغار!"[٢٩٤]

[٢٩٣] خضر محجر، الانفجار، ص ١٥.

[٢٩٤] المتوكل طه، فضاء الأغنيات، ص ٤٦-٤٧.

يُغازل الشاعر زوجته معبرًا عن مدى شغفه العميق واشتياقه الشديد لها، إذ يستحضر صورة البراءة والطهارة في وصفه لها، تذكّرها له بأيام صباهما وبحكايات الليالي الماطرة حيث يعيشان معًا أجمل الذكريات واللحظات العذبة. حب المرأة تتماهى مع حب الوطن في قصيدة 'لأني أحبك أحاول' للشاعر فايز أبو شمالة يُمثل الأرض والحبيبة كل ما يمتلكه الشاعر. وفي أعمق حياته يصارع العذاب والقيود والسلاسل، ولكن مع حبهما يصبح كل شيء أجمل.

"لأنك أحـــلى النساء وأفق القبائل
فما زال ينـــحت جسمي المساء
ويلتف حـــولي عنيد السلاسل
لأنك في اللـــيل نجم مسافر، عطر الجداول
فسوف أظـــل كما الغير ماطر
وتنمو علـــى وقع خطوي مروج السنابل
وإني لأجـــلك روح تقاتل
وإني أحاول"[٢٩٥].

عندما يعلو صوت الحب فوق السجن والقهر العذاب يحلق الشاعر في عالمه الخاص، يمثل الحب خلاصاً من الوحدة والآلام. طيف الحبيب يداوي جروحه وحماسه التي ينبض بالحياة في قلبه، فتصويره يخفف وحشة التضامن ويروي قلبه بماء الحياة ممنحاً إياه القوة والمحبة في البقاء، يقول الشاعر حضر محجز:

"أحبـــــك آه أحبـــــك آه فأنـــت الحبيب وأنت الحيـاة
وأنت هواي، وأنت مناي وأنـــت لقلبـــي العليـل دواه

[٢٩٥] فايز أبو شمالة، سيضمنا أفق السناء، ص ١١٦-١١٧.

أحبك حب الورود النـدى عشقت شذاها كطعم الشفاه

خطابك أحيا فؤادي الذي تفطــر شوقـا إلــى مبتغـاه

وطيفك آنس لـي وحشتي فزدت صمودا بفضل الإله

كأنـــي وأنـــت بهمساتنـا نروي القلوب بمـاء الحيـاة"[٢٩٦]

يمزج الشاعر بين حبه لأرضه وحبه لرفيقته، حيث يعبّر لها عن مشاعره ويعتبر كفيها رمزًا لرياح بلاده. يرى في جبينها تجسيدًا لليالي وطنه، وتصبح كل لمسة منها تحمل عبق الوطن وذكرياته. هذا المزج يعكس عمق ارتباطه بكل من حبيبته ووطنه ويظهر كيف يمكن للحب أن يكون جسرًا يربط بين العاطفة الشخصية والهوية الوطنية. يريد في كلماتها أعذب الأغاني وأرقها، ومن خلال دمعه ودمه يروي الأرض. يدعوها لتكون رفيقته في كفاحهما ضد التيار والإعصار مركزا على أن الحب يظل أقوى من أي شيء آخر في الوجود، يقول الشاعر:

"عشقت الأرض في كفيك ألثمها

وفوق جبينك العالي لياليها

ومن كلماتك العذبي أغانيها

ومن دمعي

ومن دمعي أرويها

يا منقذتي

يدا بيد

ضد التيار

رغم الإعصار

[٢٩٦] خضر محجز، الانفجار، ص ٩.

زرغنا الحب

ويبقي الحب"[٢٩٧]

الشاعر المشهور الشيخ 'رائد صلاح' يدعو زوجته وزوجات الآخرين لتقديم الصبر كنصف ركائز الإيمان، معتبرًا أن الله سيحفظها ويرعاها من كل مكروه، إذ هي الملكة في بيته والمخلصة دائمًا لدينها وسنة نبيها وتعاليم القرآن الكريم. تُعَد الدعامة القوية التي تتكأ عليها جميع الأحزان، والشمس التي تنير الليالي المظلمة وتُضيء النهار ببهائه وجماله. إنها المثال الأمثل للقدوة النموذجية بفضل قوتها واستقامتها في مواجهة الواقع الصعب بكرامة وجرأة دون أن تنحني الرأس أمام أحد أو تنحني لأي شعار، يقول الشاعر رائد صلاح:

"الصبر نصف ركائز الإيمان يا زوجتي يا حاملا أحزاني

يرعاك ربي يا مليكة بيتنا ظلي الصبور على مدى الأزمان

ظلي الوفية دائما في دربها لإلهنا ولأحمد العدنان

ولدعوة أحيت موات قلوبن دستورها من محكم القران

كوني لنا طودا أبيا شامخا لا ينحني لوساوس الشيطان

كوني لنا شمسا تضيئ بليلنا ونهارنا بالبذل و الإحسان

كوني لنا نعم المثال المحتذى بالعزم والتصميم والإتقان"[٢٩٨]

الشاعر الأسير يعبر بصدق وعفوية عن عواطفه نحو حبيبته وزوجته، حيث ينسج لها أجمل القصائد التي لا تُحصى، رغم حرمانهما من سنوات العمر الجميلة معًا. يحكي عن حال السجن يجد الشاعر في قلمه الوسيلة الوحيدة ليعبر عن همومه وأشواقه، ويكتب بألمه وأحزانه كلمات تصل إلى حبيبته، تخبرها بأنه ما زال ملتزمًا بعهده

[٢٩٧] إبداع نفحة، اللجنة الثقافية الوطنية ، وادي الهرية، 1990م ، ص ٩٩-١٠٠.
[٢٩٨] رائد صلاح: زغاريد السجون، ص ٧٥.

تجاهها. يرى فيها كالقمر المنير الذي يضيء حياتها والشمس التي تمنحه الدفء والحنان. فيعكس الشاعر عمق مشاعره وقدرته على تحويل معاناته إلى كلمات تحمل الأمل والحب الخالص.

إغاثة الملهوف

الشعراء السجناء يحثون على إغاثة المحتاجين في المجتمع من خلال تأكيد القيم الإنسانية المشتركة ومشاركة تجاربهم الشخصية ومعاناتهم في قصائدهم. يصفون الشعب الفلسطيني برجولته وشجاعته وكرامته التي تجعله يهب لمساعدة المحتاجين والمعوزين الذين تقطعت بهم السبل. الشاعر أحمد دحبور[٢٩٩] يصف مشهد طفل ضاع، حيث يتسارع الجميع للبحث عنه، وآخرون يبحثون عن أهله. يقول الشاعر اللاجئين الفلسطينيين في مدينة حمص:

" ضيعه أخوه
وجـــوم كلها هذى الوجــوه
ضعـــوه الآن في الجــامع
ونـــادوا من له ضــائع؟
إلى الشرطي، فورا أرسلوه"[٣٠٠]

الشاعر عمر خليل عمر يوضح مظهرا بهيا للتكافل والتعاون بين الجيران وأهل البلدة الواحدة، يتسارعون من سيكون له شرف المساعدة والتعاون، فقد كانوا أهلا وأقارب، يقول:

"كنا يا ولدي... أهلا وأقارب
إن ضاع حمار أو بقرة

[٢٩٩] أحمد خضر دحبور، شاعر فلسطيني نشأ ودرس في مخيم النيرب للاجئين الفلسطينيين في مدينة حمص
[٣٠٠] أحمد دحبور، ديوان كسورعشرية، ص ٥٣.

قمنا فورا نتبع أثره

أو شب بناحية الجيران حريق

أطفأنا جميعا بالجرةوالإبريق." [٣٠١]

وكان للشعر الفلسطيني نصيب من العطف على الفقراء والضعفاء وذوي الاحتياجات الخاصة، يدعوا الشعراء إلى تقديم المساعدة لهؤلاء الضعفاء. يصوّر الشاعر فرج البرعي أولئك الذين يمتلكون قلوباً مشرفة، ترقّ وتعطف على المحتاجين محذراً من القسوة عليهم، ومن التبعات السلبية لذلك، فقد يأتي يوم تحتاج فيه إلى مثلهم، محثاً في الوقت ذاته على الإنفاق لدعمهم. يقول:

"واعطف على الضعفاء إنك مثلهم ستكون يومـا موضع الإشفـاق

واسمح بمـا لك إن مـن يبخــل بـه سيعيش فـي بؤس وفي إملاق"[٣٠٢]

يُظهر الشاعر من خلال هذا العمل كيف أن السجن لا يُبعدهم عن أحبائهم فقط، بل يحرمانهم أيضًا من الحياة الطبيعية ويعرض المعاناة النفسية والجسدية التي يعيشونها. تناول الشاعر قضايا الفقد والشوق ويعبر عن التزامه تجاه حبيبته رغم الظروف القاسية. يُعد هذا العمل تجسيدًا لقوة الإرادة والصمود.

الحرية

إن شعر السجون في فلسطين والعراق عبر عن الحرية من خلال الرمزية والمشاعر العميقة التي تعكس عن الصمود والإصرار على الحياة رغم القيود والمعاناة. يعالج الشعراء في قصائدهم مواضيع متنوعة، منها:

- الحرية الشخصية: يتناول الشعراء أحاسيسهم ومشاعرهم خلف القضبان ويعبرون عن رغبتهم القوية في الحرية الشخصية والانتماء لأوطانهم وأحبائهم.

[٣٠١] عمر خليل، مرثية الشرف العربي، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، الطبعة الأولى، أغسطس، ٢٠٠١م، ص ٨ – ٩.
[٣٠٢] ديوان الشاعر فرج البرعي، حديث الوجدان، ص ٤٧.

- الحرية الثقافية: يعبرون عن رغبتهم في تعبير الحر والإبداع في المجال الثقافي والأدبي دون قيود أو تهديدات.
- الحرية الوطنية: يعبرون عن حبهم لأوطانهم ورغبتهم في التحرر من الاحتلال والظلم وإعادة حقوقهم وكرامتهم الوطنية.
- الصمود والمقاومة: يظهرون عن إرادتهم القوية وصمودهم أمام الظروف القاسية في السجون، ويحثون للنضال والصمود ضد قوات الاحتلال.
- الأمل والتفاؤل: يعبرون عن الأمل في يوم جديد يحمل الحرية والعدالة، وعن قوة الإرادة في تحقيق التغيير والتحرر.

وبالجملة يعبر شعر السجون في فلسطين والعراق عن روح الصمود والتضحية والأمل في الحرية والعدالة، ويظهر قوة الكلمة في مواجهة القيود والظلم.

الظلم والتمييز

في شعر السجون، تتجلى مواضيع الظلم والتمييز بشكل واضح ومؤثر، والشعراء يعبرون عن تجاربهم الشخصية وتجارب زملائهم في السجن بسبب الأحوال القاسية التي يواجهونها والممارسات الظالمة التي يتعرضون لها. يعالج الشعراء هذه المواضيع بشكل شامل وعميق، وقد يتضمن ذلك:

- الاعتقال التعسفي: يتناول الشعراء السجناء في قصائدهم حالات الاعتقال التعسفي والاعتقال بدون محاكمة عادلة، مما يعبر عن ظلم السلطات وانتهاك حقوق الإنسان الأساسية.
- التعذيب والمعاملة السيئة: يوثق الشعراء تجاربهم وتجارب زملائهم في السجن بسبب التعذيب والمعاملة السيئة التي يتعرضون لها من قبل السلطات القائمة.

- الظلم الاجتماعي والسياسي: يتناول الشعراء في نتيجتهم الظلم الاجتماعي والسياسي الذي يعاني منه الشعب في بلادهم، وينقلون صوت الفقراء والمظلومين في المجتمع.
- العنصرية والتمييز: يسلط الشعراء الضوء على ممارسات التمييز والعنصرية التي يواجهها الأفراد بسبب عرقهم أو دينهم أو جنسيتهم، ويدعون إلى نبذ هذه الممارسات.

بهذه المواضيع وغيرها، يعبر شعر السجون عن معاناة الفرد والمجتمع من الظلم والتمييز، ويسعى إلى إحداث التغيير والتحرر من هذه الظروف القاسية.

الفصل الرابع

العناصر الثقافية في شعر السجون العربي الحديث في العراق وفلسطين: دراسة تحليلية

مفهوم العناصر الثقافية في شعر السجون

الثقافة هي مجموعة من القيم والمعتقدات والممارسات والتقاليد التي تميز مجتمعا معينا، تشمل الثقافة العادات الاجتماعية والتعبير الفني والديانات والطعام واللغة والتاريخ والموسيقي، والأدب والإمارة وغير ذلك. الثقافة تؤثر على طريقة تفكير الأفراد وتصرفاتهم، وتشكل هويتهم وتحدد علاقاتهم مع العالم خارجي. تعد الثقافة عنصرا أساسيا في تحديد الهوية الفردية والجماعية، وتعتبر محورا للتفاعل بين الأفراد في المجتمع. العناصر الثقافية هي العناصر التي تمثل جوهر المجتمع وهوية الوطن. تشمل هذه العناصر مجموعة واسعة من العناصر المادية والمعنوية التي تشكل جزءا من تراث وتقاليد المجتمع، مثل اللغة والأديان والفنون والموسيقي والأعياد والمأكولات والملابس والعمارات والتقاليد والقيم والعادات. تعكس هذه العناصر التفاعلات والتأثيرات التي شكلت المجتمع على مر الزمن، وتساهم في بناء وتعزيز الهوية الثقافية للشعوب والمجتمعات.

والشعراء السجناء قد عالجوا موضوعات ثقافية متنوعة، بما في ذلك:

- القضايا اللغوية
- القضايا الدينية
- الفنون والموسيقى
- التعليم والتعلم
- الهوية الثقافية والتراث
- العادات والتقاليد

كل هذه الموضوعات قد تمثلت في قصائد الشعراء السجناء، حيث استخدموا الشعر وسيلة للتعبير عن ثقافتهم وتجاربهم الشخصية والثقافية، ولنقل رسائلهم وتأثيرهم على المجتمع والعالم بشكل عام.

القضايا اللغوية

شعر السجون الفلسطيني والعراق يعكس العديد من القضايا اللغوية المهمة، منها:

- اللغة كأداة للمقاومة: يستخدم الشعراء السجناء اللغة كوسيلة للتعبير عن المعانات والصمود والمقاومة ضد الظلم والاحتلال. يقدمون رسائلهم بأسلوب شاعري قوي يلامس مشاعر القراء ويحمل رسالة قوية من خلال اللغة الشعرية.
- الحفاظ على الهوية اللغوية: يعمل الشعراء السجناء على الحفاظ على اللغة العربية كعنصر مهم من عناصر الهوية الفلسطينية. يستخدمون اللغة العربية بمختلف أشكالها وأساليبها لتعبير عن تجاربهم ومعاناتهم.
- إثراء اللغة والثقافة: يساهم شعر السجون الفلسطيني والعراقي في إثراء اللغة العربية بمفردات جديدة وتعبيرات متجددة، ويسهم في توثيق التجربة الفلسطينية وتاريخها من خلال الأدب الشعري.
- التحدي اللغوي: يتحدى الشعراء السجناء في قصائدهم القواعد اللغوية التقليدية ويبتكرون أساليب جديدة للتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم، مما يجعل شعرهم مليئا بالابتكار والجرأة.

يقول محمود فهمي حجازي "اللغة هي ظاهرة إنسانية تميز الإنسان عن بقية الكائنات، وقد عرفها ابن جني[٣٠٣] بأنها مجموعة من الأصوات التي يعبر بها الناس عن مشاعرهم

[٣٠٣] هو عثمان بن جني الموصليّ ، اللغوي والنحوي، يكنّى بأبي الفتح، و يلقّب بابن جنّي. ولد بالموصل عام ٣٢٢هـ.

وأفكارهم. بفضل اللغة، استطاع الإنسان أن يشكل مجتمعات ويبني حضارات تترك أثرها عبر الزمن"[٣٠٤].

لغة شعر السجون تميزت بعناصر لغوية تميزها عن الشعر الفلسطيني العام، خاصة في معجمها الشعري. فقد تمتاز هذه الشعرية بمفردات تعبر بدقة عن تجارب السجناء الفلسطينيين وصراعاتهم، وتظل هذه المفردات تحمل معانٍ راسخة عميقة تعكس الواقع القاسي الذي يعيشه الأسرى داخل السجون الإسرائيلية. استخدم الشعراء هذه المفردات بمهارة لنقل رسائلهم عن الصمود والتحدي إلى الشعب الفلسطيني والوطن العربي والعالم، مما جعلها أداة فعالة في نقل صورة حية عن الواقع الفلسطيني ومعاناة الأسرى.

وكانت حياة الشاعر داخل السجن مصدر إلهام غني حيث استخدم تجاربه اليومية في المعتقل كأساس لإبداعه الشعري. من خلال قصائده رسم الشاعر لوحات دقيقة تصف الآلام والحزن التي يعاني منها، بالإضافة إلى السياسات القاسية التي تُمارس ضده بهدف الإذلال وكسر إرادته .وشعره امتزج بواقعه المرير تعكس كلماته عواطف صادقة ومعانٍ بسيطة وصريحة بعيدًا عن التعقيد والغموض. هذه المعاني ولدت من القهر والاضطهاد الذي تعرض له مما زاد من إصراره على المقاومة وثباته على المبادئ التي آمن بها وسُجن من أجلها .

نجح في تجسيد هذه المشاعر بكلمات بسيطة ومباشرة، شكل اللغة بطريقة تنقل الأفكار بوضوح ودون تعقيدات، فأدى ذلك إلى أدب واضح ومباشر في التعبير عن واقعه ومعاناته. هناك بعض النماذج لتوظيف إمكانات لغوية لديهم من خلال محورين اساسين:

- القيمة اللإيحائية للأصوات
- القيمة الإيحائية للألفاظ

[٣٠٤] محمود فهمي حجازي، مدخل غلى علم اللغة، (د.ط)، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٧، ص٩.

يقول الأديب عبد الخالق[٣٠٥] "القيمة الإيحائية للأصوات في الشعر تكمن في الصوت المفرد الذي لا معنى له بذاته، حيث يجتمع عدد من الأصوات لتشكيل كلمات تحمل المعاني. تراكم هذه الكلمات يؤدي إلى تشكيل المعنى السياقي للنص الشعري. ومع ذلك، فإن الأصوات المفردة تتمتع بإيحاءات خاصة تنقل مشاعر عامة على سبيل المثال، انتشار حروف المد في العبارات الشعرية يوحي بالبطء والملل، في حين أن انتشار حروف الهمس وتكرارها يخلق جواً من السكينة والهدوء الإيحائي للأصوات، مما يعزز من التأثير الشعري والتعبير عن الحالة النفسية أو الجو الذي يريد الشاعر توصيله للقارئ"[٣٠٦]، مثال ذلك قصيدة 'دعوة بلا بطاقة' للشاعر' مشهور سعادة' تقول فيها:

"من حانة المساء
تشعشع الألحان
في حانة المساء
الجو كان دافئا
وكانت القيثار
تشعشع الألحان
والليل كان هادئا
يردد الألحان"[٣٠٧]

حروف المد تنتشر في الأبيات من خلال كلمات مثل 'المساء، الألحان، القيثار، هادئا، دافئا'، مما يضفي على القصيدة جواً من السكينة والهدوء وراحة النفس. هذه الحروف تساهم في إيجاد أجواء هادئة ومليئة بالانسجام والطمأنينة. أما حروف الهمس في قصيدة

[٣٠٥] هوعبد الخال الركابي، روائي وكاتب قصص قصيرة وشاعر عراقي. ميلاده ١٩٤٦م.
[٣٠٦] عبد الخالق العف، التشكيل الجمالي في الشعر الفلسطيني المعاصر، ط١، وزارة الثقافة، ٢٠٠٠م، ٢٤٦-٢٤٧.
[٣٠٧] كلمات سجينة، ص ٤٤.

'عيناك آخر المشوار' للشاعر عبد الناصر صالح، فتوحي بالجو النفسي الذي يعيشه الشاعر عندما يزوره طيف محبوبته داخل زنزانته. يظهر ذلك في الكلمات مثل 'السفوح'[٣٠٨] و'سفينتان'[٣٠٩] و'رستا' و'ساحل' و'الجروح' هذه تنبعث منها مشاعر الحنين الحنين والأسى وتتناغم مع الحالة النفسية المعقدة التي يعبر عنها الشاعر:

"عيناك طائران طافا البحر والسفوح
شدهمـــا الليـــل وارق الـمــطــاف
سفينتان رستا فـي ساحل الجــروح"[٣١٠]

يتضح في هذه السطور انتشار الأصوات الرخوة المهموسة مثل صوتي 'الشين' و'السين'، التي استخدمها الشاعر لتعزيز مشاعر الرقة التي يشعر بها أثناء حديثه عن محبوبته. ينسج الشاعر هذه الأصوات بدقة مع 'الحاء'، وهو صوت حلقي، ليصور لنا صورة زاهية وملونة عن عيني محبوبته. كل هذه الأصوات الرخوة والمهموسة تعبر عن حالة من الرقة واللطافة، وتساعد في إيجاد أجواء من الحنان والدفء. إن استخدامها بشكل متناسق مع بعضها البعض يساهم في إبراز الجمال اللغوي والمشاعر العميقة التي يحاول الشاعر توصيلها للقارئ.

القيمة الإيحائية للألفاظ تعتمد على كيفية استخدامها وتركيبها في النصوص الأدبية والشعرية. عندما تكون الكلمات مفردة، فإنها تحمل معانٍ عامة قد تكون ملموسة ولكن قد تفتقر إلى التفاصيل والدقة. أما عندما تكون الكلمات مركبة أو تُستخدم ضمن سياق محدد، فإنها تتضمن معاني أدق وأعمق، تعبر عن أبعاد أكثر تعقيداً وغنى في التعبير.

في الشعر والأدب، تُستخدم الألفاظ بدقة لنقل المشاعر والأفكار بشكل ملموس ومعبر. على سبيل المثال، يمكن استخدام مفهوم معين في الشعر من خلال تركيب كلمات

[٣٠٨] قد يُستخدم 'السفوح' بشكل مجازي للإشارة إلى الأماكن الجميلة أو الهادئة التي تقع بالقرب من الجبال أو التلال.
[٣٠٩] قد يُرمز به إلى الرحلات البحرية.
[٣١٠] عبد الناصر الصالح، الفارس الذي قتل قبل المبارزة، ص ٦٥.

مركبة تعبر عن جوانب متعددة من التجربة الإنسانية مما يغني النص ويعزز قيمته الإيحائية. يقول يحيي زكريا "والألفاظ في معجم الشعراء الفلسطينيين عامة تدور كلها حول حلقة واحدة قطرها المواجهة والتحدي ومركزها المقاومة والرفض مع احداث بعض التجديدات في البنى الداخلية، من خلال اللغة التي لا تجمد أمام تغيرات الزمن ومتطلبات التجربة ومعطيات الواقع وعصرية الفكر"[٣١١]، وهكذا جاءت الألفاظ في قصائد شعراء المعتقلات ذات إيحاءات مميزة مشحونة بظلال المعاني والأحاسيس التي تعبر واقع الحياة داخل السجن وخارجه وذلك من خلال تفاعل الشاعر مع ما يصله من أخبار أو ما يسمعه من هنا وهناك، ولأنه فلسطيني عاش النكبة وما زال يعيشها حتى الآن نجده في قصائده يستحضرها ويستحضر معها كل الذكريات المؤلمة، من ذلك قصيدة 'انتفاضة' للشاعر'عبد الله الزق':

"أنا الطير الذي غنى
على زيتونة جرداء أغنية خريفية
وكان رفاقنا في الحي
يحكون الروايات الكنيبة عن روايتنا الربيعية
وبياراتنا وحقولنا وسنابل القمح الذي سرقوا
وعن جبل الخليل، وقبة الأقصى الذي حرقوا"[٣١٢]

هناك إذا أراد الشاعر إبراز مدى حبه لبلاده واستعداده للتضحية من أجلها، فإنه يقدم لها أغلى ما يملك حتى لو كانت أعضاء جسمه 'الدم' و'الرموش' و'العصب' ولا شيء يمكن إيقافه لا 'التهديد' و'الإرهاب' و'القيد' و'القفل' و'الحقد' ولا أحد يستطيع منعه من الإنشاد ومن المضى في طريق الثورة: يقول عبد الله الزق:

[٣١١] يحيى زكريا الأغا، البنية اللغوية والموسيقية في الشعر الفلسطيني المعاصر، ص ٢٢٠.
[٣١٢] كلمات سجينة، ص ١٨.

"سأنسج من دمي ورموش عينيا

ومن عصبي حروف قصيدتي لعيون خلاني

فلا القبد الذي وضعوه في عنقي

ولا التهديد والإرهاب

سيمنعني من الإنشاد"[٣١٣]

القضايا الدينية

في شعر السجون العراق والفلسطين يتناول الشعراء القضايا الدينية بطرق مختلفة ومتنوعة، ويعكسون تأثير الدين على حياة الفلسطينيين وتجربتهم، من بين القضايا الدينية التي يواجهها الفلسطينيون والتي قد تمثلت في شعر السجون الفلسطيني، ومنها:

- الإيمان والصبر: يعبر الشعراء السجناء عن قوة الإيمان والصبر والثبات في وجه التحديات والمحن التي تواجههم كفلسطينيين، ويجددون العهد بالصمود والمقاومة بمساندة الدين والقيم الدينية.
- الاحتلال والمقاومة الدينية: يستخدم الشعراء السجناء الدين كمصدر للقوة والتحفيز لمقاومة الاحتلال والدفاع عن الأرض والمقدسات، ويتمسكون بقيم العدالة والحرية والكرامة التي تدعو إليها الديانات.
- الأمل والرجاء: يظهر الشعراء عن الأمل والرجاء في تحقيق الحرية والسلام والعدالة في فلسطين، ويتوجهون بالدعاء والتضرع إلى الله لنصتهم وتحقيق أهدافهم.
- الشهداء والشهادة: يخلد الشعراء السجناء ذكرى الشهداء ويمجدون تضحياتهم وبطولاتهم في سبيل الوطن والدين، مما يجعل الشهادة في سبيل الله جزءا مهما من رسالتهم الشعرية.

[٣١٣] أبو فلسطين، كلمات سجينة (مجموعة شعرية)،ص ١٤. الطبعة الأولى، سجن بئر السبع، ١٩٧٥م.

فلسطين والعراق هما بلدين عربيين وإسلاميين بشكل رئيسي، حيث يشكل الإسلام جزءاً أساسياً من الهوية الثقافية والدينية لمعظم سكانهما. الإسلام يلعب دوراً مهماً في تحديد القيم والتقاليد والممارسات الاجتماعية والسياسية في البلدين، ويمثل تقريباً الدين السائد بين سكانهما. مع ذلك، فإن هناك تنوعًا دينيًا وثقافيًا بين هذين البلدين يتجاوز الإسلام. على سبيل المثال، تعيش في فلسطين أقليات مسيحية من الفلسطينيين وأيضًا في بعض المناطق المسيحيون العرب مع وجود أقليات أخرى من ديانات أخرى أو من اللا دين. بالنسبة للعراق، هناك أيضًا تنوع ديني كبير، حيث يعيش فيه مسلمون شيعة وسنة، بالإضافة إلى أقليات مسيحية مثل الكلدان[٣١٤] والآشوريين[٣١٥] وأقليات دينية أخرى مثل الإيزيديين[٣١٦] والمندائيين[٣١٧]. هذا التعدد الديني والثقافي يعكس تاريخ وتراث البلدين الغني، ويساهم في إثراء المجتمعات وفتح آفاق التعايش والتفاعل الثقافي بين أعضاء المجتمع المختلفين.

الإيمان الديني في فلسطين والعراق يُعتبر عادة جزءًا أساسيًا من الهوية الثقافية والاجتماعية للأفراد. يتفاوت الالتزام الديني من شخص لآخر بناءً على العوامل الثقافية والتاريخية والاجتماعية. يقوم الأفراد بأداء الصلوات الخمس وممارسة العبادات الأخرى ويعيشون وفقًا للقيم الإسلامية. ومع ذلك، تختلف طرق تجسيد هذا الإيمان ومدى الالتزام به بين الأفراد والمجتمعات.

فلسطين، التي تعتبر أرض الديانات السماوية وموطن الإسراء والمعراج، هي أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين مما يمنحها مكانة مرموقة في نفوس المسلمين عامةً والفلسطينيين خاصة. تواجه هذه البقعة المقدسة احتلالات ومحاولات من الأعداء لسلب

[٣١٤] الكلدان هم شعب قديم يُعتبر من أقدم الحضارات في منطقة بلاد ما بين النهرين، ويمتد تاريخهم إلى آلاف السنين. الكلدان مرتبطون أيضًا بالثقافة السريانية.

[٣١٥] الآشوريون هم شعب قديم من بلاد ما بين النهرين، ويعتبرون من أقدم الحضارات في التاريخ. ظهرت الدولة الآشورية في الألفية الثالثة قبل الميلاد، وبلغت ذروتها في الفترة بين القرنين التاسع والسابع قبل الميلاد، حيث أصبحت إمبراطورية قوية تغطي أجزاء واسعة من الشرق الأوسط.

[٣١٦] الإيزيديون هم جماعة دينية تعيش أساسًا في العراق، وخاصة في منطقة سنجار. يُعتبرون من أقدم الجماعات الدينية في العالم.

[٣١٧] المندائيون هم جماعة دينية قديمة تعود جذورهم إلى بلاد ما بين النهرين، ويُعتبرون من أقدم الديانات التوحيدية. تُعرف ديانتهم باسم المندائية.

هويتها الإسلامية وقمع شعبها الذي يرفض الذل ويسعى جاهدًا لدحر الغدار عن أرضها، وهي أرض الإسراء والمعراج ومسرى النبي صلى الله عليه وسلم ومهد الأنبياء والكتب السماوية.

الصعوبات في أداء العبادات

الشعوب الفلسطينية والعراقية تواجه العديد من الصعوبات في أداء العبادات بسبب الوضع السياسي والاجتماعي في بلادهم، والفلسطينيون يواجهون كثيرا من المشكلات الحرية في هذا الشأن أكثر من الشعب العراقي، من هذه الصوبات:

- القيود الأمنية: يفرض المحتلون والسلطات القائمة قيودا على الحركة والوصول إلى الأماكن المقدسة والمساجد، مما يجعل الوصول غلى العبادات صعبا بالنسبة للبعض.
- التضييق على الحريات الدينية: تواجه السلطات الاحتلالية والحكومات المعتمدة معانات في ممارسة العبادات الدينية بحرية، مما يؤثر على القدرة على تحقيق الاتصال الروحي.
- تدمير المواقع الدينية: تعرضت العديد من المواقع والأماكن الدينية في فلسطين والعراق للتدمير والتشويه جراء الصراعات المسترة، مما يقلل من قدرة الأفراد على القيام بالعبادات في بيئة مهيأة لذلك.
- الاعتقال والاحتجاز: يتعرض الكثير من الأفراد الفلسطينيين والعراقيين للاعتقال والاحتجاز من قبل السلطات القائمة، مما يعرقل قدرتهم على ممارسة العبادات بحرية.

هذه الصعوبات تجعل من الصعب على الأفراد الفلسطينيين والعراقيين تجربة الحرية الدينية بالشكل الكامل، وتضعهم في تحديات مستمرة للمحافظة على ممارسة عباداتهم

والتمسك بقيمهم الدينية في ظل الظروف الصعبة التي يواجهونها. والشاعر محمود درويش يقول عن حرية العبادة:

"احـرص علــى صلاة الفجــر في الســجن
لأنهـــا صلاة الحـــرية
وايضا احرص علـــى صلاة العـصر في البحر
لأنها صــلاة العـــودة
غلى بيـــت الأم
وأحـرص علــى صلاة الغروب في الحــقل
لأنــها صلاة الراحــة
وأحـــرص على صــلاة المغرب في الجبــل
لأنـــها صلاة الصمـــود
يا رب إذا لم تـــكن تدري"[٣١٨]

الفنون والموسيقى

في شعر السجون الفلسطيني والعراق تلعب الفنون والموسيقي دورا هاما في التعبير عن المشاعر والتجارب الشخصية والجماعية. وقد استخدم الشعراء السجناء الفنون والموسيقي بطرق متنوعة، منها:

- الاستعارة الفنية: يستخدم الشعراء في قصائدهم تقنيات فنية مشابهة لتلك المستخدمة في الموسيقي، مثل الإيقاع والتكرار والتوزيع الصوتي، لخلق تأثيرات معينة وتعزيز المعنى الشعري.

[٣١٨] https://first.entazer.com

- الأناشيد والأغاني: يقدم الشعراء الفلسطينيون قصائد شعرية تتخذ شكل الأناشيد والأغاني، والتي تنشد وتردد في المناسبات الثقافية والسياسية كوسيلة للتعبير عن الانتماء والصمود والمقاومة.
- الآلآت الموسيقية: يمكن أن يتضمن شعر السجون الفلسطيني إشارات إلى الآلآت الموسيقية المختلفة، مثل العود والطبل والكمان، ويتمثل ذلك في توظيف الكلمات والتشبيهات التي تعكس صوت هذه الآلآت.
- التأثير الموسيقي: يحاول الشعراء في بعض الأحيان تحقيق تأثير موسيقي في أبياتهم من خلال تنظيم الكلمات والأصوات بطريقة متأثر تجعل القارئ يشعر وكأنه يستمع إلى قطعة موسيقية.
- التراث الموسيقي: يتأثر الشعر العراقي في السجون بالتراث الموسيقي العراقي، حيث يتوحي الشعراء بعض موضوعاتهم وأساليبهم من التراث الموسيقي العراقي الغني. بشكل عام، تعتبر الفنون والموسيقي جزءا لا يتجزأ من الثقافة العراق والفلسطيني، وتلعب دورا هاما في تعزيز الهوية والصمود التعبير عن التجارب الحياتية والسياسية.

الشعر يبرز بتميز عن باقي الأنواع الأدبية بفضل موسيقاه التي تجعله أكثر الأشكال الشعرية قدرة على نقل العواطف الإنسانية وإثارة المشاعر وإمتاع الروح. قد أولى القدماء اهتمامًا كبيرًا للموسيقى الشعرية، وهم ركزوا على العناصر الخارجية مثل الوزن والقافية، بالإضافة إلى العناصر الداخلية مثل المحسنات البديعية والتجانس بين الكلمات والحروف. يقول نبيل خالد "فقد تقسم الحديثون إلى مدارس مختلفة، حيث دعى بعضهم إلى الاهتمام بالعناصر الخارجية بجانب الداخلية، مع التأكيد على أهمية الحفاظ على الوزن كأساس لتميز الشعر عن بقية الأنواع الأدبية. بينما ركز الآخرون بشكل

أكبر على العناصر الداخلية، متجاهلين العناصر الخارجية بحجة أنها قد تحد من قدرة الشاعر على نقل أفكاره ومشاعره للقارئ"[٣١٩].

الشعر الفلسطيني، كونه جزءًا من التراث العربي الذي استمد من ينابيع الفكر والثقافة، تأثر بالأنماط الموسيقية المتنوعة التي سادت في الشعر العربي عبر مختلف فتراته. ومع ذلك، تميز الشعر الفلسطيني نفسه بالتجديدات التي أدخلها في بنية القصيدة بناءً على السياقات السياسية التي عاشها، والتي لا تزال تؤثر حتى اليوم.

الموسيقى الخارجية في الشعر تشمل الوزن والقافية. يقول عبد العزيز عتيق "الوزن هو مجموعة من التفعيلات التي يُعرف كل منها بـ 'بحر' حيث يتم قياس الشعر بعدد الأقدام الشعرية التي يحتويها كل بيت شعري. والقافية فهي مجموعة الحرف التي تتطابق في نهاية كل بيت شعري، بدءًا من المتحركات إلى آخر البيت، بغض النظر عن عدد الأصوات اللاحركة بينهما"[٣٢٠].

أن السجون تميزت بأوزان الشعر العربي المعروفة واستخدمها كإطار أساسي لقصائده. وجد بعض الشعراء أنفسهم يتبنون البناء التقليدي للقصيدة العربية في معظم إبداعاتهم، ممارسين ما يعرف بالشعر العمودي، حيث يلتزمون بوحدة البيت الشعري والقافية العمودية. من أمثلة هذا الأسلوب قصيدة للشاعر عمر خليل عمر. وتتميز هذه القصيدة بلماتها المعبرة وعاطفتها الصادقة:

"يسطر الليل أحلامي وبنشرها ليمحو الصبح ما جاشت به الصدر
أكاد حين جفوني لا تطاوعني أهدهد الصبر لكن أينه الصبر؟
يقول قولا لذاتي في معاتبة أهدك السجن ام أو أودى بك الفكر؟
سيبزغ الفجر من أحشاء غاشية فما تسمر ليل إلا وانجلى فجر"[٣٢١]

[٣١٩] نبيل خالد أبو علي، عناص الإبداع الفني في شعر عثمان أبو غربية،ط١، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، ١٩٩٩م، ص٨٦-٨٧.
[٣٢٠] عبد العزيز عتيق، علم العروض والقافية، (دزط) دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٤م، ص ٧.
[٣٢١] قصيدة 'في الأسر' للشاعر الراحل عمر خليل عمر.

التعليم والتعلم

يعبر الشعراء السجناء في فلسطين والعراق من خلال قصائدهم عن التعليم والتعلم بطرق مختلفة تعكس تجربتهم ومعاناتهم وأملهم في التحرر والتقدم، يتناولون هذه المواضيع بأسلوب شاعري يمزج بين الواقعية والرمزية. ومن بين الطرق التي يعبرون فيها عن التعليم والتعلم:

- الشوق للمعرفة: يعبر الشعراء السجناء في قصائدهم عن شوقهم ورغبتهم في اكتساب المعرفة والتعلم، حيث يصورون التعليم كوسيلة لتحقيق الحرية الفكرية والتخضر والتقدم.
- الصمود والتحدي: يستخدم الشعراء هذا الموضوع كوسيلة للصمود والتحدي في وجه الظروف القاسية التي يواجهونها في القضبان، حيث يرى البعض التعلم والتعليم كطريقة للبقاء قويين رغم القيود والمحن.
- النضال والتحرر: يعبر الشعراء السجناء عن التعليم كأدات للنضال والتحرر، حيث يؤكدون على أهمية التعليم في تمكين الفرد والمجتمع من التحرر من القيود الاجتماعية والسياسية.
- تحقيق الأمل والتغيير: يصورون أيضا التعليم كوسيلة لتحقيق الأمل والتغيير في المجتمع، يرسم الشعراء صورة لمستقبل أفضل يعتمد على التعليم والتعلم كمحرك للتنمية والتطور. كما يركز الشعراء على دور التعليم والتعلم في بناء الفرد والمجتمع وتحقيق الحرية والتقدم في ظل القيود والمحن التي يعيشونها في السجون.

يرى الشعراء السجناء في العلم والتعليم سلاحاً قوياً لتحقيق التحرر والتقدم كما يحثون الشعوب على استخدامهم بشكل فعال في مواجهة التحديات والظروف القاسية. بوصفهم شهوداً على الظلم والاضطهاد، يرى الشعراء أن قيم العدالة والتعليم تعدان وسيلة

أساسية هامة للتحرر والتغيير الاجتماعي. يدعون الشعب إلى الاستمرار في السعي للعلم وتعزيز ثقافة القراءة والتعلم بهدف تعزيز الوعي وتعزيز القدرة على المقاومة الثقافية والسياسية ضد الظلم والاستبداد.

في ضوء هذا المنطلق، نشر الشعراء الفلسطينيون رسالة العلم والتعليم بدءًا من أوائل القرن العشرين مستندين إلى إدراكهم لانتشار الجهل في كافة أنحاء البلاد. يبرز من بين أبرز الشعراء الفلسطينيين الداعمين للتعليم والمعرفة في تلك الحقبة 'إسعاف النشاشيبي'[٣٢٢] الذي لم يتردد في التعبير عن أسفه إزاء الحالة السائدة من الجهل والتخلف في المجتمعات العربية. يقول الشاعر النشاشيبي:

"العرب مات شعورهم فانتبه دهرك باكيا
قد كنت أطمع أن أرى وطني بهيجا زاهيا
فوجدته من كل علم أو علاء خاليا
فرثيته وندبته وسكبت دمعي غاليا
فسعدتي يا ابن الكرام وبغيتي ومراميا
أن تصبح العرب الأذلة سادة ومواليا"[٣٢٣]

ثم جاء بعده العديد من الشعراء الذين تصدوا لمحاربة الجهل والتخلف وانخرطوا في دعم أهمية العلم في تقدم الأمة وتعزيز مكانتها. فالعلم يعتبر وسيلة للانتهاء من حالة الضياع التي يعيشها الباحثون عن النجاة ويحث الأبناء على التعلم والبقاء في المدارس دون غياب. وهذا ما نقله لنا الشاعر 'أحمد دحبور'[٣٢٤] الذي أبدى قلقه من أن يظن معلمه أن غيابه عن المدرسة بسبب العذر الذي حال دون حضورها، هو علامة على الكسل، يقول:

[٣٢٢] هو محمد اسعاف النشاشيبي كاتب مشهور، كان عضوا في مجمع اللغة العربية بدمشق. ولد في القدس سنة ١٩٨٥.
[٣٢٣] حياة الأدب الفلسطيني الحديث، د.عبد الرحمن ياغي، المكتب التجاري للنشر والتوزيع، بيروت، ص ١٦٤.
[٣٢٤] أحمد خضر دحبور شاعر فلسطيني وأحد أعمدة الحركة الثقافية الفلسطينية والشعر المقاوم، حياته ما بين (١٩٤٦-٢٠١٧).

" هل محلي سيبقي شاغرا في الصف؟

خوفي، إذا سأل المعلم أين يقولوا :

كسول غاب..." [٣٢٥]

ومن الملاحظة أن للمعلمين دور كبير في تربية الشباب وتعليمهم، إذ إنهم هم قادة المستقبل ورواد الأمم تجاه التقدم. لذا، من المهم رفع شأن المعلم والاعتراف بالدور الحيوي الذي يقوم به في هذه المهمة الصعبة يعبر الشاعر الفلسطيني فرج البرعي عن تقديره واحترامه للمعلم في شعره ويظهر أهمية هذا الدور في بناء المجتمع وتوجيه الأجيال نحو مستقبل أحسن، فيقول:

"فضل المعلم فوق كل مقال باني الحضارة منشئ الأجيال

هو الذي يبني الشباب فإنهم ذخر البلاد ومقعد الآمال" [٣٢٦]

الهوية الثقافية والتراث والاغتراب

الهوية الثقافية تعبر عن الثقافة التي يمتلكها شخص أو مجموعة أو شعب. تشمل هذه الهوية الأفكار والذكريات والإبداعات والتعبيرات والرموز والقيم والطموحات التي تميزهم. ومع ذلك الهوية الوطنية تعبر عن الانتماء والولاء للوطن أو البلد الذي يعيش فيه الفرد وتتألف من مجموعة من العوامل الثقافية والتاريخية والاجتماعية التي تميز الشعب وتميزهم عن الشعوب الأخرى. هذه العوامل تشمل الانتماء للأرض واللغة والثقافة والعادات والتقاليد والقيم والمبادئ والتاريخ والتراث والولاء للوطن.

الهوية والاغتراب هما مواضيع مركزية في شعر السجون الفلسطيني والعراقي، حيث يعبر الشعراء عن تجاربهم الشخصية وتجارب شعوبهم في مواجهة الاحتلال والقمع والحروب. يتناول الشعراء في قصائدهم مواضيع مثل فقدان الوطن والحنين إلى

[٣٢٥] ديوان كسور عشرية، ص ٥٢.

[٣٢٦] فرج البرعي، ديوان حديث الوجدانن سلسلة إبداعات فلسطينية(٧)، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م، ص ٢٧.

الأرض والأهل وتجارب الإضطهاد والانتماء الثقافي والوطني. يعبر شعرهم عن الهوية الوطنية والثقافية والانتماء إلى الأمة والمجتمع فيما يعكسون أيضًا تجارب الاغتراب والبعد عن الوطن والمأساة الإنسانية التي تصاحبها مما يجعل من شعرهم نبراساً ينير درب الصمود والمقاومة ضد الظروف القاسية التي يمرون بها.

يظهر الشاعر محمود درويش الفلسطيني بوضوح في شعره مواجهته للمحتل حيث ينادي بقوة على ثبات هويته وتمسكه بأرضه. إذا كان الاحتلال يحاول سلب هويته الفلسطينية فإنه لا يكترث لفعلهم ويعلن تحدياً واضحاً لهم. يقول بجرأة إن هويته هي 'أنه عربي، له رقم بطاقة، وثمانية أطفال'. ومن الأبيات المعبرة عن تمسكه واعتزازه بهويته الفلسطينية قوله:

"فلسطينية العينين والوشـــم

فلسطينية الإســـم

فلسطينية الأحـــلام والـــهم

فلسطينية المـــنديل والقدمَـــين والجسم

فلسطينية الكلـمات والصمت

فلسطينية الصـــوت

فلسطينية الميـــلاد والمـــوت"[٣٢٧].

الاحتلال أثر بشكل كبير على شعور محمود درويش بالاغتراب في وطنه منذ صغره. عندما عاد درويش وأسرته إلى وطنهم بعد أن أجبروا على مغادرته بسبب الاحتلال، لم يستطيعوا العودة إلى مكانهم الأصلي. بدلاً من ذلك، استقروا في قرية أخرى، مما زاد من شعورهم بالاغتراب والفقدان لأرضهم.، وفي ذلك يقول درويش: " "كنت لاجئا في لبنان وانا الآن لاجئا في بلادي... وقد خبرت النوعين من اللجوء، فغننا نجد ان اللجوء

[٣٢٧] ديوان درويش، عاشق من فلسطين، الأعمال الشعرية الكاملة، ج١ ، ص ٨٢.

في الوطن أكثر وحشية، العذاب في المنفى والأشواق، وانتظار يوم العودة المؤكد شيء له ما يبرره... شيء طبيعى، ولكن أن تكون لاجئا في وطنك فلا مبرر لذلك ولا منطق فيه"[٣٢٨].

شعر درويش بالغربة في وطنه، وهي غربة نفسية واجتماعية وفكرية بسبب الاحتلال. يشعر أحياناً بالإحباط وفي أحيان أخرى يتمسك بالأمل والحنين لوطنه. يعبر درويش عن هذا الاغتراب بوضوح في قصائده:

"عندما كنت صــغيرا وجــميلا
كانـــت الوردة داري
والينــابيـــع بـــحاري
صـــارت الوردة جرحـــا
والينابيـــع ظـــمأ"[٣٢٩]

استخدم محمود درويش رمزية الوردة بشكل بارز في شعره ليعبر عن واقع الفلسطينيين تحت الاحتلال والاغتراب. وفي شعره، شبه الفلسطين بالوردة في جمالها الطبيعي والثقافي، ولكنها في ذات الوقت تحمل معاناة وجرح الاحتلال والفقدان. الوردة في شعر درويش تتحول إلى رمز للأمل والجمال الذي لا يزال موجوداً رغم الصعاب، لكنها أيضاً تعبير عن الجرح والأسى حيث تكون أسيرة تحت سطوة الاحتلال مما يبرز تعقيدات الحياة اليومية للفلسطينيين تحت الظروف الصعبة التي يعيشونها. باستخدام هذه الرمزية ينقل درويش رسالة عميقة عن تضافر الجمال والمأساة في واقع الفلسطينيين، وكيف أن الأمل والحياة تتفتح بين أشواك الجرح والمعاناة.

[٣٢٨] المصدر السابق، ص ٥.
[٣٢٩] قصيدة ' غريب في مدينة بعيدة' للشاعر محمود درويش الفلسطيني.

الشاعر العراقي المشهور الكبير بدر شاكب السياب يصور لنا في قصيدته الشهيرة 'غربة الروح' عن قريته جيكور حيث يعبر عن اشتياقه للريف والأجواء الطبيعية وصفاء الحقول والهواء النقي في مقابل غربته في المدينة وحنينه للمشاهد القديمة.

"يا غربة الروح في دنــيا من الحجر
والثلج والقار والفولاذ والضجــر
يا غربة الروح لاشمــس ناتــلق فيها ولا أفق
دار فيها خيالي ســاعة السحر
نار تضيء الخــواء البرد تحترق
فيها المسافات تــدنيني بلا سفر
عن نخل جيــكور جنى داني الثمر
نار بلا ســمر
إلا أحاديــث عن ماض تتدفق
كأنهن حفيف من أخيله
في الــسمع باقية تبكي بلا شجر
يا غربة الروح في دينا من الحجر"[٣٣٠].

الشاعر يصور انفعاله عندما يضيق ذرعاً بالمدينة حيث لا يرى إلا حجارة وصخوراً، ويشتد ألمه عندما تطوف به أجنحة الخيال. يتذكر دفء الأيام الماضية عندما كان يجتمع مع الأهل والأصدقاء حول نار العشيات في السهرات، وهذه الذكريات تزيد من شوقه وحنينه للماضي الجميل والحياة الريفية التي كانت تجلب له الدفء والسعادة.

[٣٣٠] ديوان بدر شاكب السياب العراقي، قصيدة 'يا غربة الروح'.

العادات والتقاليد

الشعراء السجناء في فلسطين والعراق عبروا عن عدة عادات وتقاليد تعبر عن الهوية والثقافة الشعبية في بلديهم. بالنسبة لفلسطين، العادات والتقاليد الشعبية تشمل مجموعة متنوعة من العناصر الثقافية والاجتماعية التي تميز الثقافة الفلسطينية وتعبر عن هويتها الفريدة. من بين العادات والتقاليد:

- الزواج واحتفالات العائلة: تتميز الثقافة الفلسطينية بالاحتفالات العائلية الكبيرة بمناسبات الزواج والمناسبات الدينية والاجتماعية الأخرى. تتضمن هذه الاحتفالات الغناء والرقص وتناول الطعام الشعبي التقليدي.
- الضيافة: تعتبر الضيافة جزءا أساسيا من الثقافة الفلسطينية، حيث يعتبر استقبال الضيوف وتقديم الضيافة لهم من القيم الأساسية.
- الموسيقي والفنون الشعبية: تشتهر فلسطين بتراثها الموسيقي والفني الغني، مع وجود العديد من الألحان والرقصات الشعبية التي تعبر عن تاريخ وتراث البلاد.
- الملابس الشعبية: تحتفظ فلسطين بتقاليدها في الملبس الشعبي، مثل الثياب التقليدية الفلسطينية مثل الكوفية والفلسطينية.
- العادات الدينية: تشتمل العادات الدينية على الصلوات والطقوس الدينية والاحتفالات بالأعياد الدينية مثل عيد الفطر وعيد الأضحى.

هذه بعض العادات والتقاليد الشعبية التي تعكس الهوية الفلسطينية والتي يمكن أن تظهر في الشعر الفلسطيني سواء كان الشاعر حرا أو في السجن.

في شعر السجون في فلسطين والعراق تظهر العادات والتقاليد كأدوات للصمود والبقاء في ظل القهر والظلم، يستخدم الشعراء في هذه السجون العديد من العادات والتقاليد المحلية لتاكيد هويتهم ومقاومتهم وبالإضافة يسافرون عبر الذاكرة التي حاضروا بعض المناسبات من العادات والتقاليد. وهناك أقبل توفيق زياد على توظيف العادات والتقاليد،

باعتبارها جزءا لا يتجزأ من البنية الطبيعية السلوكية التي يمارسها الشعب الفلسطيني في حياتهم اليومية المباشرة، وهو يمارسها بعفوية مطلقة يوميا مثل: الضيافة والمجاملات والأفراح والزواج والبيت وما يتعلق بها من التحية والسلام والأعياد والقهوة وغيرها.

توفيق زياد يتجاوز في قصائده إشارات الضيافة والمجاملات التقليدية ليعبر بدلاً من ذلك عن ثوابت شخصيته الفلسطينية ويستخدمها كوسيلة للتعبير عن واقع الحياة والمظاهر اليومية في إطار إنساني شامل. في قصيدته 'عن الرجال والبنادق' يحول تحية الصباح التقليدية إلى 'تحية السلاح' مما يعكس أبعاداً طويلة الأمد وإنسانية. بهذه الطريقة، ينقل زياد لنا مشاعر الاحتلال والمقاومة والصراع الوطني مستخدماً رموزًا قوية للتعبير عن التحديات التي تواجه الفلسطينيين في حياتهم اليومية. تحوله لتحية الصباح إلى تحية السلاح يعكس رغبته في التأكيد على الصمود والمقاومة، ويبرز الروابط العميقة بين الإنسانية والنضال من أجل الكرامة والحرية في فلسطين، يقول:

"يا غاية من الرجال الشعث والبنادق
يا أفقا يموج بالنشيدة، بالبيارق
تحية السلاح
للدم، للتراب، للجراح
للهب الذي أتاك بالسلام
يا خنادق
اليوم يا جزائر
تنطفئ الحرائق
وتملأ الأفاح بالدموع الأعين الغضاب

الأعين المحمرة التي تسلحت

بألف حربة وألف ناب"[٣٣١]

يشير الشاعر في الأبيات إلى ثورة الجزائر التي هزت الأرض تحت أقدام الغزاة، بالإضافة إلى النكبة الفلسطينية في عام ١٩٤٨ التي كانت تمثل مأساة إنسانية حديثة. من هذا المنطلق، يرى الشاعر أن الرسالة الشعرية التحريضية التي يواجهها هي للثوار في الجزائر تعبر عن تضامنه معهم وعن دعمه لنضالهم ضد الاحتلال والظلم مستلهماً من تجارب المقاومة والصمود في تلك الأحداث التاريخية الكبيرة.

الشاعر توفيق زياد يعبر عن حزنه وأسى الشعب الفلسطيني بسبب الحالة المأساوية التي تحول دون احتفالات الزفاف السعيدة والأفراح المعتادة في الأسرة. في قصيدته 'رسالة عبر بوابة مندلبوم'[٣٣٢] يوجه رسالته إلى أمه ويشير أيضا إلى 'ليلة الصمدة'[٣٣٣] التي هي جزء من عادات وتقاليد الزواج الفلسطيني. تصوّر هذه العادة تحت الاحتلال والنفي كما ألمح الشاعر، حيث يتمنى للأسرة الفلسطينية أن تتمكن من الاحتفالات السعيدة والاستمتاع بلحظات الفرح، ولكن الواقع القاسي يمنعهم من ذلك بسبب الظروف الصعبة التي يعيشونها. فيبرز الشاعر التناقض القاسي بين الطبيعة الإنسانية البسيطة للأفراح والاحتفالات، وبين الواقع القاسي للاحتلال والنفي الذي يحرم الأسرة الفلسطينية من التمتع بهذه اللحظات الثمينة في حياتهم.يقول الشاعر توفيق زياد:

"وابنك ما عاد كـــما خلفته وحـــده

لقد تزوجت ببنـــت الجار من مـــده

تعينني في عمــري المملوء بالشـدة

---

[٣٣١] ديوان توفيق زياد، دار العودة، بيروت، ١٩٧٠، ص ٤٩.

[٣٣٢] هي أحد المعالم الجغرافية والتاريخية في مدينة القدس، التي تحظى بأهمية كبيرة في السياق التاريخي والسياسي، خاصة في الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي. بوابة مندلبوم تمثل جزءًا من تاريخ القدس الحديث، وتحمل العديد من المعاني السياسية والثقافية. تعتبر هذه البوابة من بين المعالم التي تسلط الضوء على التغيرات التي طرأت على المدينة في الحقبة الاستعمارية والبريطانية، ومن ثم في فترة ما بعد الاحتلال الإسرائيلي، وهي تظل تحمل أهمية رمزية في الذاكرة الفلسطينية.

[٣٣٣] ليلة الصمدة هي ليلة الاستقرار والهدوء التي تسبق الزواج، حيث يتم فيها استقبال الضيوف والتجهيزات للاحتفال بالمناسبة.

إن تلــمحيها قلــت ذي نــعنعة البــلدة

صفحا أنا لم أدعكم في ليلــة الصمـــدة

لم أدعــكم فالدرب يا أمـــي مــنسده"[٣٣٤].

في قصيدة 'رجوعيات'[٣٣٥] يصف الشاعر البيت كرمز للعادات والتقاليد حيث يرمز بالسياج المحيط بالدار والزنبق الحاني إلى الوطن الذي يحاول الحفاظ عليه من الضياع والفقدان. يظل شامخ الرأس يتحدى الظروف القاسية التي تواجهه حيث يصفه الشاعر بأنه 'عنقاً تحت سكين يأكل حائط الفولاذ'[٣٣٦].

يعبر الشاعر عن معاناة الوطن المحتل والمأساة التي تركت أثرها العميق على الأرض والشعب. بالرغم من هذا الواقع الصعب، إلا أن الشاعر يصور الشخصية الوطنية بالصمود والإصرار مستخدماً تعبيرات تشير إلى الجراح والألم الذي يعيشه الشعب، ومع ذلك يحافظ على كرامته ويدافع عن أرضه بكل قوة. يخلق الشاعر بذلك عالماً جديداً في القصيدة يسلط فيه الضوء على المسؤولية الوطنية والإنسانية ويعبر عن رغبته في المقاومة والدفاع عن الوطن والهوية في وجه كل التحديات والمحن، يقول:

"بأسناني

سأحمي كل شبر من ثرى وطني

بأسناني

ولن أرضى بديلا عنه

لو علّقت

من شريان شرياني

---

[٣٣٤] توفيق زياد: ديوانه، ص ١٦٩ -١٧٠.

[٣٣٥] هي الصور الشعرية التي يتم تكرارها أو الرجوع إليها في عمل موسيقي أو شعري، خاصة إذا كانت هذه الأنماط تندرج تحت ما يُسمى 'الأنماط الرجوعية' (أي العائدة بشكل متكرر).

[٣٣٦] هي صورة شعرية أو أدبية قوية، تحمل في طياتها معاني الصراع والقهر والمقاومة. تعكس صورة الإنسان أو الجماعة التي تواجه تهديدًا وجوديًا أو قاسيًا، في الوقت ذاته الذي تسعى فيه لتحدي أو تحطيم القيود أو الأنظمة الصلبة التي تعترض طريقها.

أنا باق

اسير محبتي... للزنبق الحاني..

أنا باق

ولن تقوى علي جميع صلباني

أنا باق

سأحمي كل شبر من ثرى وطني

بأسناني"[٣٣٧].

تشكل بنية التكرار 'بأسناني – أنا باق' الموزعة بعناية في السياق الشعري عبر مقاطع القصيدة تراكما دلاليا، تعبر من خلاله الذات الشاعرة تعبيرا نفسيا أو باطنيا.

ويحشد الشاعر في قصيدة 'رمضان كريم' عادات وتقاليد تتعلق بالبيت مثل 'اللخابي والطابون'[٣٣٨] وأخرى من الأطعمة الشعبية 'الزعتر'[٣٣٩] وثالثة عادات يمارسها الإنسان الفلسطيني في حياته اليومية 'العجين' والرابعة يمارسها في المناسبات والأعياد 'فتل كعك العيد'[٣٤٠] وأما الخامسة في التعاويذ والسحر 'الحجاب' والسادسة في الضيافة والمجاملات 'القهوة السادة'[٣٤١]. وهذا مقطع من مقاطع القصيدة، يقول فيه الشاعرتوفيق زياد:

" والبيت كبير واسع

عقد من أيام الجد الرابع

---

[٣٣٧] ديوان توفيق زياد، قصيدة ' بأسناني'.

[٣٣٨] لخابي :هو وعاء مصنوع من الطين أو الفخار، يُستخدم عادة لتخزين الماء أو الطعام، الطابون :هو فرن تقليدي يُستخدم لخبز الخبز، غالباً ما يكون مصنوعاً من الطين أيضاً.

[٣٣٩] 'الزعتر' هو نبات عطرية شائعة في المنطقة العربية، ويستخدم في العديد من الأطباق. يُعتبر الزعتر رمزًا للتراث والثقافة الفلسطينية، وغالبًا ما يُخلط مع زيت الزيتون والسمسم ليُصبح مزيجًا يُستخدم في التتبيل أو كوجبة خفيفة.

[٣٤٠] هو تقليد شعبي في العديد من الثقافات العربية، خاصة في فلسطين. يُشير إلى عملية تشكيل كعك العيد، الذي يُحضّر عادةً للاحتفال بالأعياد مثل عيد الفطر.

[٣٤١] 'القهوة السادة' تشير إلى القهوة التي تُقدَّم بدون أي إضافات مثل السكر أو الحليب. تُعتبر هذه الطريقة من الطرق التقليدية لشرب القهوة في العديد من الثقافات، خاصة في العالم العربي.

في السقف، يعشعش زوج حمام

وبجوه عبق رائحة الأيام

وخوابي الزيت المخزون

وأريج النرجس والزعتر

ودخان التبغ المحروق

ثم يقول: النسوة حول وجاق عجين

وصغار من كل الأعمار، يضجون

وشباب في مرح، بتسلون

وشيوخ حول 'السادة' والكانون

ثم يقول: وبعيدا في زاوية معتمة

تجلس أم في العشرين

وعلى يدها طفل

سحنته في لون الليمون

تتطلع في الشيخ 'شهاب'

يا سيدنا

اكتب لي بالله حجاب

يشفي طفلي مما فيه

أو وليا صالحا

وكرامتك يعرفها الغادي والرائح[٣٤٢].

[٣٤٢] ديوان، توفيق زياد، ص (٣٢٩- ٣٣٣).

تكتسب الأبيات أبعاداً موضوعية، والشاعر يستخدم من خلالها أبعاد الواقع ومظاهر الحياة اليومية ليعبر عن ثوابت الشخصية الفلسطينية. "الخابية تُعتبر مصدراً أساسياً من مصادر الحياة وتتمتع بأبعاد دلالية تمتد جذورها في عمق التاريخ كجزء من البيت الفلسطيني الذي ينبض برائحة الأيام الماضية. تحول 'الخابية' من تجربة فردية إلى تجربة وطنية حيث تساهم في اكتشاف التاريخ وإعادة صياغة مكونات العالم برؤية رمزية تاريخية. الاحتلال حاول طمس رائحة الأرض الفلسطينية من خلال هذه الاحتفالات، ولكنها ساهمت بدعم نمو الشعور بالوحدة والهوية بين الفلسطينيين. تلك الرائحة الخاصة تتدفق في شرايين الزمن، وتنتشر في أفق الوطن، تجسد الهوية والروح التي تنطلق من أصول الثقافة الفلسطينية.

أما القهوة 'السادة' فأمرها كبير وشأنها خطير في حياة الإنسان الفلسطيني اليومية، لأنها تجسيد يومي لصورة الوطن ومشروب 'الضيافة' ولها قيمتها لدى الناس، فوفرتها تدل على وفرة الخير والكرم، وهي التي تحيّي اجاويد الله ويأتي الرجال من الأهل والإيمان والأصدقاء لشربها كدلالة على الرابطة الاجتماعية"[٣٤٣]، وبذلك تصبح القهوة عالما إنسانيا متكامل الأبعاد يجب ألا يخلو منها بيت، فإذا خلا البيت منها دل ذلك على فقر العئلة المضيقة، وهي بهذا الاعتبار ذات أبعاد طبقية، لذلك تدعو الطبقات الشعبية قائلة "'الله لا يخليها من بيت صديق ولا عدو'"[٣٤٤].

أما عادات التعاويذ والسحر مثل 'اكتب لي بالله حجاب' فهي عادات منتشرة في الأوساط الشعبية وحتى بين بعض الفئات المتعلمة. فالاعتقاد بقدرة الشيوخ وأصحاب الكرامات على شفاء الأمراض يعبر عن اعتقاد بفعالية الكلمة في علاج المشاكل الصحية. وهذه ظاهرة شائعة تتواجد في العديد من المجتمعات.

[٣٤٣] نمر سرحان، موسوعة الفولكلور الفلسطيني، عمان، ط٢، ١٩٨٩م، ص ١٠١.
[٣٤٤] المصدر السابق: ص ١٠٢.

وبالإضافة، يقوم الشاعر في قصائده بانتقاد العقائد الخرافية والسحرية التي تنتشر بين الناس. يسلط الضوء على هذه الظواهر ويعبر عن رفضه الشديد لاعتماد على السحر والتعويذات كوسيلة لحل المشاكل. بدلاً من ذلك، يحرض على الاعتماد على العقل والعلم والطب الحديث كوسائل أكثر فعالية في التعامل مع التحديات والمصاعب التي يواجهها الناس.

المناسبات والأعياد

الشعراء السجناء يستحضرون الذكريات الحلوة والمؤلمة حول العياد الشعبية في قصائدهم، معبرين بذلك عن تجاربهم الشخصية والثقافية في السجون. تُعتبر الذكريات الحلوة لحظات سابقة للسجن. وكانت تتميز بالفرح والمحبة والتلاحم مع الأهل والأحباب خلال الأعياد. يعبرون عن الحنين الشديد لتلك الأوقات والأشخاص. أما الذكريات المؤلمة، فقد تكون مرتبطة بتجارب الفقدان والحزن والوحدة التي يمرون بها في السجن خلال الأعياد. ويعبرعن الشوق العميق لأحبائهم ولأجواء الفرح والاحتفال التي كانوا يعيشونها في الماضي، وينعكس من خلال قصائدهم الألم العميق الذي يشعرون به لعدم وجود الحرية للاحتفال بتلك الأوقات بحرية. يبرزون مدى تأثير السجن على حياتهم وكيف أنه يؤثر على مفاهيمهم للأعياد والمناسبات الشعبية مما يجعل من قصائدهم مرآة تعكس الواقع القاسي الذي يمرون به وتأثيره على حياتهم اليومية والروحية.يقول الشاعر سليم الزريعي[٣٤٥] في قصيدته:

"يـا عيد يـا فرحـة الأطفــال أطفالـي مـن الأفـراح قـد حُرمـوا
فنصيب أطفالي منك أسمال وأنا رهين القيد في الرسغ والقدم
فهل اتخذت أطفالي قرابيـن أم علـــى أشلائنـــا تنهـــض الأم
يـا ليلة لبعيد لا عدت ثانيـة إن لم يعمَّ العـدل والحـق يستقـم"[٣٤٦]

[٣٤٥] سليم الزريعي، شاعر فلسطيني معاصر، ولد في قطاع غزة عام ١٩٥٣.
[٣٤٦] الشاعر سليم الزريعي، قصيدة 'يا عيد فرحة الأطفال'، إبداع نفحة، ص ١٣.

وعند بدء عام دراسي جديد يحلم الأب الأسير بأن يكسو أولاده ويصطحبهم للمدرسة. يمسك أيديهم بثبات يعلمهم آداب الكلام والحديث ويقبلهم ويدعو لهم بالتوفيق والنجاح، لكن الأسوار والأسلاك تحول دونه ودون تحقيق هذه الأماني، يقول الشاعر إبراهيم المقادمة:

"في غد عام جديد

يفرح الأطفال بالعام الجديد

قد كبرنا يا أمي

وافدقدناك طويلا

مر عيد، بعد عيد، بعد عيد

كم حلمنا، أن ترانا دون قضبان الحديد

برغم القيد ، والفقد كبرنا

وحلمنا مثل كل الناس

في غد يفرح الأطفال يا أبتاه

بالفصل الجديد

في غد ينشد الأطفال

للإسلام لليوم السعيد"[٣٤٧].

الهوية الثقافية للشعراء السجناء تُعبر عن ارتباطهم العميق بوطنهم الحنون، حيث تظهرعلاماتها وومضاتها في كتاباتهم وأعمالهم الأدبية، واستندوا إلى الرموز الثقافية

[٣٤٧] أبراهيم المقادمة، شاعر فلسطيني معاصر، ولد في مدينة القدس عام ١٩٦٩. لا تسرقوا الشمس، ص ١٧

والتقاليد الشعبية بالتعزيز شعور الانتماء للثقافة المحلية. وكانت اللغة تعكس أسلوبهم الشخصي وثقافتهم الغنية مما تضيف عمقًا إلى تجربتهم الأدبية كما يعكس قصائدهم الحنين إلى الأرض والبيئة والعادات التي فقدوها. وبهذه المداخلة الفعالة الشعراء ينقلون عظمة تراث الثقافة وكرامتها إلى الأجيال الجديدة الناشئة حيث يلقون الوعي الثقافي إلى المجتمع ليحفظها.

خاتمة

أحمد الله أولا وآخرا، أكمل الباحث هذا البحث المعنون 'العناصر الاجتماعية والثقافية في شعر السجون العربي الحديث في العراق وفلسطين: داسة تحليلية' بفضل الله ومنته قام الباحث بدراسة عن شعر السجون مع تركيز خاص على الأشعار بعد الخمسينات في القرن العشرين. وأهم المحاوير في هذا البحث هي القضايا الاجتماعية والثقافية التي تناولها الشعراء السجناء في قصائدهم من تجاربهم السجنية.

هذه الأطروحة تنقسم إلى أربعة أبواب مع المقدمة والخاتمة، الباب الأول ' تجربة السجن في الأدب العربي الحديث' والباب الثاني ' الشعر وتجربة السجن في فلسطين والعراق' الباب الثالث ' الشعراء البارزون بين سجناء فلسطين والعراق'، والباب الرابع الأخير ' العناصر الاجتماعية والثقافية في شعر السجون العربي الحديث في العراق وفلسطين: دراسة تحليلية'.

ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث، منها:

- أدب السجون غني بعدة خصائص: يتميز بالواقعية والتأمل والتحليل، والإبداع والتعبير، والصمود والتحدي، والروح الإنسانية.
- أدب السجون يشتهر بمختلف أشكال الفنون: مثل الرواية، والقصة، والشعر، والمسرح، والسجلات واليوميات، والرسوم.
- شعر السجون وسيلة للتعبير عن مشاعر الشاعر وسلاح للمقاومة ووسيلة للتواصل مع العالم الخارجي.
- شعر السجون فن لإظهار الحزن والهم والألم مع أنه يبدي التفاؤل والثبات في حياة الشاعر، ويفتح أمام القراء بابا لفهم تجارب السجين.
- فلسطين مقر واسع للشعر السجني في العالم الأدبي.

- موضوعات شعر السجون تعزز ثقة النفس وروح الكفاح والمقاومة عند الشعب.
- الحقوق الإنسانية والحرية والتراث الثقافي تعالج كثيرا في شعر السجون.
- شعر السجون في فلسطين ضد قوات الاحتلال والمستعمرين وأما في العراق ضد الاحتلال والحكومة.
- معاناة السجناء وصمودهم في وجه الظروف والقاسية والتعبير عن الحرية ميزة من ميزات شعر السجون.
- استعمال الظواهر اللغوية والأسلوبية في شعر السجن يوصل رسالتهم الصادقة إلى الشعب ويجسد الأفكار بشكل فني.
- محمود درويش يحمل قضايا الحب والانتماء إلى الوطن بطريقة تلمس القلوب.
- سميح القاسم يحرض فلسطينيين على المقاومة والصمود ضد الاحتلال الإسرائيلي.
- معظم قصائد توفيق زياد تشير إلى الإنسانية والعدالة الاجتماعية والحقوق والشغف الدائم للشعب.
- محمد مهدي الجواهري صاحب الأبيات التى تعلن العادات والتقاليد والمناسبات والأعياد ليثير أفكار الهوية اعتزازا بالتاريخ والتراث الثقافي عند الشعب.
- مظفر النواب يحرض الشعب العراقي بقصائده الثاقبة على النضال والثورة ضد حكم الاحتلال والإصرار على النضال والتحدي.
- تحتوي قصائد أحمد الصافي النجفي على تأملات حول التمييز والغربة والتشريد، مهدت قصائده الطريق لاكتشاف تأثيرات خاطرة للتمييز والتشريد والاستبعاد عن الفرد والمجتمع.
- توجد المواقف الإيجابية والتداخلات الفعالية عند الشعراء السجناء في جميع قضايا الشعب الفلسطيني والعراقي وعنايتهم لتحليل آلامهم وهمومهم من خلال قصائدهم الحادة.

- القضايا السياسية لها دور فعال في ظهور شعر السجون الذي يشتمل على الانتفاضة والنكبة والنكسة في فلسطين، وحرب العشرين والنظام الدكتاتوري والاحتلال الأجنبي في العراق.
- الظلم، والحرية والانتماء، والمساواة والعدالة، والفقر والظروف الاقتصادية، والصداقة والتضامن كلها من الظروف الاجتماعية التى يواجهها الناس.
- اللغة والفنون والمعتقدات والعادات والتقاليد والعلم والمعرفة هذه كلها من القضايا الثقافية التى تشير إلى الوعي الثقافي والتراثي لدى الناس.
- الأحوال السياسية ومظاهرها من أهم دافع من دوافع ظهور أدب السجون في فلسطين والعراق.
- يقدم شعر السجن رسالة في التضامن والتواصل بين الأفراد والمجتمعات يؤدي إلى تعزيز الوعي الجماعي وتحفيز الناس للعمل المشترك من أجل تحقيق العدالة والسلام.
- المسؤولية والالتزام الاجتماعي والثقافي للإنسان لا تنتهي بالقيود القائمة عليه، يجب على الإنسان أن يكون مدركا لدوره ومسؤوليته في المجتمع والعالم من حوله، وأن يسعى جاهدا لتحقيق العدالة والمساواة والاستدامة.
- السجن ليس مجرد مكان للعقاب بل هو أيضا مكان لتجربة اجتماعية ثقافية غنية بالمعاني.

المصادر والمراجع

المصادر

أولا- القرآن الكريم

ثانيا- الدواوين والمجموعات الشعرية:

١. الأعمال الشعرية الكاملة، مظفر النواب، دار قنبر، لندن، ١٤١٦-١٩٩٦.
٢. الأعمال الشعرية الكاملة، معين بسيسو، الطبعة الثانية، دار العودة، بيروت، ١٩٨١.
٣. الأعمال الكاملة دار الجيل، سميح القاسم، الطبعة الأولى، دار الهدى، ١٩٧٣، د.ن.
٤. حصاد السجن، أحمد الصافي النجفي، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، لبنان، ١٩٥١.
٥. ديوان الجواهري، محمد مهدي الجواهري، الطبعة الثالثة، دار العودة، بيروت، ١٩٨٢.
٦. ديوان توفيق زياد، توفيق زياد، دار العودة، بيروت، ٢٠٠٠.
٧. الديوان، بدر شاكب السياب، المجلد الأول، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩.
٨. الديوان، محمود درويش، الطبعة العاشرة، دار العودة، بيروت، ١٨٨٣.

المراجع:

١. الإبداع الفني خلف القضبان ثقافة تحدث القيد، فايز أبو شمالة، ورشة عمل، المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية، رام الله، ٢٠٠٢.

٢. اتجاهات الشعر العربي المعاصر، احسان عباس، الطبعة الثالثة، دار الشروق، **٢٠٠١م.**
٣. أثر الثقافة العبرية في الشعر الفلسطيني، جمال أحمد الرفاعي، دار الثقافة الجديدة، د.ت.
٤. أحمد الصافي النجفي شاعر الغربة والألم، خليل برهومي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣.
٥. الأدب العربي المعاصر، كمال غنيم، الطبعة الثانية، الرابطة، غزة، ٢٠٠٦م.
٦. الأدب العصري في العراقي العربي، رفائيل بطي، المطبعة السلفية، مصر، ١٩٢٣.
٧. أدباء السجون، عبد العزيز الحلفي، مطبعة الزهراء، النجف، د.ت.
٨. الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية بعد أسلو، معهد الدراسات الدولية، بيرزيت، (د.ت.ط).
٩. الأسطورة في الشعر العربي الحديث، أنس داود، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر، ١٩٩٢.
١٠. الأسطورة في الشعر الفلسطيني المعاصر، أحمد جبر شعث، الطبعة الأولى، مكتبة القادسية، خان يونس، فلسطين،٢٠٠٢م.
١١. الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام، الطبعة الأولى، دار النحوي للنشر والتوزيع،١٩٩٩م.
١٢. أصداء النضال العربي في شعرنا المعاصر، أحمد سعيد هواش، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق.
١٣. الأعمال الشعرية، سلمان العيسى، الجزء الأول، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٥.

١٤. الالتزام في الشعر العربي الحديث في العراق منذ نكبة فلسطينة حتى نهاية الستينات، ليلى جباري، جامعة دمشق كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، ١٩٨٦.
١٥. الالتزام في الشعر العربي، أحمد أبو حاقة، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٩.
١٦. الإنتخابات والمسألة الديمقراطية في الحقل الفلسطيني، إبراهيم أبراش، الدراسات الفلسطينية، بيروت، ٢٠٠٦.
١٧. الانتخابات ونظام الحكم الذاتي الفلسطيني، علي الجرباوي، أكادمية باسيا للشؤون الدولية، القدس، ١٩٩٤.
١٨. أوراق من وراء من وراء الحصار الفلسطيني دراسات في بعض الأعمال العربية، دائرة منظمة التحرير الفلسطينية، القاهرة، ١٩٩١.
١٩. بعد ألف يوم من الانتفاضة، المتوكل طه وهبراهيم جوهر، الطبعة الأولى، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، (د.ت.ط).
٢٠. البنية اللغوية والموسيقية في الشعر الفلسطيني المعاصر، يحيى زكريا الأغا، الطبعة الأولى، دار الحكمة، خان يونس، ٢٠٠٠م.
٢١. تاريخ الشعر العربي الحديث، أحمد قبش، دار الجيل، لبنان، د.ت.
٢٢. تاريخ فلسطين الحديث، عبد الوهاب الكيالي، الطبعة التاسعة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٥م.
٢٣. التجربة الاعتقالية في المعتقلات الصهيونية، عبد الستار قاسم، دار الأمة للنشر، بيروت، ١٩٧٤م.
٢٤. التشكيل الجمالي في الشعر الفلسطيني المعاصر، عبد الخالق العف، الطبعة الأولى، مطبوعات وزارة الثقافة الفلسطينية، ٢٠٠٠.

٢٥. توزيع القوى السياسية الفلسطينية المشاركة في الانتخابات، أحمد سعيد نوفل، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، ٢٠٠٥.
٢٦. توظيف التراث في الشعر العربي المعاصر، (د.ط)، فلسطين، ٢٠٠١م.
٢٧. الثقافة والانتفاضة، المتوكل طه وابراهيم جوهر، الطبعة الأولى، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، (د.ت).
٢٨. الحركة الفلسطينية الأسيرة بين ١٩٨٥-١٩٨٩، الحركة الأسيرة، د.ت.
٢٩. الحرية والطوفان، جبر إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د.ت.
٣٠. حوافر الليل، فايز أبو شمالة، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، ١٩٩٠.
٣١. حياة الأدبي الفلسطيني الحديث، عبد الرحمان ياغي، الطبعة الأولى، منشورات المكتب التجاري، بيروت، ١٩٦٨م.
٣٢. الخطاب الشعري عند محمود درويش، الطبعة الأولى، مطبعة المقداد، غزة، ٢٠٠٦م.
٣٣. دراسات في الشعر الفلسطيني المقاوم، عبد الخالق العف،(د.ط)، رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين، ٢٠٠٢م.
٣٤. زنزانة رقم ٧، فاضل يونس، الطبعة الأولى، دار الجليل للنشر، عمان، ١٩٨٣.
٣٥. السجن مزايا وعيوبها من وجهة النظر الإصلاحية، مجموعة المؤلفين، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، ١٤٠١هـ-١٩٨٤.
٣٦. السجن والوطن، فريد النقاش، دار الكلمة ودار النديم، بيروت، ١٩٨٠.
٣٧. شعر السجون السياسي في النصف الأول من القرن العشرين، عبد المعطي صالح عبد المعطي، جامعة عين شمس، ١٩٩٢.

٣٨. شعر السجون في الأدبي العربي الحديث والمعاصر، سالم معوش، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، لبنان.
٣٩. الشعر العراقي الحديث مرحلة وتطور، جلال الخياط، الطبعة الثانية، دار الرائد العربي، بيرون، لبنان، ١٩٨٧.
٤٠. الشعر العربي المعاصر- قضاياه وظواهره الفنية المعنوية، عز الدين اسماعيل، الطبعة الثالثة، دار العودة، بيروت، ١٩٨١م.
٤١. الشعر في السجن الفلسطيني (١٩٦٧م-٢٠٠١م)، فايز أبو شمالة، الطبعة الأولى، المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القزمي، رام الله، ٢٠٠٣م.
٤٢. الشعر والشعراء في العراق ١٩٥٨-١٩٠٠، أحمد أبو حاقة، دار المعارف، بيروت، ١٩٥٩.
٤٣. الفجر والقصبان، محمود الغرباوي، الطبعة الأولى، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، ١٩٨٩.
٤٤. فلسطين- دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، (د.ط)، مركز الإعلام العربي، (د.ت.ط).
٤٥. فن الشعر، إحسان عباس، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣.
٤٦. في مرآة الثقافة الفلسطينية، نبيل خالد أبو علي، الطبعة الأولى، دار المقداد للطباعة، غزة، ٢٠٠٤م.
٤٧. في نقد الأدب الفلسطيني، الطبعة الأولى، نبيل خالد أوبو علي، دار المقداد للطباعة، غزة، ٢٠٠٤م.
٤٨. في نقد الأدب الفلسطيني، نبيل خالد أبو علي، الطبعة الأولى، دار المقداد للطباعة، غزة، ٢٠٠١م.
٤٩. قصائد فلسطينية، راشد حسين، الطبعة الأولى، دار العودة، بيروت، ١٩٨٢.

٥٠. القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني، عبد العزيز الدودي، الجزء الثاني، الأمانة العامة لاتحاد الجامعات العربية، (د.ت.ط).
٥١. كلمات سجينة (مجموعة شعرية)، إعداد: أبو فلسطين، الطبعة الأولى، سجن بئر السبع، ١٩٧٥م.
٥٢. المجتمع المدني الفلسطيني والتحول الديمقراطي في فلسطين، زياد أبو عمرو، رام الله، مواطن، ١٩٩٥.
٥٣. المدخل إلى القضية الفلسطينية، أحمد سعد نوفل، الطبعة الخامسة، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، ١٩٩٩م.
٥٤. مظفر النواب حياته وشعره، باقر ياسين، دمشق، د.ن-١٩٨٨.
٥٥. المعتقلون الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية، جهاد شعبان البطش، الطبعة الأولى، جمعية الأسرى والمحررين، غزة، ٢٠٠٧م.
٥٦. معجم المصطلحاتالبلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، الطبعة الثانية، مكتبة لبنان، بيروت،٢٠٠٠م.
٥٧. المقاومة، كريم مروة، الطبعة الأولى، دار الفارابي، بيروت، ١٩٨٥.
٥٨. مقدمة في التجربة الاعتقالية في المعتقلات الصهيونية، عبد الستار قاسم، جامع النجاح، نابلس، د.ت.
٥٩. ملامح الأدب الفلسطيني، أحمد عمر شاهين، عدد ٧٧، القاهرة، ١٩٨٧.
٦٠. منابع أدب الحركة الأسيرة الوطنية، سلمان جاد الله، جمعية الأسرى والمحررين، غزة، ٢٠٠٠م.
٦١. النتاجات الأدبية الاعتقالية، دراسة تاريخية تحليلية، حسن عبد الله، د.م، مركز الزهراء للدراسات والأبحاث، ١٩٩٤.
٦٢. النتاجات الاعتقالية، حسن عبد الله، (د.ت.ط)، مركز الزهراء للدراسات والأبحاث، القدس.

٦٣. النظام السياسي الفلسطيني بعد أوسلو، جميل هلال، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٨.

المجلات والدوريات:

١. مجلة عالم الفكر: توظيف الشخصيات التاريخية في الشعر الفلسطيني المعاصر، إبراهيم نمر موسى، المجلد ٣٣، العدد ٢، أكتوبر-ديسمبر ٢٠٠١.
٢. ملامح من الحيات الثقافية والتعليمية للأسرى الفلسطينيين داخل سجون الاحتلال في العقد الأخير، الكاتب الصحفي عوني فارس القدس، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ٩٠، ربيع الأول ٢٠١٢م.
٣. مجلة الرقيب، إصدار المجموعة الفلسطينية لمراقبة حقوق الإنسان، القدس الشرقية، السنة السادسة، تشرين الثاني، ٢٠٠٢م.
٤. مجلة الدراسات الفلسطينية، فصيلة تصدر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت، العدد الخامس، شتاء ١٩٩١م.
٥. لا أثق بطائر الوقواق، عز الدين المناصرة، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، الطبعة الأولى، ١٩٩٩.
٦. فاكهة الندم، عبد الناصر صالح، الطبعة الأولى، بيت الشعر، ١٩٩٩م.
٧. نجوم في السماء، سليم الزعنون، الطبعة الأولى، دار الكرمل للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م.

الإنترنت:

https://eljadidelyawmi.dz

http://mawdoo3.com

DECLARATION

I, Salim.P.P, hereby declare that the thesis entitled *"SOCIO CULTURAL ASPECTS OF MODERN ARABIC PRISON POETRY IN IRAQ AND PALESTINE: AN ANALYTICAL STUDY"* submitted to the University of Calicut in fulfillment of the requirements for the award of Degree of Doctor of Philosophy in the Arabic Language and Literature is an authentic record of the original research work carried out by me, under the supervision of Dr. T.K. Yoosuf, Associate professor, Department of Arabic, MUA College Pulikkal. I also declare that this thesis is the result of my own effort and this has not been presented for the award of any other Degree/Diploma in this university or any other Universities.

Department of Arabic **SALIM.P.P**
MUA College, Pulikkal
Date:

CERTIFICATE

This is to certify that the thesis entitled *"SOCIO CULTURAL ASPECTS OF MODERN ARABIC PRISON POETRY IN IRAQ AND PALESTINE: AN ANALYTICAL STUDY"* submitted for the award of the Degree of Doctor of Philosophy in Arabic Language and Literature of this university. The thesis is a genuine work carried out by SALIM.P.P, under my guidance and supervision and the thesis has not been submitted for any other Degree of this University or any other Universities.

Dr. T.K. YOOSUF
(Research supervisor)
Associate professor
MUA College, Pulikkal

Department of Arabic
MUA College, Pulikkal
Date:

SOCIO-CULTURAL ASPECTS OF MODERN ARABIC PRISON POETRY IN IRAQ AND PALESTINE: AN ANALYTICAL STUDY

Thesis submitted for the Degree of ***Doctor of philosophy*** in
Arabic Language and Literature

By

SALIM.P.P

Under the supervision of

Dr. T.K. YOOSUF

Associate professor, Research Guide

Department of Arabic, M.U.A. College, Pulikkal, Malappuram

University of Calicut

2025